



جمهورية تركيا

جامعة جانكري كاراتكين

معهد العلوم الاجتماعية

الفرع العلمي تاريخ

تأثير الأتراك السياسي والاجتماعي في العصرين الأول والثاني في التاريخ العباسي

(750-932/132-320)

مرتجى برير الجميلي

أطروحة ماجستير

أ.م.د. فاتح كوزال

جانكري-2021

جمهورية تركيا
جامعة جانكري كاراتكين
معهد العلوم الاجتماعية
الفرع العلمي تاريخ

تأثير الأتراك السياسي والاجتماعي في العصرين الأول والثاني في التاريخ العباسي

(750-932/132-320)

مرتجى برير الجميلي

ORCID:0000-0002-6381-6790

أطروحة ماجستير

أ.م.د. فاتح كوزال

جانكري-2021

المحتوى

i	المحتوى
iv	بيان أخلاقيات البحث العلمي
	المصادقة و اعتماد الأطروحة.....HATA! YER İŞARETİ TANIMLANMAMIŞ.
vi	المقدمة
viii	ملخص الأطروحة
ix	ÖZET
x	ABSTRACT
xi	الرموز المستخدمة
1	1. المدخل
5	1.1. أصول الأتراك وموطنهم
7	1.1.1. علاقة العرب مع الأتراك في العصر الجاهلي
9	2.1.1. الأتراك في عهد الإسلام والخلافة الراشدة
12	3.1.1. الاتراك في العهد الاموي
19	2. الدعوة العباسية
27	1.2. مميزات العصر العباسي الأول
34	1.1.2. العرب والأتراك في العصر العباسي الأول
35	2.1.2. دور العرب في جبهة بلاد ماوراء النهر
38	3.1.2. علاقات العرب مع الخزر في العصر العباسي الأول

42	2.2. دخول الأتراك في خدمة الدولة العباسية (136هـ-754م)
46	1.2.2. الاتراك في عهد المهدي
47	2.2.2. الاتراك في عهد الرشيد
54	3.2.2. الأتراك في عهد الأمين والمأمون
62	3. المعتصم والأتراك (218-227هـ / 833-842م)
65	1.3. دخول الأتراك البلاط العباسي في عهد المعتصم
70	1.1.3. أسباب استقدام المعتصم للأتراك إلى حضرته
76	2.1.3. تربية الأتراك في عهد المعتصم
79	3.1.3. تأثير الأتراك ودورهم في مصالح الدولة العباسية
84	2.3. سامراء عاصمة الأتراك
87	1.2.3. أسباب نقل مركز الخلافة إلى سامراء
92	2.2.3. بناء العاصمة الجديد سامراء
97	3.3. دور القادة الأتراك في التمردات والحركات التي حدثت في عهد المعتصم
102	1.3.3. فتح عمورية على أيدي القادة الأتراك (223هـ / 838م)
105	2.3.3. حركة المازيار بن قارن
108	3.3.3. القضاء على الأفشين ومقتله
114	4.3. الأتراك في عهد الواثق
117	1.4.3. الثورات والتمردات التي قامت في عهد الواثق، ودور القادة الأتراك في القضاء عليها
120	4. طبعة العصر العباسي الثاني (233-333هـ / 848-945م)
123	1.4. الأتراك في خلافة المتوكل (233-247هـ / 848-862م)
130	1.1.4. مقتل الخليفة المتوكل على أيدي الأتراك
133	2.4. عصر سيطرة القادة الأتراك (232-334هـ / 847-946م)
136	1.2.4. الدور الذي لعبه الأتراك في عهد المنتصر
139	2.2.4. عهد المستعين وتدخل الأتراك المباشر بالسلطة (247-252هـ / 862-866م)
145	3.2.4. الصراع بين المستعين والمعتز على السلطة
150	4.2.4. الأتراك في عهد المعتز بالله (252-255هـ / 866-869م)

158	5.2.4. نهاية الخليفة المعتز على أيدي الأتراك
161	6.2.4. تولي المهتدي بالله العرش (255-256هـ/869-870م)
168	7.2.4. مقتل القائد التركي بايكباك ونهاية عهد المهتدي
171	3.4. خلافة المعتمد بالله (256-279هـ/870-893م) وانحسار نفوذ القادة الأتراك
173	1.3.4. الخلاف بين القائد الموفق وأحمد بن طولون
176	2.3.4. انحسار النفوذ التركي ونهاية الخلافة في سامراء
178	3.3.4. فترة خلافة المعتضد (279-289هـ / 893-902م)
178	4.3.4. خلافة المكتفي بالله (289-295هـ / 902-908م)
180	5. دور الأتراك في الحياة العسكرية في الدولة العباسية
188	1.5. دور الأتراك في الحياة السياسية في الدولة العباسية
191	1.1.5. هيمنة الأتراك على الوزارة والحجابة في الدولة
194	2.5. دور الأتراك في الحياة الاجتماعية في الدولة العباسية
203	3.5. رأي علماء الدين في تسلط الأتراك على الخلفاء العباسيين وتأثير ذلك على الحياة العامة
205	1.3.5. الفساد الإداري وتردي الحالة الاجتماعية والاقتصادية وموقف علماء الدين منه
208	الخاتمة
	GENİŞLETİLMİŞ ÖZET 212
	SONUÇ 229
233	قائمة المصادر والمراجع
	KAYNAKÇA 240

بيان أخلاقيات البحث العلمي

أصرح بأني قد التزمت بعناية بالأخلاقيات العلمية والقواعد الأكاديمية أثناء إعدادي لأطروحة الماجستير المعنونة (تأثير الأتراك السياسي والاجتماعي في العصرين الأول والثاني في التاريخ العباسي (320-750-932/132) وذلك بدءًا من مرحلة تقديم الاقتراح إلى أن إنتهيت من هذه الدراسة ، و أن المعلومات المذكورة في الأطروحة حصلت عليها ضمن إطار الأخلاقيات و التقاليد العلمية، و أنني قمت بذكر و الإشارة إلى جميع المصادر و المراجع التي إقتبست منها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر في هذه الدراسة التي أعددتها وفقًا لقواعد كتابة الأطروحة، و أصرح بأن جميع المصادر و المراجع التي لجأت إليها هي تلك الموضحة في قسم المصادر و المراجع.

2021...\...\

توقيع

اسم الطالب ولقبه

ÇANKIRI KARATEKİN ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

MURTAGA BARER KHUDHAIR AL-JUMAILİ tarafından hazırlanan *تأثير الاتراك السياسي* başlıklı bu çalışma, 932-750\320-132 *العصرين الاول والثاني في تاريخ العباسي* başlıklı bu çalışma, 27.01.2021 tarihinde yapılan tez savunma sınavı sonucunda *[oybirliği/* başarılı bulunarak jürimiz tarafından *Tarih* Anabilim Dalı'nda Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir.

TEZ JÜRİSİ ÜYELERİ (Unvanı, Adı ve Soyadı)

Danışman	: Doç.Dr. Fatih GÜZEL	İmza:
Üye	: Prof.Dr. Ahmet ÖZCAN	İmza:
Üye	:Dr. Öğr.Üye. Recep ERKOCAASLAN	İmza:

ONAY

Bu Tez, Çankırı Karatekin Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun/...../202.. tarih ve sayılı oturumunda belirlenen jüri tarafından kabul edilmiştir.

Prof Dr. Coşkun POLAT

Enstitü Müdürü

Unvan Ad SOYAD

Enstitü Müdürü

المقدمة

ان تأثير الأتراك العسكري والسياسي والاجتماعي في الدولة العباسية من المواضيع المهمة في التاريخ الاسلامي، وذلك بسبب الخروج عن المألوف من الناحية السياسية، فالأمويون الذين غلب على حكمهم العنصر العربي، استطاعوا أن يشكلوا دولة كبيرة مترامية الأطراف، أشبه بدولة " القومية العربية"، حيث ظلت السياسة ولفترة طويلة تُدار من قبل العرب، إلى أن زالت دولة بني أمية وزال معها فكرة الاعتماد على عرق واحد. ووجد الأتراك لهم منفذا سهلا في الدخول إلى ميدان السياسة زمن الدولة العباسية التي اتبعت سياسة الأبواب المفتوحة أمام سائر شعوب المسلمين عربهم وعجمهم.

الأمر الذي دفعني للكتابة في هذا البحث ولتبيان مدى تأثير النفوذ التركي على السياسة العباسية، وكيف ومتى بدأ هذا النفوذ؟ وما الأسباب التي أدت إلى تسهيل دخوله وتسريعه؟

واخترت الفترة الزمنية المحصورة بين (320-132هـ/932-750م) لأسلط الضوء عليها من حيث حضور النفوذ التركي في الدولة، وكان سبب اختياري لهذا الموضوع هو محاولة البحث عن الرابط المشترك الذي يربط العرب بالأتراك في تلك الفترة، ومعرفة ما كتبه المؤرخون الأتراك عنها، وكذلك حاولت تسليط الضوء على أهم إنجازات الأتراك في الدولة العباسية وإظهار مدى تأثيرهم في الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية.

وقد اتبعت المنهج التاريخي في سرد الأحداث من خلال الاعتماد على العديد من كتب المؤرخين والتي تعد من أمهات الكتب، وكذلك الاعتماد على مصادر تاريخية غير عربية للموازنة بينها وبين مثيلاتها العربية، وكذلك اعتمدت في بعض الأحيان على المنهج الوصفي حيث الأحداث الكثيرة المتصلة ببعضها، فقامت بتوصيفها وجمعها بعدما رأيت أنها تتصل بموضوع البحث.

وتكمن أهمية الدراسة وهدفها في محاولة تبين المصير المشترك لكل سكان الجغرافيا الإسلامية، فتاريخنا أثبت لنا بكل أحداثه أن هذه الجغرافيا لا يمكن أن تنهض بعنصر على حساب العناصر الأخرى، بل تنهض و تسمو بكل أعراق المسلمين عربهم وعجمهم، وما زلنا نرى آثار التشتت الاسلامي منذ أكثر من مئة عام إلى يومنا هذا.

أما هدف الدراسة فهو دراسة أوضاع الأتراك عند دخولهم حاضرة الدولة العباسية، والكشف عن محاولات ربط علاقات دبلوماسية مع الخلفاء، وكذلك تهدف إلى تسليط الضوء على الأعمال والخدمات التي قام بها الأتراك على العديد من الأصعدة ومشاركتهم في الدفاع عن الدولة العباسية.

أود ان أتقدم بالشكر والعرفان الى كل من قدم لي يد المساعدة ولو بكلمة اونصيحة،لقد تم انجاز هذا البحث بمساعدة العديد من الأساتذة الأفاضل فكانوا خير الداعمين لي،وكان لأستاذي المشرف الدكتور فاتح كوزال الدور الكبير في آسناد هذا البحث بالمعلومات والمصادر بكل سعة ورحابة صدر فله جزيل الشكر والامتنان والود على مجهوده معي، كذلك أتقدم بالشكر الموصول بالامتنان الى الدكتور قتيبة عرفات الذي رافقني في بحثي منذ بداياته وحتى اتمامه،وقدم لي المساعدة والدعم معنويا ودراسيا وكان حريص على مراقبة اخطائي وتصحيحها وتوجيهي للطريق الصحيح.

وأتقدم الى أستاذي الفاضل الذي كان ولايزال بمقام والدي الاستاذ عباس تركمان لما قدمه لي من دعم معنوي ونفسي وتشجيعي على مواصلة العمل والاجتهاد،وساعدني في ترجمة البحوث أثناء دراستي .

كما اقدم ثمرة هذا الجهد الى آمي الحبيبة اطلال الله في عمرها وحفظها،والى أخوتي والى أولادي ، والى روح أبي الحبيب وأخي الغالي(رحمة الله عليهم).

أسأل الله تعالى أن يحفظ من كان لي سنداً بعد الله ، ويجعلني على قدر ثقتهم بي ، وأهدي مجهود عملي لله تعالى اللهم تقبل منا صالح الأعمال.

2021/...../.....

مرتجى بربر الجميلي

ملخص الأطروحة

عنوان الأطروحة : تأثير الأتراك السياسي والاجتماعي في العصرين الأول والثاني في التاريخ العباسي
(750-932/132-320)

معد الأطروحة : مرتضى برير الجميلي

المشرف : فاتح كوزال

الفرع العلمي : التاريخ

تاريخ الموافقة : 2021/...../.....

لقد تعددت أطراف النفوذ والسيطرة في تاريخنا الإسلامي، خاصة بعد دخول أقوام من غير العرب في الإسلام، وكان الأتراك أبرز من وضع موطئ قدم في الجغرافيا والسياسة الإسلامية بمختلف مسمياتهم وقبائلهم، واستطاعوا في فترة ليست بالقليلة - في زمن الدولة العباسية- أن يمتلكوا القرار السياسي في قصر الخلافة، وبعد فترة استطاعوا السيطرة على القرار العسكري من خلال جندهم وقادتهم ذوي الأصول التركية، والذين فيما بعد فرضوا سياستهم إما عبر الخلفاء أو عن طريقهم مباشرة كما حدث في آخر عهد الخلافة العباسية، وقد سبق سيطرتهم على القرارات السياسية والعسكرية تأثيرهم على المجتمع العباسي ثقافياً و اجتماعياً، فأصبحوا جزءاً أصيلاً في المجتمع بعد أن كانوا دخلاء.

وأتبنا في أحيان كثيرة مدى إخلاصهم للدولة و تفانيهم في محاربة المتمردين الذين فكروا بالانفصال عنها، كما أنهم شاركوا قادة وأفراداً بحروب وفتوحات خارجية.

ركز موضوع البحث على فترة زمنية محصورة ما بين (320-132هـ/750-932م) وهذه فترة تواجد الأتراك في الجيش العباسي والدولة والبلاط، الفترة التي كانت فيها الدولة قائمة على اكتاف العساكر الأتراك، استخدمت في هذه الدراسة طريقة سرد الأحداث من معاصريها الأوائل ومحاولة دمج ما بين الكتاب القدامى الذين كانوا شهود عيان مع آراء المؤرخين المعاصرين .

الكلمات المفتاحية ، النفوذ التركي ، الأتراك والعباسيون، التأثير التركي الاجتماعي والسياسي والعسكري، الأتراك والخلفاء

ÖZET

Tezin Başlığı : İLK İKİ ASIRINDA ABBASİ TARİHİNDE TÜRKLERİN SİYASİ VE TOPLUMSAL ETKİLERİ (132-320/ 750-932)

Tezin Yazarı : MURTAGA BARER KHUDHAIR AL JUMAILI

Danışman : Doç.Dr. FATİH GÜZEL

Anabilim Dalı : TARİH

Tezin Türü : YÜKSEK LİSANS

Kabul tarihi :2021/...../.....

İslam tarihinde özellikle de Arap olmayan kavimlerin İslam’a girmesinden sonraları devlet yönetiminde nüfuzlarının arttığını görmekteyiz. İslam coğrafyası ve siyasetine en önemli ayak izi bırakan kavimlerin başında muhtelif ad ve kabileleri ile Türkler gelmektedir. Türkler, Abbasi hilafet sarayında siyasi karar mekanizmasını ele almayı başarmış ve daha sonraları Türk kökenli komutanlar ile askerleri sayesinde askeri kararlara da hâkim olmaya başlamış devlet yönetimini ele geçirmişlerdir. Siyasi ve askeri kararlara olan egemenliklerinin yanı sıra bu gruplar Abbasi toplumuna sosyal ve kültürel bakımından direkt etki edip, birer yabancı olarak girdikleri bu toplulukların asil bir parçası olmayı başarmış ve bir çok zamanlarda devlete olan bağlılıklarını göstermiş, ayrılıkçı gruplara karşı da gerekli olan savaşı vermelerinin yanında bir çok dış fetih ve savaşlara asker ve komutan olarak katılmıştır.

Araştırmamızın konusu özellikle (132-320/750-932) yılları arasında Abbasi devletine hizmet veren Türk askerlerin, askeri, siyasi faaliyetleri ve Irak halkına o dönemdeki etkileri ele alınacaktır. Bu araştırmalarımnda olaylara şahit olmuş tarihçiler ile çağdaş tarihçilerin fikir ve düşüncelerini karşılaştırmaya özen göstermiş bulunmaktayım.

Anahtar Sözcükler; Türk Nüfuzu, Türkler ve Abbasiler, Türklerin Sosyal, Siyasi ve Askeri Etkileri, Türkler ve Halifeler.

Abstract

Thesis Title : THE POLITICAL AND SOCIAL INFLUENCE OF THE TURKS
IN THE FIRST AND SECOND ERAS IN ABBASID
HISTORY (132-320/750-932)

Author : MURTAGA BARER KHUDHAIR

Supervisor : ASSOCIATE PROFESSOR FATİH GÜZEL

Department : Tarih

Thesis Type : Master's Thesis

Date :2021/...../.....

There have been many parties to influence and control in our Islamic history, especially after non-Arab peoples entered Islam, and the Turks were the most prominent ones who set a foothold in Islamic geography and politics with their various names and tribes. Palace of the Caliphate, and after a while they were able to control the military decision through their soldiers and leaders of Turkish origin, who later imposed their policy either through the Caliphs or through them directly as happened at the end of the Abbasid Caliphate era, and their control over the political and military decisions preceded their influence on the Abbasid society culturally And socially, they became an integral part of society after they were outsiders.

They proved in many cases the extent of their loyalty to the state and their devotion to fighting the rebels who thought of separating from it. They also participated in wars and foreign conquests as leaders and individuals.

The subject of the research focused on a limited period of time between (132-320/750-932) and this is the period of the presence of the Turks in the Abbasid army, the state and the court, the period in which the state was based on the shoulders of the Turkish soldiers, and an attempt to merge the old writers who were eyewitnesses with the views of contemporary historians.

Keywords: Turkish influence, Turks and Abbasids, Turkish social, political and military influence, Turks and caliphs.

الرموز المستخدمة

هـ	هجري
م	ميلادي
ص	صلى الله عليه وسلم
رض	رضي الله عنه
ع.س	عليه السلام
د.ت	دون تاريخ
د.ط	دون طباعة
ص	صفحة
ع	العدد
د.م	دون مكان للنشر

1. المدخل

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

يعتبر العصر العباسي بكل مراحله من بداية نشأة الدعوة العباسية ولغاية سقوط بغداد بيد المغول سنة (656هـ/1258م) ، من الحقبات الزمنية المهمة والخصبة للكثير من الباحثين في شؤون التاريخ الاسلامي لما لهذه الفترة من أهمية كبيرة ، ولتداخل الأحداث التاريخية وتشعبها . أردت في بحثي هذا أن أتناول فترة زمنية محددة من سنة (320-132هـ/932-750م) وهي فترة دخول الموالي وبالأخص العنصر التركي إلى الحاضرة العباسية ، وهي ما أطلق عليها الكثير من المؤرخين العرب بالعصر العباسي الأول والثاني ، وكما كتب المؤرخون العرب أن الدولة العباسية مرت بأربع مراحل أو أكثر ، اختلفت الروايات في ذلك وسمي كل عصر بالميزات التي كانت تميزه من حيث قوة خلفائه ، أو من حيث سيطرة قوى خارجية عليه، كما وسأتطرق لهذا في الفصول القادمة ، وقد اهتمت هذه الدراسة بتركيز الضوء على الأتراك في الدولة العباسية والجيش ، وكيف كان دخولهم إلى البلاط العباسي ولماذا استقدم الخلفاء العباسيين الجنود الأتراك واستعانوا بهم؟ وماذا أضاف هؤلاء الأتراك إلى الدولة العباسية؟ وكيف ساهموا في صد الهجمات الداخلية والخارجية وإنقاذ الدولة العباسية من تلك الهجمات المعادية هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كيف سيطروا على الدولة؟ و كان لهم دور في امتلاك قرارها في جميع النواحي العسكرية والسياسية والاجتماعية .

لقد تضمن هذا البحث خمسة فصول رئيسية حسب التدرج الزمني والأحداث ، فضم الفصل الأول أصول الأتراك ومن أين جاؤوا وعن موطنهم الاصيل، وكيف دخلوا الى البلاط العباسي .

أما الفصل الثاني فكان بداية الدعوة العباسية وكيف قامت، ودور الأتراك فيها بشكل غير مباشر باعتبارهم من الموالي الذين ساندوا الدعوة العباسية تحت لواء الخراسانيين من الفرس، وكيف كان دخول الأتراك في عصر أبي جعفر المنصور أول مرة .

أما الفصل الثالث فقد تناولت فيه انتقال المعتصم إلى عاصمته الجديدة سامراء مع جنوده الأتراك، ودورهم في الدولة العباسية بشكل مفصل ، وكيف بني المعتصم سامراء لهم . وكيف برز العنصر التركي في الجيش والدولة وساهم في المعارك التي خاضها المعتصم مع معارضيه .

أما الفصل الرابع تناولت فيه عصر نفوذ الأتراك وتسلطهم ودورهم منذ عهد المتوكل وحتى نهاية عهد المقتدر سنة (320 هـ / 932م).

الفصل الخامس وكان الحديث فيه بشكل مفصل عن تأثير الأتراك على الجانب العسكري والسياسي والاجتماعي والديني .

وانتهت البحث بالخاتمة التي اعطيت فيها برأيي الشخصي ونتائج موجزة عن البحث ثم قائمة المصادر والمراجع.

أما أهم المصادر التي اعتمدت عليها في هذا البحث هي: الطبري (تاريخ الرسل والملوك) (310هـ- 922م) وهو من المصادر المهمة التي استعنت بها في بحثي حيث كان محمد بن جرير شاهد عيان في الدولة العباسية وقريبا من الأحداث وكان على مقربة من الخلفاء والبلاط العباسي ، وبلغ منزلة رفيعة منهم ، وذكر أحداث كل سنة في سنتها وذكر استخدام الخليفة المعتصم للأتراك .

الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد مدينة السلام) (463هـ- 1070م) أبو بكر أحمد بن علي ويعد من المصادر الشاملة التي تقدم معلومات وافية عن الخلفاء والفقهاء ونشاطاتهم ، وعلاقة رجال الدين برجال الدولة والخلفاء .

ابن الجوزي وهو عبد الرحمن بن علي (597هـ- 1200م) (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) وهو كتاب احتوى على حوادث كل سنة ، وتطرق لحياة كل خليفة على حدة ، وتناول الدولة العباسية من الناحية السياسية والإدارية .

كذلك كتابه (مناقب الإمام أحمد بن حنبل) وهو كتاب سيرة حياة الإمام أحمد بن حنبل ، وحياته في عهد الخليفة المعتصم والمتوكل والواثق .

كذلك استخدمت (معجم البلدان) لياقوت الحموي الذي كان بمثابة موسوعة جغرافية تطرق فيها إلى البلدان والمدن والدول .

ابن الأثير وهو عز الدين أبو الحسن بن علي (630هـ - 1232م) (الكامل في التاريخ) وهو مصدر عام لأحوال العالم الإسلامي، وكان يذكر السنة وأهم أحداثها وتطرق بشكل مفصل إلى كل أحداث الدولة العباسية .

الذهبي وهو شمس الدين محمد الذهبي (748هـ - 1347م) وكان كتابة (تاريخ الأسلام ووفيات الأعلام) من أكبر كتب التاريخ الشاملة التي رفدت بحشي بالأحداث المهمة .

ابن كثير وهو عماد الدين إسماعيل بن عمر (البداية والنهاية) وفيه الكثير من المعلومات التاريخية المهمة عن تلك الحقبة التاريخية .

البلاذري وهو أحمد بن يحيى الفارسي (فتوح البلدان) ويعتبر من أجمع كتب الفتوح وأصحها .

اليعقوبي وهو أبو يعقوب اسحق بن واضح (تاريخ اليعقوبي) وهو من أهم مصادر التاريخ الاسلامي ، كذلك كتاب (البلدان) كان مصدرا جامعا للكثير من الأقاليم والمدن .

كما اعتمد البحث على العديد من المراجع المهمة التي كان لها دور في إسناد البحث وإخراجه بهذه الصورة، منها الاعتماد على المؤرخ فاروق عمر فوزي (الخلافة العباسية عصر القوة الازدهار) (الخلافة العباسية في العصور المتأخرة)، وهو من أهم المؤرخين العراقيين ولد في الموصل سنة (1938م) وهو باحث محترف في التاريخ الإسلامي ، والمؤرخ حسن إبراهيم حسن (التاريخ السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) في أجزاء الثلاثة التي استخدمتها .وهو من أبرز المؤرخين المصريين، أثرى المكتبة العربية بمؤلفاته الدسمة ، وقد أولى التاريخ الإسلامي عناية كبيرة في دراساته وعرف بذكائه واطلاعه على مجريات الأحداث التاريخية .

والمؤرخ عبد العزيز الدوري (دراسات في العصور العباسية المتأخرة) وهو من المؤرخين العراقيين، ولد في بغداد العراق عام (1919م) وهو شيخ المؤرخين وإمام المؤرخين، استطاع أن يدمج بين التاريخ الإسلامي وأدوات التحليل التي أخذها من الغرب في دراساته، محمد سهيل طقوش (تاريخ الدولة العباسية) وهو أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة لبنان، وهو مؤرخ لبناني. والمؤرخ أحمد أمين في كتابه (ظهر الإسلام) وهو من المؤرخين المصريين، ومن الشخصيات المشهورة في التاريخ وهو من مواليد 1889م.

وضم هذا البحث الكثير من المراجع المهمة لأهم مؤرخي التاريخ الإسلامي، التي سيتم ذكرها في قائمة المصادر والمراجع. وقد حاولت ربط الأفكار والمعلومات بين المصادر القديمة لكتاب عاصروا تلك الحقبة التاريخية أو كانوا شهود عيان مثل الطبري والجاحظ، وبين مؤرخين مهتمين بالتاريخ الإسلامي وكيف توصلوا من خلال بحثهم وكتاباتهم ومؤلفاتهم إلى نتائج مقنعة وقريبة من الحقيقة، ليضعوا بين يدي القارئ والباحث المبتدئ إرثا تاريخيا زاخرا بالمعلومات والحقائق التاريخية.

1.1. أصول الأتراك وموطنهم

اتفق أكثر المؤرخين على أصل الأتراك ونسبهم الذي يعود إلى يافث بن نوح عليه السلام، وهذا ما ذكره الطبري بقوله: "إن سام بن نوح أبو العرب والفرس والروم وإن حاماً أبو السودان، وإن يافث أبوالترك ويأجوج ومأجوج"¹

أما عن مناطق سكنهم والجغرافيا التي ضمتهم فقد كانت محط اختلاف بين المؤرخين، وربما يعود ذلك إلى أن الأتراك كانوا قبائل كثيرة ومتشعبة ومتعددي الديانة فقد اختلف المؤرخون على مناطق سكنهم وحدد ابن خلدون موطنهم بأرض بخارى، والصفد، وسمرقند، سردازا، الشاش، خوارزم، بلاد أراكس، وأرض الجولنج، والركس والقفجاق.² وكما قلنا كان الأتراك قبائل كثيرة متعددة الديانات فكان أغلبهم على المجوسية، ومنهم على المسيحية التي حملها لهم المبشرون، ومنهم على البوذية التي تسربت لهم من الهند، والزرادشيه والمناوية اللتين دخلتا لهم من فارس، والشامانيون الذين كانوا يعتقدون بوجود إلهين، إله السماء وإله الأرض.³

أما عن صفات الأتراك فقد أجمع المؤرخون في مختلف عصورهم على أنهم قوم أقرب للبداءة من الحضرة، تغلب عليهم الخشونة ويصفهم الجاحظ بقوله: "لم يكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل وطلب الغنائم وتدويخ البلدان، وكانوا يعيشون في أواسط اسيا في جبالها وبواديها وكانت تغلب عليهم صفة البداءة ويزاولون حرفة الصيد والرماية"⁴

لم تكن هذه الصفات صفات منقصة بل كانت ذا أثر إيجابي عليهم فيما بعد، فالسياسة العباسية المضطربة في أحيان كثيرة تطلبت استئثار بعض الخلفاء بهم لتحقيق مصالحهم باستخدامهم في ميدان العسكرة على

¹ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (بيروت: دار المعارف، 1967م)، 201/1.

² عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، (بيروت: 1961م)، 809/2.

³ ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ مناقب الترك (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1964م)، 70/1-72.

⁴ الجاحظ، مناقب الترك، 70/1.

رأي ابن الفقيه الذي وصفهم بأنهم رغم قوتهم وشجاعتهم وصمودهم في القتال الأأنهم قليل ما يطلبون
نعم الحياة ورفاهيتها⁵

ولم يكن بأسهم هو العامل الذي أدخلهم ميدان السياسة فحسب بل كانوا يطيعون سادتهم وأمرأهم،
وكانوا مخلصين في أواقيت كثيرة لمن منحهم الثقة.



⁵ ابو عبد الله احمد بن محمد بن اسحاق ابن الفقيه ، كتاب البلدان (ليدن: طبعة دي غول ، 1967م)، 316.

1.1.1. علاقة العرب مع الأتراك في العصر الجاهلي

من خلال النظر إلى تاريخ العلاقات بين العرب والفرس ، والعرب والأتراك نلاحظ أن هناك فرقا كبيرا في نوعية ومستوى علاقته، وذلك لعدم تجاور العرب والأتراك مثلما كان مع الفرس ،واقترنت العلاقات بين العرب والأتراك من خلال الامبراطورية الساسانية (الارانية) حيث كانت هذه الامبراطورية على اتصال مباشر بكلا الطرفين فكان لها حدود مع العرب من الغرب ومع الأتراك من جهة الشرق ، حيث تعرف العرب على الأتراك لأول مرة من خلال الجيش الساساني الذي كان يضم العديد من الأقوام في صفوفه من ضمنهم العرب والأتراك⁶ وأيضا جاء ذكر الأتراك في الشعر العربي قبل الإسلام في الجاهلية، فقد ذكر الشعراء العرب صفاتهم وقوة بنيتهم وشجاعتهم وتفوقهم العسكري ومن هؤلاء الشعراء حسن بن حنظلة ، وأبو الدردار⁷

أما مع دخول الأتراك الإسلام فقد غيروا كثيرا من نمط حياتهم وسلوكهم، فهدبهم الدين الجديد ورفع شأنهم، فتحلوا عن فكرة العصبية والتي كانت العروة الوثقى في تآلفهم، فبعد دخولهم الإسلام لم يتعصبوا لعقيدتهم حيث كان شعورهم القومي ضعيفا، ولم يبق شيء من حضارتهم بعد مجيء الإسلام إلا القليل . وربما لو رجعنا إلى التاريخ القديم قليلا لاستطعنا أن نربط علاقتهم مع العرب من خلال زعم مؤرخين أرجعوا أصول الأتراك إلى السومريين وبالعكس ، حيث هاجروا من وسط آسيا إلى حوض دجلة والفرات في الألف الخامس قبل الميلاد وأقاموا حضارة عريقة من أولى حضارات العالم وهي الحضارة السومرية ، وما يسند هذا الرأي هو الشبه الكبير بين التصاوير السومرية والجنس التركي في ملامحهم وأطوالهم وطبيعة أجسامهم ، ويقول علماء اللغة من الأتراك المحدثين إن مائتي أصل من أصول اللغة السومرية في التركي الحديثة .⁸

⁶ İrfan Aycan ,*Müslüman Arapların Türklerle İlk Münasebetleri* ,Türkler Ans,ed.,H. Celal Güzel – Salim Koca-Kemal Çiçek,(Ankara: 2000),IV, s. 317.

⁷ Aycan, *Müslüman Arapların Türklerle İlk Münasebetleri*, s.317.

⁸ حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والتك (القاهرة: الدار الثقافية للنشر ، 2001م) ص199.

ويذهب فريق آخر إلى القول إن السومريين أقوام جاءت من الجنوب بحرا، وفريق آخر يقول إنهم جاؤوا من آسيا الصغرى ، والفريق الأكثر ثقلا يقول إن الحضارة السومرية في العراق حضارة ليست بدخيلة من حضارات أخرى بل أصيلة ، ومنهم من يرجع أصول الأتراك إلى الرجوع والموازنة بين اللغات السومرية والفنلندية والمجرية والتركية⁹

وهناك من علماء التاريخ من يرى أن الترك يرجعون إلى العلاميين بسبب التشابه بينهم من حيث الهياكل العظمية .ومن خلال الاطلاع على تاريخ العلاميين نجد هناك ترابطا بينهم وبين الاشوريين، وهنا يجب أن نتوقف على لغة العلاميين التي لم تكن من اللغة السامية بل كانوا على صلة بالاشوريين وهم كالعرب من السامانيين ، وهنا تبدد الرأي القائل بوجود علاقة بين العلاميين والأتراك¹⁰

وهناك أقوال ترى أن الباحثين من الترك حيث جاؤوا إلى الأناضول من أواسط آسيا شرق البحر الأسود في الألف الثانية قبل الميلاد ، وهم من الشعوب الهندية الاوربية وغزوا بلاد الرافدين وسيطروا على بابل، وكانت (خانوساس) عاصمتهم وهي مدينة تقع قرب أنقرة حاليا¹¹

ومن خلال تعقب بداية نقطة الاتصال بين العرب والأتراك نجد أن علاقة الأتراك بالعرب علاقة غير مباشرة وغير وثيقة كما هو الحال مع الفرس حيث لم نجد في علاقة الترك والعرب الكثير من القصص والأحداث والأحداث كما وجدناها مع الفرس بسبب تماس الفرس المباشر بالعرب وتجاورهم. ولكن هذه العلاقة ما لبثت أن تطورت في العصور القادمة كما وردنا عن تاريخ اليمن وعلاقة بعض ملوك اليمن ببعض ملوك الأتراك، وبالرغم أن هذه العلاقة لم تكن ودية بقدر ما كانت علاقة تحارب وتنازع إلا أنها أثبتت وجود علاقة بين الطرفين ، حيث وقفت اليمن بوجه أطماع الترك المستمرة، حيث قام الملك (تبع الأكبر) وهو أحد أعظم وأقوى ملوك اليمن بغزو بلاد الترك عندما علم بهجومهم على بابل، وأسر وقتل منهم وشتت شملهم ، وتمكن من فتح بابل وخراسان وفارس وإيجيه حيث وصل بجيشه إلى حدود الصين¹²

⁹ احمد فخري ، دراسات في تاريخ الشرق القديم (القاهرة : مكتبة الانجلو - المصرية، 1963م)، ط2/28.

¹⁰ المصري ، صلات بين العرب والفرس والترك ، 201.

¹¹ الفخري ، دراسات في تاريخ الشرق القديم ، 87.

¹² المصري ، صلات بين العرب والفرس والترك ، 201-202.

2.1.1. الأتراك في عهد الإسلام والخلافة الراشدة

في أوائل القرن السابع الميلادي ظهر العرب على مسرح التاريخ وبنوا أكبر امبراطورية إسلامية تحمل رسالة سامية ، ففي سنة (609م) بدأ النبي محمد (ص) الدعوة الإسلامية التي نفذت إلى القلوب وأسرت أفئدة أقوام كثيرة، وبعد وفاته سنة (11هـ / 632م) أتم الخلفاء الراشدون مابدأه الرسول (ص) من الفتوحات الإسلامية ، وبعد أن تم فتح مصر والشام والعراق وخوستان ، اتجهت الجيوش العربية إلى بلاد ماوراء النهر وارمينيا وخراسان بعد أن هزمت أكبر امبراطوريتين البيزنطيين والساسانيين ، وقربت الجيوش العربية من حدود امبراطورية الترك واصبح الصدام لا محالة منه¹³. إلا أن الصدام لا يخدم القوتين آنذاك وكان لا بد من محاولة فتح القلوب قبل فتح البلاد عنوة.

لقد كان الحضور التركي ظاهرا منذ زمن النبي (ص) وما ورد من آثار تدل على ذكر الأتراك في عدة أحاديث نبوية ومنها أن النبي (ص) استخدم الخيمة التركية في حرب الخندق وفي العبادة في شهر رمضان وكذلك ورود أحاديث في وصف الأتراك وذكر صفاتهم ،حيث كان الرسول على معرفة مباشرة مع الأتراك من خلال التجارة التي عمل بها مايقارب نصف عمره¹⁴.

كذلك نسبت للرسول الكثير من الأحاديث والروايات الخاطئة التي كانت تعبر عن رأي العرب بالأتراك في وقتها ، وكان العرب المسلمون يرون الأتراك أبطالاً وذوي شجاعة كبيرة، ولكن كانوا يعتبرونهم أمة قاسية يخشون خطرهم على الأمة الإسلامية في حال عكوفهم عن الدخول في الإسلام، وكانوا يقولون إن الأتراك سوف يقاتلون العرب قبل قيام الساعة . ولكن هذه الأحاديث لم تكن من الصحة في شيء والدليل على ذلك ماقدمه الأتراك من خدمات للأمة الإسلامية لاحقاً¹⁵

¹³ عبد الكريم غرايبة ، العرب والأتراك (سوريا :مطبعة جامعة دمشق 1961م)، 2-3

¹⁴ Talat Sakallı, *Hadislerde Türk Mefhumu ve Rivayetlerdeki Çağırıştırdığı Zihniyetin Analizi*, Uluslararası Türk Dünyasının İslamiyete Katkıları Sempozyumu I,İsparta,2007,s.230.

¹⁵ Sakallı, *Hadislerde Türk Mefhumu ve Rivayetlerdeki Çağırıştırdığı Zihniyetin Analizi*, s.230.

وفي عهد الخلافة الراشدة حدث أول اتصال بين العرب والأتراك في الفتوحات العربية لبلاد فارس (إيران) وكان هذا في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رض) - حيث كان في تلك البلاد أقوام من الأتراك - حيث واجه العرب أكبر قوتين هم البيزنطيين والساسانية. وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) (12-24 هـ / 634-644م) حدث أول لقاء بين العرب والأتراك بشكل مباشر من دون أن يحدث أي قتال فيما بينهم وكان هذا في خراسان والقوقاز بالقرب من (ميرف) سنة (22 هـ / 642م) ولم يكن الأتراك يرغبون بأي قتال مع العرب وكان هذا أول لقاء بعد ظهور الإسلام¹⁶.

وربما عدم الرغبة بالصدام بين الطرفين يدل على أن كليهما يخفي نية التقارب واتباع السبيل الحسن بعيدا عن الدماء والحروب. كان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) يخشى على العرب من الأتراك، حيث كان الأتراك محاربين أقوياء وقال (رض): "الأتراك أعداء غنيمتهم قليلة وأذيتهم كثيرة"¹⁷. وربما كان هذا سببا في تبريد الجبهة الإسلامية آنذاك والتي تطل على الحد التركي، فنشوب حرب قد يرهق كاهل الجيوش العربية الإسلامية التي لم تترك ساح الوغى أبدا، وسيؤدي ذلك إلى استنزافها والحد من قوتها مع مرور الزمن. ولهذا السبب لم يأذن الخليفة عمر الخطاب للأحنف بن قيس بعبور نهر سيحون للوصول إلى تركستان حيث كان يلاحق كسرى الفرس، وقال: "لوددت أني لم أكن بعثت لها جندا ولوددت كان بيننا بحر من نار"¹⁸ ولم يكن الخليفة عمر مرتاحا لانتشار الفتوحات الإسلامية وتوسيع رقعة الخلافة بدون رقابة والسيطرة عليها. ولما علم الخليفة أن الأحنف بن قيس فتح المروين وبلغ كاتبه يحذره من عبور النهر والتوقف على حدود خراسان لدوام النصر لهم.

فالخليفة عمر (رض) يدرك خطر الصدام المباشر، ليس خوفا من الأتراك وإنما خوفا على الجيش الإسلامي من أن يُستدرج فيستنزف وتضعف قواه وبذلك يفقدون ما فتحوه من بلاد سابقا، فاكتمى من بلاد

¹⁶ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4/169

¹⁷ Zeki Velidi Toğan, *Umumi Türk Tarihine Giriş*, İstanbul 1981, s.102-105.

¹⁸ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4/168.

الترك بخراسان التي تضم قبائل منهم. وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان (رض) حدث ثاني صدام بين الأتراك والعرب في القوقاز سنة (32هـ / 652م) ¹⁹

وخسر المسلمون خسائر فادحة أمام الخزر وسحق الجيش العربي الإسلامي وقتلوا عبد الرحمن بن ربيعة وكاد يقضى على الجيش العربي لولا وصول الإمدادات من مركز الخلافة. ولم تكن فكرة العرب - إن صح التعبير - هي المستحوذة على قلب الجيش العربي الإسلامي فحسب، بل كان الأتراك في مناطق أرمينيا يمتلكون الإحساس بالخطر و يتملكهم الخوف والعرب من الجيش الإسلامي الذي لم يقصد بلادا إلا فتحها ودخلها، ولما سار سلمان بن ربيعة بأمر من الخليفة عثمان بن عفان (رض) إلى أرمينيا، ارتعب ملوكها خوفاً، ولما وصل سلمان إلى البلقان بجيش المسلمين استقبله الأتراك بالهدايا والأموال لاعتقادهم أن المسلمين هبطوا من السماء لا يقتلون بالسلاح فلا طاقة للترك بالعرب، وعندما توغل سلمان بأرض الترك ووصل إلى مدينة الباب وجدها خالية بعد هروب ملكها خاقان والناس، حيث انتشر بين الناس أن السلاح لا يقتل عربياً، وبالصدفة أراد رجلاً من الترك أن يجرب السلاح برجل من أصحاب سلمان بن ربيعة فرماه وأرداه قتيلاً، وأخذ برأسه إلى الخاقان ليتأكد من أن العرب يقتلون، ونادى خاقان أصحابه إلى الحرب ضد العرب وحدثت معركة عنيفة بين العرب والترك وقتل فيها سلمان وأصحابه على آخرهم، وقبروهم بأرض بلنجر. ²⁰

إذا نرى أن التعارف العربي التركي شهد أيضاً مرحلة الخليفة عثمان بفتحه لخراسان التي كان فيها الترك على قسمين: المستقرون الذين تأثروا بالثقافة الإيرانية، والبدو الأشداء الرحل المتنقلين الذين كانوا يهاجمون القرى والمدن على حدود خراسان ²¹.

¹⁹ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4/304.

²⁰ محمد بن عمر الواقدي، فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان (مصر: مطبعة المحروسة 1891م) 141-143.

²¹ بدرعبد الرحمن محمد، الدولة العباسية دراسة في سياستها الداخلية (القاهرة: دار العالم العربي، 2012م)، 92.

3.1.1. الأتراك في العهد الأموي

بعد مقتل آخر الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب (رض) واستلام معاوية بن أبي سفيان الحكم سنة (41هـ / 662م) بعد تنازل الحسن بن علي عن السلطة ، تمكن معاوية من تهدئة الأوضاع الداخلية بعد الصراع الدموي الذي حدث وتوجه إلى الجبهة الخارجية التي حقق فيها انتصارات كبيرة، حيث ساهم عامل الأعداء بين الأعداء على تسهيل حركة الفتوحات وتحقيق انتصارات متعددة، ففي هذه الفترة كان الأتراك منشغلين بالخطر الصيني على إمبراطوريتهم ، وكان هذا من حسن حظ العرب . وخلال فترة حكم معاوية ومن جاء بعده حتى عام (89هـ / 707م) كان الخطر التركي فقط من جهة خراسان وبلاد ما وراء النهر ، حيث كان العرب يعيشون دور المهاجم الشرس في خراسان بعد ماكانوا في دور الدفاع وسرعان مافتح الترك جبهة القفقاس متعاونين مع البيزنطيين في أحيان كثيرة وكان العرب أوفر حظا في جبهة خراسان وبلاد ماوراء النهر²² إذا لم يستطع الأتراك صد هجمات الجيش الإسلامي الأموي إلا بعد تحالفهم مع البيزنطيين، فتآلف الأعداء صعب المهمة أمام الجيش الأموي، مما دفع بالجيش الأموي إلى الحفاظ على الأراضي التي فتحوها فقام معاوية بن أبي سفيان بإنشاء نظام الأجناد للدفاع عن أراضي المسلمين ، وهي قوات حامية في مناطق الثغور²³

وبعد السيطرة على خراسان والمناطق التابعة لها، اتبع القادة الأمويون سياسة الفتح المستمر مع الحفاظ على الأراضي التي دخلوها، وفعلا استمر هذا الفتح على يد عبيد الله بن زياد والي خراسان في زمن معاوية بن أبي سفيان وهو أول قائد عربي عبر نهر جيحون سنة (54-55هـ / 675م) ، وعبر حدود إيران وتوران وحاصر بخارى أهم مدن تلك المنطقة ، ونقل عبيد الله بن زياد العساكر الأتراك من بخارى إلى البصرة ويقدر عددهم بألفي جندي²⁴ . ويقال في مصادر أخرى بأربعة آلاف جندي²⁵

²² غزائية ، العرب والأتراك ، 6-7.

²³ هدى محمد تونسي ، الأطار الجغرافي لمناطق الثغور والعواصم في العصر العباسي الاول (مصر: مجلة مركز بحوث الشرق الاوسط

2011م)، ع: 29، ص: 751.

²⁴ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 4/ 298.

²⁵ ابو بكر محمد بن جعفر النرشخي، تاريخ بخارى (مصر: دار المعارف، 1965م)، 62.

ولعل قيام نقل عبيد الله للعساكر الأتراك إلى البصرة هو محاولة أولى لترويضهم وتربيتهم وفق الثقافة العربية، وإدخالهم في الإسلام كي يكونوا حجر بناء في الدولة الإسلامية لا حجر عثرة. وبعد أن أصبح عبيد الله بن زياد والي البصرة أصبحت البصرة مدينة جذب للأتراك بسبب معاملة عبيد الله الحسنة لهم، حيث صرف لهم المعاش وانخرطوا في خدمة لجيش العربي. وكان هذا أول استخدام للأتراك في الجيش العربي الإسلامي²⁶، وهذا الأمر يُحسب لعبيد الله في اتخاذه سياسة اللين والرحمة، ومحاولته الاستفادة من الأتراك الذين ربما يتوافدون للدخول في الإسلام فيكونون كقوة رديفة للأمويين، ومقاتلين أشداء ضد أعدائهم.

وعلى الرغم من افتقار المصادر التي تتحدث عن وجود العنصر التركي في الجيوش الأموية العربية ، إلا أن هناك القلة من المصادر التي تشير إلى وجودهم في عهد عبد الملك بن مروان ، حيث استخدمهم الخليفة للقضاء على شخص ادعى النبوة في القدس يدعى حارث بن عبد الرحمن سنة (79هـ / 698م) وتم القضاء عليه على يد الأتراك²⁷. ولا ندري لماذا تم القضاء على مدعي النبوة على يد تركية، فدولة عبد الملك كانت قوية وليس لها حاجة الاستعانة بأحد، ولكن ربما استعمل عبد الملك الأتراك في ذلك لأسباب قبلية أو لزعج عنصر غريب في تطبيق حد القتل.

وفي عهد عبد الملك بن مروان نعمت من جديد دار السلام والعالم الإسلامي بالاستقرار التام سنة (72هـ / 692م) وتمكن العرب من الاتحاد والوقوف أمام الخطر التركي المتزايد ، وأخذ العرب دور المهاجم مرة أخرى ، وكان أمامهم جبهتا خراسان وسجستان ، ولم يحالف العرب النصر في جبهة سجستان بسبب قوة وشراسة حكامها ، ولكن حالفهم الحظ في خراسان.²⁸

²⁶ ابو محمد احمد بن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح (بيروت: 1991م) 317/4.

²⁷ عماد الدين ابو الفداء المعروف ابن الكثير ، البداية والنهاية (د.ط: 1988م)، 288/12.

²⁸ غرابية ، العرب والأتراك ، 8.

فالأتراك الذين استفاد منهم الأمويون أقل بكثير من الذين ناصبوا لهم العدا، فتحالفوا مع أعداء الأمويين أكثر من مرة لصد هجماتهم ومنعهم من التقدم إلى أراض جديدة، ولكن الأمويين استمروا في سياسة التوسع والفتح.

بدأ للعرب صفحة جديدة في بلاد ماوراء النهر عندما أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي حاكم ولاية المشرق قتيبة بن مسلم الباهلي لفتح بلاد ماوراء النهر سنة (86هـ / 705 م) وفتح الشاش وبيكند وفرغانة، ثم سمرقند وخوارزم حتى وصل حدود الصين²⁹.

كانت الرحلات إلى بلاد ماوراء النهر رحلات استكشافية قبل مجيء قتيبة بن مسلم الباهلي وبعدها أصبحت فتوحات حقيقية عبر التدخل العسكري منذ سنة (87-98هـ / 706-717م)، ونتيجة لضعف الأتراك في تلك المنطقة فلم يستطيعوا مواجهة الجيش العربي الإسلامي، وتم فتح بخارى على يد أبي مسلم سنة (91هـ / 710 م) وفتح سمرقند سنة (94هـ / 713 م) واستمر بالفتوحات إلى أن وصل حدود الصين في غضون عشر سنوات³⁰.

فقتيبة ابن المسلم كان قائدا كبيرا يملك من الذكاء والفطنة الكثير، واستطاع تحقيق ما عجز عنه القادة من قبله، استطاع فتح البلاد التي كانت مستعصية والتي استغل فيها ضعف الأتراك هناك، ولكن على الرغم من ذلك فقد وجد مقاومة عنيفة في بعض الجيوب، حيث تعرضت الجيوش العربية إلى موقف عنيف من قبل الأتراك في صغد وفرغانة رغم ماكانت تعانيه بلاد الترك من التوتر والقلق حيث صدوا الجيش العربي في مواجهات عديدة، ولكن استطاع العرب من السيطرة على هذه المناطق، ولم يكن استسلام الأتراك بالأمر اليسير، أما إسلام الأتراك في بلاد ماوراء النهر فكان بعضهم عن خوف ورهبة والبعض الآخر عن رضا وقناعة، وظلت العلاقات بين الأتراك والعرب متخذة الموقف العدائي بسبب الصراعات والحروب التي نشبت في وسط آسيا والقوقاز حتى نهاية العصر الأموي³¹.

²⁹ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 501/6.

³⁰ النرشخي، تاريخ بخارى، 57.

³¹ المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، 206-207.

فربما كان حال الأتراك كحال الأجناس الأخرى من غير العرب، كانوا متوجسين خيفة من الدين الإسلامي والمسلمين، لذلك بقي الكثير منهم زمن الفتوحات الأموية خارج سرب المسلمين، في حين أثر بعضهم الانضمام والالتحاق بالركب الأموي إن لم يكن عن قناعة فقد كان عن تسليم للأمر الواقع.

وبعد الفتوحات العربية في بلاد ما وراء النهر اتجهت الدولة الأموية هناك إلى تثبيت نفوذها ونشر الإسلام وإعادة شريان التجارة إلى الصين عبر مناطق الأتراك، كذلك لابد أن نقول إن معاملة الدولة الإسلامية للبلاد المفتوحة كانت معاملة طيبة تقوم على المعاهدات لكن كثيرا ما كان حكام الأتراك ينقضون هذه العهود ويستغلون حالات الضعف في الدولة³².

وهذا يثبت ما ذكرناه سابقا من أن هواجس الأتراك كانت حاضرة في قراراتهم، فبالرغم من أن فئة فيهم استسلمت وأذعنت، نجد في الجانب الآخر فئة استمرت بالقتال والالتفاف حول الاتفاقات المبرمة مع الأمويين واختاروا سبيل المواجهة.

وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز حاول إصلاح الأحوال مع (الموالي) وقد أطلق هذا الاسم على من أسلم من غير العرب. فأسقط عنهم الجزية مقابل إسلامهم، فأقبلت أعداد كبيرة منهم على الإسلام، ومنحهم المساواة في كل شيء، وأدت سياسته هذه إلى تناقص واردات الخزينة بشكل كبير، وبعد وفاة عمر سنة (101 هـ / 720 م) عاد عمال الخراج إلى الشدة في الجباية حتى من الذين أسلموا³³.

إن سياسة عمر بن عبد العزيز كانت سياسة إسلامية خالصة بعيدة عن التمييز، وهذا هو جوهر ديننا الحنيف، فالإسلام ليس حكرا على العرب رغم أسبقيتهم في حمل لوائه، فالقلوب تميل إلى من أحسن إليها، لذلك ضمن الخليفة الأموي عمر بذلك حسن إسلام الموالي، وأمن ردتهم وجرى ترويضهم وانصهارهم في المجتمع الأموي، إلا أن بعض الموالي فهموا من سياسة عمر الإصلاحية أنها ضعف وخوف فكانت

³² شاعر مصطفى، دولة بني العباس (الكويت: وكالة المطبوعات، 1973م)، 1/105.

³³ إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري (بيروت: الشركة العالمية للكتاب، 1989م)، 14. غرايبة، العرب والأتراك، 10.

سياسته بمثابة تنبيه للموالي بحقوقهم في المساواة لأنها أيقظت عندهم آمالا باسترجاع حقوقهم وكانت من الأسباب غير المباشرة في سقوط الدولة الأموية .³⁴

لم يكن العرب الأمويون وحدهم من كان يملك النظرة القومية - إن صح التعبير - فقد كان الموالي من غير العرب يملكون تلك النظرة ويرون أنفسهم الشعب الأفضل في الدولة لميزات وسمات يعتشدون بأنها كفيلة بتفضيلهم على غيرهم، وهذا ما يفسر ظهور الحركة الشعبية في أواخر الدولة الأموية رافعين شعارات المطالبة بالحقوق التي أسلموا لأجلها³⁵ ولكي يكون احتجاجهم وخروجهم على السلطة شرعيا لم يطرحوا شعارات نقيضة للدين أو للعرف، وإنما اعتمدوا على القرآن والسنة النبوية الشريفة في تأييد حقهم في المساواة مثل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}³⁶

إلا أن شعاراتهم واحتجاجاتهم لم تلق أذنا صاغية في أركان الدولة الأموية كونها لم تحبذ سياسة الانفتاح على الأقوام الأخرى، ولم تفكر بالسماح لغير العرب بقيادة الدولة، وإنما كان التواجد غير العربي مقتصرًا على وظائف صغيرة أو رتب عسكرية متدنية داخل الجيش، وبذلك تكون السياسة الأموية حرمت الموالي من حقوقهم في الوظائف الكبيرة ولم يكن للدين ذنب في ذلك بل كانت لسياسة الأمويين بحق من أسلم من غير العرب³⁷. فالسياسة الأموية ذات طابع عربي خالص، وتعتمد على العنصر العربي في مجمل سياستها الداخلية والخارجية، وربما يعود ذلك إلى عدم الثقة بالأقوام الأخرى الذين لا تربطهم بهم صلة قرابة أو نسب.

كان السخط يعم المنطقة الشرقية بما فيها خراسان وبلاد ما وراء النهر بكل طوائفها العربية والتركية والفارسية بسبب الجزية والضرائب والتي كانت في تزايد مثل ضريبة المهرجان وضريبة نوروز³⁸

³⁴ أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي (بيروت: دار النهضة العربية، 1972م)، 15.

³⁵ إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، 14.

³⁶ القرآن الكريم، الحجرات، 13/49.

³⁷ إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، 16. العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، 14-15.

³⁸ أمينة البيطار، تاريخ العصر العباسي (سوريا: منشورات جامعة دمشق، 1997م)، 14.

وفي عهد هشام بن عبد الملك لم يكن الوضع جيدا ونتيجة الاضطراب والتوتر أراد هشام تهدئة الأحوال في بلاد ماوراء النهر فأسقط الجزية وكما يقول الطبري: "سارعوا إلى الإسلام حتى انكسر الخراج" وبعدها يقول الطبري عاد الوالي وبعث عاملة وزوده بتعليمات تقول: "خذوا الخراج مما كنتم تأخذونه"³⁹ وقابل الرعية هذه السياسة بثورات عارمة منها ثورة الحارث بن سريج وهو عربي الأصل كان يقاتل ضد الأتراك في الجيش الأموي إلا أنه استثقل زيادة الضرائب على الأعاجم ولم تسره السياسة الأموية في الجباية ، وكان هذا السبب وراء وقوفه إلى جانب المسلمين الجدد من الأتراك⁴⁰ ولكن سرعان ما خمدت نار هذه الثورة وخمدت معها أفواه المناصرين لها من الأتراك، الذين صمتوا لقلّة حيلتهم، وعاد نصر بن سيار بخبر سار لابن عبد الملك الذي أوكل إليه مهمة القضاء على تلك الثورة، وبذلك انتهت ثورة الأتراك في بلاد ماوراء النهر على يد نصر بن سيار وساد الهدوء، ولم يكن هذا الهدوء ناتجا عن رضى الناس وقناعتهم، حيث سرعان ما انخرط الأتراك المقيمون في ثورة أبي مسلم الخراساني والدعوة العباسية واعتبروا هذه الثورة مكملة لثورة الحارث⁴¹.

وهذا دليل واضح على أن الأتراك الذين هزمهم آلة الحرب الأموية فقضوا على ثورتهم في بلاد ما وراء النهر، لم يكونوا سوى جمر يغلي تحت الرماد ، حيث سنحت لهم الفرصة من جديد في الثورة على الحكم الأموي، فكانوا أول من لبى نداءات العباسيين وكانوا جندا مخلصين لهم. ومع مرور فترة زمنية على دخولهم في الإسلام تغيرت بعض مفاهيمهم وزاد عدد الوافدين إلى الإسلام، فانخرطت جماعات كبيرة من الأتراك في الإسلام وأصبحت لهم مفاهيم في الحياة لم تكن من قبل وأصبحوا من أشد المدافعين عن الإسلام ، ولم يعتبروا أنفسهم أصحاب فضل بل بالعكس كانوا مجاهدين في سبيل الله ، وكانوا متسامحين وغير متعصبين حيث أسلم الأتراك وحسن إسلامهم وفهموا الدين الإسلامي وتعاملوا على أساس مبادئه ومنذ القرن الثالث الهجري أصبحت مصائر الإسلام تحت يد الأتراك بعد ماخرجت من أيدي العرب⁴².

³⁹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 55/7.

⁴⁰ شاعر مصطفى ، دولة بني العباس ، 110/1.

⁴¹ شاعر مصطفى ، دولة بني العباس ، 112/1.

⁴² المصري ، صلات بين العرب والفرس والترك ، 208.

وسنن الله لا تحابي أحدا، فمن يحمل لواء الإسلام والحكم بشرعه ويسعى لذلك ستكون له الغلبة والقيادة دون النظر إلى مقاييس العرق أو اللون أو اللسان، ويمكن أن نجمل ما ذكرناه من علاقة العرب بالأتراك بالقول: مرت العلاقات العربية التركية على عدة مراحل، أولها أيام الخلافة الراشدة والخلافة الأموية واستمرت هذه المرحلة تقريبا قرنا من الزمن وفي عهد الخلافة الراشدة تجاور العرب والأتراك بسبب الفتوحات العربية الإسلامية لبلاد إيران.

وفي عهد الخلافة الأموية حدثت حروب دامية بين العرب والأتراك بسبب الفتوحات لبلاد تركستان وفي أثناء الخلافة العباسية مرت العلاقات العربية التركية بمراحلها الثانية حيث أصبح الأتراك عنصرا أساسيا في الجيش العباسي . أما المرحلة الثالثة للعلاقة بين الطرفين فكانت في سامراء حيث سيطر الأتراك على جميع مرافق الدولة وميادينها السياسية والاقتصادية والإدارية والجيش.⁴³

كانت المرحلة الأولى من سنة (642هـ-751م) أي مايقارب قرنا من الزمن، لم يكن فيها إسلام الأتراك بشكل كبير بل كانت حركات فردية قليلة، ولم ينشر الاسلام بشكل واسع بين الأتراك بسبب السياسة العنصرية التي استخدمتها الدولة الأموية في اعتمادهم على العرب وتحييد غير العرب وإبعادهم عن صناعة القرار السياسي والعسكري، حيث لم يجد الأتراك مايدفعهم إلى الإسلام.⁴⁴

لقد استخدم القادة العرب الكثير من الأتراك في حروبهم في بلاد ماوراء النهر وحققوا انتصارات كبيرة وأول من أدخل الأتراك في الجيش هو سعيد بن عثمان في العهد الأموي في زمن الخليفة معاوية عندما عينه واليا لخراسان ، وألف جيشا من الأتراك . وقد عمل سعيد بن عثمان سنة اتبعها كل من جاء بعده من القادة العرب في آسيا الوسطى أثناء فتوحاتهم لبلاد ماوراء النهر وخصوصا بعد فتح سعيد لسمرقند ، وأصبحت الجيوش التي ألفها القادة العرب من الأتراك تعمل على أهبة الاستعداد تحت أمرة قوادهم ، وهذا ما سهل على القائد قتيبة بن مسلم فتح سمرقند فيما بعد.⁴⁵

⁴³ Fatih Güzel , *Kafesteki Halifeler*;(Ankara:Akademisyen Kitabevi A.Ş,2020),s.6.

⁴⁴ Güzel, *Kafesteki Halifeler* ,s. 7.

⁴⁵ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (بيروت : دار الجيل، 1996م) ، 1/301.

2. الدعوة العباسية

يعود نسب العباسيين إلى سيدنا النبي محمد (ص) وعمه العباس بن عبد المطلب. استلم العباسيون الدولة الإسلامية من الأمويين وحكموا من سنة (750هـ - 1258هـ) حيث كان العرب هم العنصر المسيطر على الدولة العربية الإسلامية في عهد الرسول محمد (ص). وفي عصر الخلفاء الراشدين امتدت الفتوحات الإسلامية من إسبانيا إلى الصين وكان الناس يعيشون تحت كنف الامبراطورية الإسلامية على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأديانهم، وفي ظل هذه الفترة أعطى العرب الفاتحون للمسلمين من الموالى كافة الحقوق الإسلامية حسب الشريعة الإسلامية⁴⁶. كان العباسيين يجدون أنفسهم أن لهم الحق في الخلافة بسبب نسبهم إلى النبي كما ذكرنا سابقا وبسبب تاريخهم الطويل، وكانوا صفوة العرب واختيارهم، وكان العرب يتفاخرون بالأنساب وكانت من أولوياتهم وهذا ما كان متعارفا عليه في الجاهلية وبعد نزول الإسلام أصبحوا أهل بيت الرسول والنبوة، حيث كان العباس عم الرسول محمد (ص) سيد العرب المسلمين ومن رجال الصفوة المحمدية، حيث كان الخليفة عمر بن الخطاب يتوسل بالدعاء بالعباس (عليه السلام) بعد وفاة الرسول (ص).⁴⁷

ولم يكن توسل الخليفة عمر بالعباس محط شرك - والعياذ بالله - وإنما تبييناً لمكانة العباس في نفس الخليفة الذي أحب آل بيت رسول الله . كان بنو العباس يجدون أنفسهم ورثة النبي محمد (ص) ولهذا نجد أنهم اتخذوا سياسة على نقيض بني أمية التي كانت سياستهم تقوم على طرف واحد على حساب الأطراف الأخرى، وكما تذكر المصادر التاريخية التي تذكر أن الخليفة العباسي هو سليل بيت النبوة والشرف، أما خلفاء الدولة الأموية كانوا يتجسدون بدور الزعماء غير المتدينين ويكشفون جميع رذائلهم

48

⁴⁶ Güzel, *Kafesteki Halifeler*, s7.

⁴⁷ محمد الهامي، العباسيون الأقوياء رحلة العباسيون منذ بداية الثورة حتى نهاية عصرهم الذهبي (القاهرة: مؤسسة اقرأ، 2013م)، 68.

⁴⁸ نبيلة حسن محمد، تاريخ الدولة العباسية (مصر: دار المعارف الجامعية، 1993م)، 9.

لقد اكتسب الخلفاء العباسيون ألقابا ذات طابع إسلامي ديني على غير ما اتبعه الخلفاء الأمويون، وذلك ربما يعود لمحاولتهم أسر قلوب العامة وتسهيل قيادتهم، في حين لم يول الأمويون أي اهتمام للألقاب، وذلك ربما يعود لقوة دولتهم آنذاك وإحكامهم الفعلي على كل مفاصل الدولة وثقتهم بالشعب ذي اللون الواحد وعدم اكتراثهم بالمسلمين من غير العرب، ولم يكن هذا الأمر سائدا بين طبقات السادة والأمراء فحسب بل كان أيضا ضمن المجتمع الأموي بين عامة الناس، حيث كان العرب المسلمون ينظرون بعين الدونية إلى المسلمين من غير العرب (الموالي) على أنهم مسلمون من الدرجة الثانية، رغم أن هؤلاء الموالي حملوا مع العرب المسلمين أعباء الامبراطورية الإسلامية، ومع هذا استخدمت الدولة الأموية سياسة القسوة مع الموالي وحرموهم من حقوقهم، وكان هذا أحد أسباب سقوط الدولة الأموية حيث انخرط الكثير من الموالي في صفوف الجماعات المعارضة للدولة الأموية وخاصة الثورة العباسية.⁴⁹ فقد وجد الموالي ضالتهم في الثورات واستطاعوا اغتنام الفرص والانقضاض مع العباسيين على الدولة الأموية بعدما عانوا من سياستها المضطربة وغير العادلة تجاههم، وأهمال قضاياهم ومطالبهم، فقد كانت سياسة الأمويين تقوم على إعطاء الحق بالحكم للأمويين فقط، وكذلك ما شاع من أخبار عن حياة بعض الخلفاء الأمويين الفارهة من بذخ وترف المخافة للدين الإسلامي والشريعة، كل هذه الأمور وغيرها كانت السبب في فقد الأمويين للشرعية في الحكم من وجهة نظر المسلمين فواجهوا معارضة عنيفة، ظهرت بشكل منظم تنظيما جيدا من قبل أحفاد العباس عليه السلام.⁵⁰

تأسست الخلافة العباسية على يد أحفاد العباس بن عبد المطلب سنة (132هـ / 750م) واستمرت خمسة قرون. وفي سنة (98هـ / 716م) تحولت الإمامة من أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب إلى أحفاد العباس. عندما قام أبو هاشم بزيارة سليمان بن عبد الملك في الشام حيث دس له الأخير السم في الطعام، وذلك بسبب خوف الخليفة سليمان بن عبد الملك من أبي هاشم وخاف من تجمع الناس حوله، فلما أحس أبو هاشم بنهايته وأنه على مقربة من الموت بعد مرضه

⁴⁹ Güzel, *Kafesteki Halifeler*, s.7.

⁵⁰ Güzel, *Kafesteki Halifeler*, s.8.

أوكل إلى أحد المقربين إليه وهو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وكان هذا في الحميمية من أرض الشام ، لكن محمد بن علي خان الأمانه ، وقال حينها العباسيون إن أبا هاشم نقل إليهم الخلافة⁵¹.

أما الرواية العلوية تقول :إن أبا هاشم قد أعطى الإمامة إلى عبد الله بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وكان الشيعة يطالبون به إماما لهم منذ عهد الخليفة مروان بن محمد الذي تمت تصفيته من قبل أبي مسلم الخراساني في زمن الدولة العباسية⁵². مرت الثورة العباسية بمرحلتين: المرحلة السرية والتي كانت من سنة (97-100هـ/719م) حيث كان مركزها الحميمية وكان عملها السري في الكوفة ومرو عاصمة خراسان والمرحلة العلنية في (128هـ / 745م) عندما أعلن أبو مسلم الخراساني بشكل رسمي الثورة على الأمويين سنة (129هـ/746م) ، ونصب أبو العباس نفسه خليفة للمسلمين سنة (132هـ / 749م)

53

فالمرحلة السرية كانت مرحلة نشر أفكار وتحديد مبادئ واستقطاب عامة الناس، وتأليبهم على الحكم الأموي، ولجأ العباسيون إلى ذلك لأنهم لم يكن لهم طاقة بالأمويين وجندهم، فانتظروا سنين عديدة حتى وجدوا أن في الثورة المسلحة تتحقق أهدافهم وطموحهم في الوصول إلى السلطة. وحسب رواية الطبري فإن الثورة العباسية شهدت النور في عهد عمر بن عبد العزيز وكان هذا في خراسان في سنة 100 للهجرة عندما حدثت إشكالية الدخول في الإسلام ودفع الجزية⁵⁴. لقد تم اختيار منطقة خراسان للنشاط السري للثورة العباسية ، حيث إن سكان هذه المنطقة دخلوا الإسلام حديثا ولا يمتلكون موقفا سياسيا أو طائفيا اتجاه أي جهة، وكان غالبية سكانها من الموالي المعادين والرافضين للسياسة العنصرية التي استخدمتها الدولة الأموية معهم هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كانت لخطابات العباسيين التي تنادي بالمساواة والعدالة

⁵¹ Nahide Bozkurt, *Olusun Aşamasında Abbasi ihtilali*, (Ankara: 2016), s.30.

⁵² مؤلف مجهول ، اخبار الدولة العباسية، تحقيق عبد العزيز الدوري ،عبد الجبار المطليبي (بيروت : دار الطليعة للطباعة ،1971م)،165.

⁵³ فاروق عمر فوزي ، طبيعة الدعوة العباسية (98-132 / 716-749م) دراسة تحليلية لواجهات الثورة العباسية ، (بيروت : دار الارشاد ،1970م)،153.

⁵⁴ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،7/احداث سنة 100.

وإرجاع الحقوق دور كبير في ميل وتعاطف أهل خراسان مع الدعوة العباسية .⁵⁵ ونلاحظ استثمار العباسيين للعناصر من غير العرب، واختيار خراسان لنشر الدعوة العباسية سلمياً كان علامة ذكاء باستقطاب غير العرب، والذين وجدوا فيهم ضالّتهم وذلك بسبب الشرخ الكبير بين هؤلاء الموالي وساستهم الأمويين، بسبب السياسة المغلقة للدولة الأموية التي همشت الموالي في كثير من أمور الدولة.

انطلقت الثورة العباسية من إقليم خراسان وكانت تتوجه إلى نواح وآفاق كثيرة من دون علم أو انتباه الأمويين أو عمالهم في الأقاليم، وكانوا في مرات قليلة يقبضون على بعض الدعاة ويجبرونهم على الكلام والاعتراف لكن دون جدوى، لأحد ييوح بشيء، وتعرض بعض الدعاة إلى التعذيب والقتل ولكن هذه السياسة كانت تزيدهم عزماً وقوة وتمكنوا من إنجاح الدعوة والمضي بها إلى بر الأمان⁵⁶. إن صبر الخراسانيين على ردة فعل الأمويين إنما يدل على عزمهم المضي قدماً رغم التنكيل والسجن والتعذيب الذي اعتمده القادة الأمويون، والذين كانت أرض خراسان بالنسبة لهم نارا لا تحمد، فقد تميزت أرض خراسان بعدة مزايا جعلتها أرضاً خصبة للدعوة العباسية، منها وجود الكثير من العرب المقاتلين فيها وكانوا على درجة من القوة والعزيمة والصبر، كذلك كانت خراسان أرضاً نظيفة فكرياً لم تنتشر فيها من قبل أي فكرة أو توجه سياسي أو دعوة دينية أو سياسية، وسهولة الدخول إلى أفكار أهل خراسان عن طريق جبههم وميلهم إلى آل بيت الرسول (ص)، والسبب الآخر هو وقوع إقليم خراسان في مشرق الدولة الأموية أي بعيد عن مركز الخلافة وعن بطشهم، بالإضافة إلى ذلك فقد تتلمذ أهل خراسان على الدروس الدينية والحلقات التي كان ينظمها أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، ومحمد بن علي بعد وفاته⁵⁷. إذاً استطاع العباسيون الدخول إلى قلوب الموالي من أهل خراسان عن طريق الدين، فليس المهم إن كانت غاية العباسيين دينية بالفعل أو سياسية تحت غطاء الدين، ولكن الأهم عندهم هو الوصول إلى مبتغاهم في تحييد أكبر عدد من الناس وتأليبهم ضد الحكم الأموي، وخاصة إذا كان هؤلاء الناس سماعين للقول ويتبعونهم.

⁵⁵ Güzel, *Kafeteki Halifeler*, s.9.

⁵⁶ عبد العزيز الثعالبي، سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية (بيروت: دار العرب الإسلامي، 1995م)، 55.

⁵⁷ الهامي، العباسيون الاقوياء، 88.

لابد من التوقف على نقطة مهمة في أصل سكان إقليم خراسان. إن بلاد خراسان لم تكن بلادا فارسية ولم يكن جميع سكانها من الفرس بل كانوا أتراكا أيضا، وكذلك كانت مركزها مدينة مرو وهي من بلاد الترك وحاليا من ضمن بلاد الروس، وإقليم خراسان يشمل حاليا شمال بلاد الأفغان وشمال شرقي إيران وبلاد التركمان، و هذه البلاد قديما وحاليا كان أكثر سكانها من الأتراك، ولا تخلو من العنصر الفارسي بين مجتمعتها ، ناهيك عن وجود جماعات لا يستهان بها من العرب والفرس الفاتحين الذين استقروا في المنطقة، وتمركز الدعوة العباسية في خراسان وتصورنا أن بلاد خراسان تابعة للفرس جعلنا نتوهم بأن إقليم خراسان سكانه من الفرس ، والجدير بالذكر أن أبا مسلم الخراساني رجل الدعوة العباسية الأول الذي قامت الدولة على أكتافه لم يكن من بلاد خراسان بل كان فارسي الأصل، ولقب بهذا الاسم كأسم حركي أثناء الدعوة العباسية واسمه الحقيقي ابراهيم بن عثمان.⁵⁸

نشأت وقامت الدولة العباسية على أكتاف الخراسانيين أيا كان أصلهم عربا أتراكا فرسا، المهم أنهم من سكان بلاد خراسان ونتيجة لذلك حصلوا على مناصب مرموقة وكبيرة في السلطه بعد ذلك، ومنهم أبو مسلم الخراساني الذي تخلص منه العباسيون في بداية نشوء دولتهم حيث رفضوا أن يستولي أحد غيرهم على السلطة سواء كان عربيا أو فارسيا أو تركيا، كذلك تخلصوا من عبد الله بن علي العباسي عم الخليفة المنصور وكان قائدا عاما للدولة حيث ضربهما المنصور ببعض، فلم يفرق العباسيون بين الأصول بل تخلصوا من أي شخص كان له نفوذ في الدولة أو أطماع شخصيه في السلطة⁵⁹

وهذا إن دل فإنما يدل على أن العباسيين في فترة الثورة ضد الأمويين استعملوا الدين لتحقيق أغراض سياسية، فنشروا دعوتهم السياسية تحت غطاء الدين ملوحين براية الإسلام التي تجدد نفاذا إلى القلوب بسرعة، واستخدموا الموالي فرسا وأتراكا في سبيل تحقيق هدفهم في المرحلة العسكرية الثانية من الثورة، والتخلص فيما بعد من أبي مسلم الخراساني إنما هو خير دليل على أن السياسة العباسية استثمرت الموالي في حربهم مع الأمويين لا حبا فيهم وإنما لتحقيق مرادهم.

⁵⁸ محمود شاكر، الدولة العباسية (بيروت، المكتب الاسلامي ، 2000م)، 1/29.

⁵⁹ محمود شاكر، الدولة العباسية ، 1/30.

بعد الثورة العباسية أطلق على العناصر غير العربية التي ساهمت في دعم الثورة اسم خراسان بدلا من الموالي، وكان لهذه التسمية التي ذكرت في الكثير من المصادر التاريخية الكثير من التساؤلات من هم الخراسانيون ؟ وهل الشعب الخراساني من الفرس فقط ؟ وهل هناك أترك خراسانيون ساهموا في الدعوة العباسية ؟ وعلى كل هذه التساؤلات يجيب عليها الجاحظ "الخراسانيون والأترك إخوان ، موطنهم واحد والفارق بين الأترك والخراسانيين ليس كالفرق بين العرب والفرس واليونانيين والسلاف والسود والحبشه . بل على العكس، الفرق بينهم كالفرق بين مكة والمدينة، وبين البدو والحضر من قبيلة تاي الذين يعيشون في الجبال وقبيلة تاي التي تعيش في السهول ، والخراسان والأترك يتشابهون في أراضيتهم ، وبسبب هذا التشابه بالاخلاق واللغة أصبح بينهم تقارب وتشابه أكثر من تقارب القحطانيين مع العدنانيين"⁶⁰

كذلك كانت مدينة الكوفة مقرا للدعوة العباسية إلى جانب خراسان ، وكان اختيار الكوفة يعود إلى عدة أسباب: أولها أنها كانت مقرا للناقمين على بني أمية ، وكان أكثر سكانها من أتباع الإمام علي بن ابي طالب (رض)، والسبب الثاني لكون الكوفة قرية لبلاد خراسان فإذا احتاج الثوار للهروب إلى بلاد الأترك المجاورة ، وكذلك لكثرة الموالي فيها⁶¹

ربما يمكن أن نقول إن الكوفة هي حاضنة الثورة العربية العباسية ضد الحكم الأموي، في حين أن خراسان هي حاضنة الثورة الأعجمية من غير العرب، وكلا المدينتين تشتركان بالأهداف والمصير المشترك مع اختلاف الأجناس والأقوام. كان غالبية رجال العباسيين وأنصارهم من العرب والفرس، وكان الأترك موجودين لكن بأعداد قليلة.⁶² وكان أبو سلمة الخلال أحد أهم وأذكى رجالات الدعوة ، وأكثرهم دقة وأبعدهم نظرا ، حيث أوكل إليه إبراهيم الإمام الوزارة ، ثم أشرف بشكل مباشر على أعمال الدعوة العباسية في ولاية البصرة ونجح في تشتيت نظر الأمويين عن الدعوة وعدم الانتباه لها⁶³. في بداية الدعوة العباسية طلب العباسيون من شعب الميرف مساندتهم والوقوف معهم والاهتمام بالدعوة ، وكان هناك

⁶⁰ الجاحظ ، مناقب الترك ، 80/1.

⁶¹ محمود شاكر، الدولة العباسية ، 42/1

⁶² توفيق سلطان اليوزبكي، نفوذ الأترك السياسي في الخلافة العباسية ، (العراق:مجلة الرافدين، 1998م)، ع:240/31.

⁶³ النعالي، سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية ، 56.

شخص يدعى توران بن الجمال، لم نجد الكثير من المعلومات عنه في المصادر التاريخية ولكن من خلال اسمه نستدل على أنه تركي بسبب وجود هذا الاسم في تشكيلات الدولة التركية⁶⁴

وكذلك من الأشخاص الذين أخذوا الدعوة العباسية على عاتقهم من الأتراك محمد بن صولو، وهو من الذين خدموا في الدولة الأموية في عهد يزيد بن معاوية والي العراق ، وكان محمد بن صولو من ضمن الاثني عشر الذين تولوا مهمة الدعوة العباسية حسب ما ذكرت المصادر⁶⁵.

وهنا يمكن أن نتساءل مالذي دفع رجلا تركيا من الموالي للثورة ضد الأمويين وقد كان عاملا ضمن سياساتهم ومنضويا تحت رايتهم؟ ربما طغى دافع العصبية على منفعته الشخصية فاختار الوقوف إلى جانب قومه وأن ينعم بخيرات الأمويين.

كذلك ورد اسم اسحاق التركي الذي كان أحد أهم الرجال المقربين لأيي مسلم الخراساني ومن الأشخاص الذين يثق بهم وأحد الدعاة للثورة العباسية⁶⁶.

⁶⁴ Şemseddin Günlaltay, "Abbasoğulları İmparatorluğunun Yükselişinde Türklerin Rolü", Belleten, sayı. 23-24, 1942, s.177.

⁶⁵ Nevin Yılmaz, *Abbasi ihtilalinde Türkler*, sakarya üniv. Sos. Bil. Ens. 2007, Basılmamış, Yüksek Lisans Tezi , s. 47.

⁶⁶ Ekrem Pamukçu , *Bağdat ta ilk Türkler*,(Ankara: 1994), s.80.

أسباب نجاح الدعوة العباسية

يمكن أن نجمل أهم الأسباب التي أدت إلى نجاح الدعوة العباسية بما يلي:

- 1- بعد وفاة الخليفة هشام بن عبد الملك تمزقت الدولة الأموية وضعفت، وذلك بسبب التنزع في البيت الأموي على الحكم جعل الناس ييغضون بني أمية ويسعون إلى الخلاص منهم .
 - 2- تكاثر العصبية القبلية في الدولة الإسلامية وتحديدًا في خراسان حيث انحاز كل قائد لقبيلته، فانحاز نصر بن سيار للمضريين، والعرب هناك لليمانيين، فتذمر الناس من هذا الخلاف وسعوا إلى الخلاص منه كان للصراع بين مضر وربيعة الأثر في نجاح الثورة⁶⁷، وبالرغم أنه لا دخل للفرس والأتراك بهذا التعصب إلا أنهم كرهوا ما آلت إليه نتائج التعصب، حيث كان له تأثير سلبي على حياتهم ومعيشتهم .
 - 3- كان لسوء الحالة الاجتماعية أثر كبير على البلاد وخصوصًا على الموالي لأنهم كانوا يمسون بالزراعة والأراضي والمنتجين الرئيسيين في الدولة، وكان من نتائج الصراعات أن تضررت الزراعة بشكل كبير .
 - 4- قيام الكثير من الحركات التي زعزعت الدولة الأموية، منها حركة الخوارج وحركة الكرمانى وحركة ناصر بن سريج⁶⁸، وكانت تلك الحركات تطمح للاستقلال الذاتي على الأقل أو الخلاص من الحكم الأموي.
- نجحت الدعوة العباسية، وبرزت الرايات السود في بلاد خراسان وأخفقت الرايات البيض في كل أنحاء البلاد، حتى تقابلت الرايتان في معركة الزاب وفشل الأمويون وفر مروان بن محمد إلى مصر وهو آخر ملوك الأمويين وقتل على يد العباسيين، ولكن قبل هذا الحدث بفترة طويلة أعلنت الخلافة العباسية في الكوفة، وتقلد أبو العباس أخو إبراهيم الإمام منصب أول خليفة عباسي وإماما للمسلمين، ومع مثابة أبي سلمة خلال وإصراره على إبعاد الخلافة عن العباسيين وتقريبها للعلويين إلا أن محاولته باءت بالفشل، وبويع أبو العباس إماما للمسلمين وأصبح أول خليفة⁶⁹

⁶⁷ محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م)، 17.

⁶⁸ محمود شاكر، الدولة العباسية، 50/1-51.

⁶⁹ حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول، 20.

1.2. مميزات العصر العباسي الأول

في بداية حديثنا عن أي عصر لابد من الإشارة إلى أهم مميزات هذا العصر بإيجابياته وسلبياته وأهم الأحداث التي أدت إلى النتائج التي وصلت لنا، وهنا في هذه السطور سوف أذكر ما امتاز به هذا العصر وميزه عن العصور العباسية اللاحقة .

دام العصر العباسي الأول قرابة قرن من الزمن من (132-232 هـ / 750-847م) لأن هذه الفترة هي عهد الدولة العباسية الحقيقيه لأنها ضمت حكام وخلفاء أقوياء من العباسيين ، وقبل ذكر مميزات هذا العصر لابد من توضيح حقيقة تاريخيه مهمه وهي أن انتقال الحكم للعباسيين هو بالحقيقة تحول سلطة الخلافة من أسرة إلى أخرى ، وليس كما يحاول بعض الكتاب المؤرخين تصويرها على أنها نهاية عهد ظالم وبائس وبداية عهد جديد، أو أنه تغير جذري في كيان الدولة الإسلامية، والكثير من المبالغات والتصورات غير الحقيقيه التي وجدت في بطون الكتب والمصادر ، والواقع يقول إن تسلم العباسيين للسلطة كان أمرا طبيعيا وواردا على مر العصور حيث تم نقل الحكم من أسرة إلى أخرى كما هو الحال عند تحول السلطه من الخلفاء الراشدين إلى البيت الأموي مع بعض التغيرات التي حدثت نتيجة تطور الأحداث ، وكما يقال دوام الحال من المحال فإن انتقال السلطة بين الناس أمر لابد منه كما خرجت فيما بعد من يد العباسيين إلى المغول .⁷⁰

كان الحكم في العصر العباسي الأول مستمدا قوته من الله، وبالغ العباسيون في ادعاءهم بأنهم سعوا إلى الحكم من أجل إحياء السنة النبوية وإقامة العدل بين الناس وإحقاق الحق ، فلبس الخلفاء العباسيون البردة (وهي رمز للسلطة الدينية) في الاحتفالات والمناسبات الرسمية والخاصة، وجعلوا الفقهاء والعلماء والشعراء حولهم ، وتبدل أسلوب الحكم بعدما كان الخليفة الأموي مثل رئيس القبيلة يأخذ قوته من الناس ومن شيوخ القبائل الأخرى، أصبحت السلطة والحكم عند الخلفاء العباسيين تأخذ قوتها من الله ومقدسة.

⁷⁰ شاعر مصطفى ، دولة بني العباس ، 1/165.

وهنا يمكننا القول إن العباسيين استطاعوا استثمار الدين لتحقيق غايات سياسية، وقد رأوا أن تبني شعارات دينية من شأنه أن يُقَصِّر الطريق لما للدين من أثر كبير في قلوب العامة من الناس.

كان أهم ما يميز خلفاء العصر العباسي الأول هو أن أغلبهم تميزوا بالشجاعة والذكاء والفطنة والقوة في الوقت نفسه، مما يسر وسهل لهم إدارة شؤون الخلافة والسيطرة عليها بسلاسة رغم كل الصعوبات والمشاكل التي قابلتهم في الداخل والخارج وعلى جميع النواحي تمكنوا من السيطرة عليها.⁷¹

ورغم أن بعض خلفاء العصر الأول استعانوا ببعض المقربين من الأعاجم أو العرب مثل ما فعل الرشيد مع البرامكة، والمأمون مع الفضل بن سهل، إلا أن هذا كان لمدة قصيرة ومؤقتة وكان تحت إشراف الخلفاء ودرايتهم، وفي الوقت الذي أحسوا بخطورة هؤلاء ومدى تماديه في السلطة فوراً تم سحب البساط من تحتهم وجعلهم عبرة للناس ومثار حديثهم، حتى لا يتجرأ أحد على الخلافة.⁷² فالصدر الأول من الخلفاء كانت غايتهم توطيد الحكم وتثبيت أركانه، والاعتماد على الأعاجم في تلك الفترة هو استقطاب لهم وجعلهم ضمن السياسة العباسية فقط، وليس لجعلهم أعلى هرم السلطة، ولكن سرعان ما تغير الوضع مع ظهور العنصر الفارسي ونجاحه في كثير من الأمور الإدارية والسياسية، فقد تميز هذا العصر بمكانة مهمة وكبيرة للعنصر الفارسي في مختلف مجالات الدولة، وكان لنفوذهم المسيطر دور كبير في توجيه سياسة الدولة حيث كانوا يسيطرون على الجهازين الإداري والعسكري في مركز الخلافة بغداد وجميع الأقاليم التابعة لنفوذها، فسيطروا على الجيش، ومناصب الدولة الإدارية المهمة التي تكون في أغلبها من سلطة الخليفة حصراً.⁷³ ولقد حفظ الخلفاء العباسيون للفرس الجميل ووقفهم إلى جانب الدعوة العباسية والعمل من أجل إنجاحها، فقربوهم منهم وأوكلوا إليهم المهام والمناصب الحساسة، ولكن في الوقت نفسه لم يكن في نية العباسيين أن يعلوا الفرس عليهم بل يعلوا بهم، ولكن عندما أحسوا بخطر ما على عرش الخلافة لم يترددوا في البطش بالطامعين والتخلص منهم أيا كانت قوميتهم.

⁷¹ محمد نصر عبد الرحمن، تاريخ الدولة العباسية في العصر العباسي الأول (السعودية: جامعة الملك فيصل، 2016م)، 163.

⁷² سامي بن عبدالله بن أحمد المغلوث، اطلس تاريخ الدولة العباسية (الرياض: مكتبة العبيكان، 2012م)، 34.

⁷³ نصر عبد الرحمن، تاريخ الدولة العباسية في العصر العباسي الأول، 164.

مشى بعض أبناء الخلفاء على نفس منهج آباءهم بقصد أو بدون قصد ، رغم تكرار نفس الأخطاء تقريبا فقد قرب المأمون وزيره الفضل بن سهل إليه وأطلق يده في الحكم وذلك لاعتزاف المأمون بالجميل الذي أسداه الفضل بن سهل في مساندة المأمون في الوصول للسلطة ، ولكن عندما أحس المأمون بنوايا الفضل وطماعة تخلص منه على الفور .

زادت مساوئ الفرس وشعر الخلفاء العباسيون بالضجر منهم ومن أطماعهم وكانوا يتطلعون لعنصر جديد خال من الانتماءات، بعيدا عن العرب وذلك لعدم ضمان ولائهم، وبعيدا عن الفرس وأطماعهم وكثرة هفواتهم ، واتجهت الأنظار نحو الأتراك كعنصر جديد تقع على عاتقه مساندة الدولة والخلفاء ، وكما كان متوقعا فقد قام الأتراك بدور مهم في بداية الأمر ولبوا طموح الخلفاء ولكن سرعان ما أصبحوا عبئا ثقيلا على الخلافة، أثقلوا كاهلها خصوصا عند مجيء خلفاء ضعاف في العصر العباسي الثاني .

اتسم العصر العباسي الأول بكثرة الصراعات وذلك لوجود قوى مختلفة وكانت هذه الميزة البارزة لهذا العصر وتمحور هذا الصراع في عدة محاور أولها الصراع بين العرب والفرس وإهمال الدولة العباسية للمنطقة الغربية حتى استقلت على شكل دويلات ، وكذلك الحركات والثورات التي عملها الفرس على الدولة والتي انتهت بتقليص نفوذهم واستبعادهم من الحكم والاتجاه نحو الأتراك⁷⁴ . أما الصراعات الداخلية التي تمثلت في البيت العباسي نفسه على ولاية العهد ، فقد قام بعض خلفاء هذا العصر بتولية أبنائهم ولاية العهد بالرغم من أنها لا تنطبق مع وصية الآباء ، كما حصل مع المهدي والهادي والأمين⁷⁵ فكان توريث الحكم دون النظر إلى الكفاءة أو القوة والقدرة على حكم البلاد المترامية الأطراف، ولم تكن الصراعات الداخلية فقط على كرسي الحكم فحسب بل كانت أيضا من منظور ديني كالصراع الذي حصل بين آل بيت الرسول (علويين وعباسيين) ، وكذلك كان الصراع من الناحية الاجتماعية كالصراع بين السلطة الحاكمة الغنية وبين الطبقات الفقيرة من عامة الناس ، وكذلك الصراع بين الدين الإسلامي

⁷⁴ شاكر مصطفى ، دولة بني العباس ، 181/1 .

⁷⁵ نصر عبد الرحمن ، تاريخ الدولة العباسية في العصر العباسي الاول ، 165 .

والعقائد الفارسية القديمة التي نشطت بسبب الزندقة وكان نتيجة هذا الصراع ظهور الكثير من الأفكار الدخيلة التي ظهرت بشكل واضح في الخرمية والراوندية والبابكية.

يعتبر العصر العباسي الأول متمما للعصر الأموي من الناحية الاجتماعية والفكرية وبقيت بعض العادات على حالها مثل وجود الأسواق (كالمربد) والتجادل بالشعر واكتسب العرب بعض فنون الغناء والموسيقى من الفرس منذ العصر الأموي وكذلك دخول بعض العادات البيزنطية مثل ارتداء الحرير واستعمال الخصيان، بالإضافة إلى استعمال القلنسوة الفارسية⁷⁶ أما فيما يخص الحياة الثقافية فقد اعتبر العصر العباسي الأول مكتملا لما قبله، حيث ضم هذا العصر القديم والجديد، فبالإضافة إلى وجود العادات القديمة والشعر العربي والتخصص الديني، نلاحظ وجود عادات جديدة تسربت إلى المجتمع من الأفكار اليونانية والمسيحية⁷⁷ وهذا طبيعي من خلال سياسة الانفتاح والأبواب المفتوحة التي اتبعتها الدولة العباسية. حاز الدين الإسلامي على مكانة كبيرة تناسبه في العالم إذ تطورت وتعددت المذاهب الإسلامية على أوسع وجه مثل الاعتزال والتصوف وعلم الكلام، ومع نهاية العصر العباسي الأول كان نهاية الاجتهاد في الفقه، ونلاحظ أن الروح الدينية سيطرت على هذا العصر وألبست الخلافة لباسا دينيا جعلها تستمر لفترة طويلة محافظه على وجودها.

شهد هذا العصر تقلص النفوذ العربي كثيرا على النقيض تماما من الحكم الأموي الذي كان فيه العرب عنصرا أساسيا ومسيطرًا ، أما في عصر الدولة العباسية فقد ساهم الأعاجم المضطهدون من قبل الدولة الأموية في بنائها من عدة نواح، ولا يعني هذا الكلام أن الدولة العباسية ليست عربية، وإنما عمل الخلفاء العباسيون على الموازنة بين عناصر الدولة عرب وفرس وأتراك⁷⁸

فنظر العباسيون إلى كل فئات الشعب نظرة متساوية، لا يعلو قوم على قوم ولا يقدم نسب على نسب، فكل طبقات الشعب بمختلف شرائحها هم مواطنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وهنا يمكن أن نفهم

⁷⁶ شاكر مصطفى ، دولة بني العباس ، 182/1.

⁷⁷ عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الأول (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2006م) ، 58.

⁷⁸ حمادة ، الوثائق السياسية والإدارية ، 8.

أن الامبراطورية العربية الإسلامية أصبحت في العصر العباسي دولة قوميات مختلفة بعد أن كانت دولة قومية واحدة وهي القومية العربية ، فكان إلى جانب العربي الفارسي والبربري والزنجي و كانوا كلهم جنبا إلى جنب في إدارة وخدمة الدولة العباسية.

تميز هذا العصر بنهضة عمرانية وحضارية كبيرة كان من شواهداها بناء المدن والحوضر الإسلامية ومن أشهرها مدينة بغداد التي بناها أبو جعفر المنصور وأصبحت واحدة من أكبر وأهم المدن الإسلامية وكانت مقرا للخلافة وأحد أهم المراكز السياسية والاقتصادية والثقافية.⁷⁹ ولا شك أن الرخاء السياسي والانفراج في الدولة انعكس إيجابيا على المسارات الأخرى، وأصبح التطور شاملا لكل أركان الدولة من النواحي الإدارية والاقتصادية والثقافية، وبذلك ازدهرت الحركة العلمية وانبعثت الحياة الاقتصادية وكان الخلفاء في هذه الحقبة أقوياء بيدهم زمام الأمور وكان أكثرهم يتمتع بصفات قوية في الإدارة والسياسة. فحكام تلك الفترة وبعد توطيد حكمهم سارعوا إلى تدعيمه عبر برنامج الإصلاح الشامل الذي انعكس على العامة إيجابيا، وبالرغم من أن حركة التأليف ونظم الشعر والترجمة كانت جيدة منذ أيام الخليفة معاوية إلا أنها كانت غير منظمة، وفي العصر العباسي الأول أخذت شكلا رسميا وصارت أكثر تنظيما⁸⁰

كان لاختيار العباسيين للعراق عاصمة لهم أثر في نجاح العراق في دوره السياسي مع الشام أثناء فترة العهد الأموي، وكان نتيجة وقوع العراق على معابر طرق التجارة المهمة فنمت التجارة وازدهرت وأصبح المجتمع العباسي تجاريا زراعيا في حين كان زراعيا فقط وقد وقع اختيار الخليفة أبي جعفر المنصور على بغداد نظرا لأهمية التجارة⁸¹، فأبو جعفر السياسي البارز في الدولة العباسية كان اقتصاديا وتجاريا بامتياز، وإنشأؤه لبغداد يثبت قولنا.

إلا أن سلبية الموقع الجغرافي للعراق كانت في بعده عن البحر، ومع قوة الدولة العباسية انخفض التهديد البيزنطي البحري على الدولة، فعمد العباسيون إلى صرف النظر عن الأسطول البحري، فانعكس

⁷⁹ نصر عبد الرحمن ، تاريخ الدولة العباسية ، 165.

⁸⁰ شاعر مصطفى ، دولة بني العباس ، 176/1.

⁸¹ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر يعقوبي ، البلدان (بيروت : مطبعة الاعلمي، د.ت) ، 9.

ذلك سلبا على الدولة، الأمر الذي شجع ولايات عديدة تقع على البحر من الانفصال كمراكش وتونس، فضلا عن الأندلس التي كانت مستقلة عن العباسيين⁸²

لم يكن لانحيار الدولة الأموية ومجيء الدولة العباسية محلها الحدث المهم من الناحية الحضارية لأن الحضارة جدول يتدفق ترفده الكثير من الروافد على حسب البيئات والظروف، وكان لهذا الاختلاف بالحضارات أثر كبير في تلوين الحضارة الإسلامية ، ولكن لم يؤثر ولم يغيرها بصورة جذرية⁸³.

كان هذا مختصر للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للدولة العباسية في عصرها الأول وقد ضم هذا العصر ثلاث مراحل مهمة نلخصها بمايلي:

1- مرحلة التأسيس : من أهم خلفائها المنصور، ولقد سميت هذه المرحلة باسمه واستمرت ستا وعشرين سنة (132-158هـ / 750 - 775م)

2- مرحلة الاستقرار :ومن أهم رجالها الرشيد والمأمون واستمرت ستين سنة (158 - 218هـ/775-833م) .

3- مرحلة القلق: وكان المعتصم أهم رجالها ، وكانت فترة قصيرة وانتهت بتسلط العنصر التركي على الساحة السياسييه سنة (232هـ / 848م)، بالإضافة إلى فترة حكم المتوكل الذي قتل على يد الأتراك سنة (247هـ./861م)⁸⁴

وكان لهذا العصر تسع خلفاء من أشجع وأدهى رجالات الدولة العباسية وهم :

1- السفاح (132 - 136هـ / 750 - 753م)

2- المنصور (136 - 158هـ / 753 - 775م)

⁸² الدوري ، العصر العباسي الاول ، 58.

⁸³ حمادة، الوثائق السياسية والادارية ،9.

⁸⁴ شاكر مصطفى ، دولة بني العباس ، 1 / 180.

3- المهدي (158-169هـ / 775-785م)

4- الهادي (169-170هـ / 785-786م)

5- الرشيد (170-193هـ / 786-809م)

6- الأمين (193-198هـ / 809-813م)

7- المأمون (198-218هـ / 813-832م)

8- المعتصم (218-227هـ / 833-842م)

9- الواثق (227-232هـ / 841-846م)

10- المتوكل (232-247هـ / 846-861م)

يقسم العصر العباسي الى أربعة عصور هي :

1- العصر العباسي الأول أو العهد الذهبي (132-232 هـ) (750-847م)

2- العصر العباسي الثاني أو فترة النفوذ التركي (232-334 هـ) (847-946م)

3- العصر العباسي الثالث أو فترة النفوذ البويهري (334-447 هـ) (946-1055م)

4- العصر العباسي الرابع أو فترة النفوذ السلجوقي (447-656 هـ - 1055-1258م) ⁸⁵

⁸⁵ شاكر مصطفى ، دولة بني العباس ، 178/1.

1.1.2. العرب والأتراك في العصر العباسي الأول

ان العلاقة بين العرب والأتراك في الفترة الأولى من العصر العباسي الأول كانت مقارنة جدا إلى العصر الأموي، ولكن سريرا ما تغيرت العلاقة بن العرب والأتراك وتلاشت الحروب بينهم ودخل الأتراك في مناصب مهمة في الدولة وفي الجيش وكانت بلاد ماوراء النهر تحت سيطرة الدولة الإسلامية بالكامل، أما بلاد القفقاس كانت تتمتع بالهدوء النسبي مع وجود القليل من الأحداث⁸⁶.

كان للأتراك دور مهم في نشوء الدولة العباسية عن طريق مساعدتهم لأبي مسلم الخراساني ومساندتهم للدعوة العباسية، وهذا لم يكن رغبة بالعباسيين أو اعتقادهم بأنهم أصحاب حق في السلطة وإنما رد فعل على سياسة الأمويين والثأر منهم وخصوصا من نصر بن سياب بسبب كرههم له لأسلوب القسوة والعنف الذي كان يستخدمه ضدهم في الحروب. وما كان انتصار الدعوة العباسية إلا بفضل المقاتلين الأتراك وإصرارهم على أخذ الخلافة من الأمويين.⁸⁷

كانت بداية العصر العباسي مكملة للعصر الأموي فقد نشبت العديد من الحروب في بلاد الأتراك وقد بدأ الأتراك بالانخراط في صفوف المعارضة فانضموا إلى الثورات التي كانت تحدث بين الحين والآخر، ولكن كانت الجيوش العربية هي المسيطرة على الوضع ولم يتمكن الأتراك من مواجهة العرب وجها لوجه لأنهم لم يكونوا بالقوة الكافية ولم تكن لهم دولة ذات قوة كافية، وبقيت ثورتهم ومعارضتهم للدولة ضعيفة لم تشكل خطرا على حدود الدولة العباسية.⁸⁸

من خلال التعمق في التاريخ العباسي نلاحظ الفرق بين الأتراك والفرس في تداخلهم وعلاقتهم بالعرب، فقد كان الأتراك أصحاب أفكار نظيفة ولم يميلوا إلى التعصب، وكانوا بعيدين عن النزعة القومية فهم لم يبذلوا جهودا في إحياء حضارتهم بعدما اختفت على يد العرب، وكانت جميع ثورتهم من خلال

⁸⁶ غرايبة، العرب والأتراك، 16.

⁸⁷ المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، 215.

⁸⁸ غرايبة، العرب والأتراك، 18.

الفرس فقد كانوا تابعين للثورات الفارسية ، كما حدث مع الدعوة العباسية ضد الأمويين حيث دعموا الدعوة وساندوها ولكن تحت لواء أبي مسلم الخراساني.⁸⁹

2.1.2. دور العرب في جبهة بلاد ماوراء النهر

كانت بلاد ماوراء النهر من المناطق المهمة والخطرة التي واجهها العباسيون، وازدادت الخطورة بإرث المشاكل العالقة التي تركها الأمويون دون حل، وكان الخطر متمثلاً بالصين وخلفهم الأتراك الذين ساندوهم ضد الدولة العباسية، كانت الامبراطورية الصينية واسعة النفوذ، اعتبرت آسيا الوسطى لغاية الدولة الساسانية مناطق تابعة لها ، حيث كانت الصين تسيطر على هذه المناطق وعلى طرق التجارة العالمية الممتدة على آسيا الوسطى، حيث عملت السياسة الصينية على مساعدة ومساندة حكام بلاد ما وراء النهر على التمرد ضد الدولة العباسية ، وكانت لسيطرة المسلمين على بلاد ماوراء النهر مدعاة قلق للصين ونتيجة لذلك حاول الصينيون الاستفادة من النزاع الأموي - العباسي لصالحهم وأرادوا استرجاع نفوذهم وسيطرتهم من جديد، وعندما استقرت الأمور للعباسيين من جديد أراد أبو مسلم الخراساني الذي كان حاكم خراسان أن يعمل على استعادة السيطرة على مناطق الأتراك، وكان ذلك سبب اصطدامه بالصينيين⁹⁰، اصطدم زياد بن صالح الخزاعي بالجيش الصيني في منطقة على نهر طراز سنة (133هـ /751م) وكانت هذه المواجهة من المعارك الحاسمة، حيث قتل القائد الصيني، وبحسب رواية ابن الأثير قتل في هذه المعركة ما بين 45-50 ألفاً من الجيش الصيني وأسر (25 ألفاً) وهرب الباقيون إلى الصين⁹¹ وكان لهذه المعركة الحاسمة أثر في تحديد مصير بلاد ماوراء النهر من الناحية السياسية والحضارية ، وكان نتيجة هذه المعركة تراجع التدخل الصيني ونفوذهم في بلاد ماوراء النهر تماماً وبشكل حاسم وتسليمها إلى العرب والدولة العباسية، خرجت الصين من دائرة الصراع بين العرب والأتراك حيث أخذ الأتراك أمور المواجهة مع العرب على عاتقهم ، وابتعدت الصين نهائياً عن السيطرة على طرق التجارة العالمية وتسلمها العرب، وكانت التجارة العالمية هي سبب تغلغل الصين في شؤون الأتراك، وكان

⁸⁹ المصري ، صلات بين العرب والفرس والترك ، 221.

⁹⁰ شاعر مصطفى ، دولة بني العباس ، 1/180/

⁹¹ عز الدين ابي الحسن الجزري ابن الأثير، الكامل في التاريخ (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1987م) ، 449/5.

للاضطرابات الداخلية والفتن والثورات التي حدثت داخل الامبراطورية الصينية دور في انسحاب الصين بشكل نهائي من بلاد ماوراء النهر، ولم يكن انهزام الوجود الصيني من المنطقة بل كانت هناك أسباب جعلت هذا التراجع يأخذ الشكل النهائي، وكان لطلب حاكم الصين المساعدة من الخليفة المنصور لإنهاء الفتن الداخلية في الصين أثر كبير في تقارب الشعبين وفتح محاور جديدة من العلاقات بين العرب والصين، وكان من نتائج هذه العلاقات كثرة التبادل التجاري وزيادة نمو المصالح الاقتصادية بين الشعبين.

لم يكن تراجع الوجود الصيني في بلاد ماوراء النهر هو المكسب الوحيد للعرب بل كانت هناك أمور إيجابية أخرى مهمة أثمرت عنها معارك العرب مع الصين ، حيث كان من بين الأسرى الصينيين من يعمل في تصنيع الورق، حيث كانت هذه الصناعة حكراً على الصينيين، وكذلك تعرف العرب صناعة الحرير وأخذوها من البيزنطيين، وأقام العرب العديد من مصانع الورق في سمرقند وتطورت هذه الصناعة وانتشرت الى أن وصلت بغداد في عهد هارون الرشيد، ومن بغداد انتشرت إلى الشام ومصر والأندلس، وبهذا قدم العرب من خلال الصينيين للحضارة الفكرية العربية أفضل أداة وأرخص وسيلة لحفظ المعلومات والوقائع التاريخية.⁹²

لقد اعتمد العباسيون القسوة والقوة في ترسيخ نفوذهم وسلطتهم في المنطقة والتمدد الإقليمي وهو ما يسمى بسياسة العصا الغليظة، فاستطاعوا إخضاع جبال الغور وكابل وهي مناطق لم يتمكن الأمويون من إخضاعها⁹³. قام العباسيون بأعمال لتثبيت نفوذهم حيث وطنوا الجند وأسروهم في المنطقة التي تحت أيديهم بالتدريج إلى المنطقة التي بعدها، وكان كذلك من ضمن سياستهم هو نشر الإسلام بين الذين لم يدخلوه، وقد كان العباسيون أكثر حرصاً على نشر الإسلام ، فهم بحاجة إلى إظهار سياستهم بوجه شرعي، ويتبين لنا من هذا أن سياسة العباسيين كانت مكتملة لسياسة الأمويين ولم تختلف عنها .

إن المعارضه التركيه وإن كانت قد سكنت كحركات سياسية لكنها ظلت معادية بشكل مستمر للدولة العباسيه وكانوا دائماً في حالة ترقب للأحداث ، ونلاحظ أن المدن التركية كانت دائماً ملجأ للمتمردين

⁹² شاعر مصطفى ، دولة بني العباس ، 349/1-350.

⁹³ شاعر مصطفى ، دولة بني العباس ، 351/1.

والثوار ، ونستطيع أن نقول إن العباسين بدلوا المعارضة التركيه من الوضع الهجومي المباشر إلى الوضع الخفي وهذا كان أول علامات زوال المقاومة التركية



3.1.2. علاقات العرب مع الخزر في العصر العباسي الأول

الخزر: وهي قبائل تركية نشطت قبل الفتوحات الإسلامية بسنوات قليلة وكانت مواطن سكناهم خلف جبال الففقاس بين بحر قزوين والبحر الأسود ومركزهم السهوب ، ثم انتقل مركزهم بعد ذلك إلى مدينة ايتل على مصب نهر الفولغا قرب استراخان الحالية ، بالإضافة إلى وجود بعض القبائل الصغيرة التي تسكن بين الخزر وبين المناطق التي فتحها العرب مثل السرير، الصنارية ،الأن، جرزان كشك الكرج وتسمى هذه الشعوب بالكز وغالييتهم كانوا على الديانة المسيحية⁹⁴.

وكانت هذه المناطق تارة تحت سيطرة المسلمين وتارة أخرى تحت نفوذ الخزر، وكان الخزريون يضعون أيديهم على طرق التجارة المهمة بين الشرق الأقصى والبحر الأسود من جهة وبين منطقة الخلافة العربية والشمال السلافي والاوربي من طرف آخر، حيث كان التبادل التجاري السمة البارزة والمصدر الرئيسي للخزر، وكان ملك الخزر يسمى خاقان .

قام المنصور بتسكين وتثبيت القبائل العربية في تلك المناطق وحصنهم جيدا ، عمل الخزر جولات هجومية ضد الدولة العباسية وكان سبب هذه الهجمات هو استحواذ العرب على طرق التجارة خصوصا بعد المعاهدة بين المنصور وامبراطور الصين⁹⁵

فالمنصور استطاع بالسياسة الاستحواذ على طرق التجارة بعد جولات عسكرية عديدة كانت لصالحه، حيث تغيرت مسار قوافل التجارة من شمال بحر الخزر إلى المرور بأراضي خراسان . وأرسل يزيد السلمي والي اذربيجان وارمينيا إلى المنصور يعلمه بالتهديدات المتزايدة على المنطقة ، فرد عليه المنصور بمقتراح اكتسبه من معرفته بتاريخ الخزر تقول "ان بلاد ارمينية لا تستقيم ولا تصلح لإلمصاهرة الخزر، والرأي عندي أن تصاهر القوم حتى تستقيم البلاد وإلا فإني أخاف عليك وعلى جميع عمالك من الخزر فإنهم

⁹⁴ شاعر مصطفى ، دولة بني العباس ، 354/1.

⁹⁵ شاعر مصطفى ، دولة بني العباس ، 355/1.

إذا أرادوا واجتمعوا غلبوا . فانظر ولا تخالف أمري واجتهد في مصاهرة الخزر والسلام" ⁹⁶ وفعلا أخذ يزيد بالاقتراح الذي جعله صهرا للخزر.

يرجع المؤرخون الحرب التي حدثت مع الخزر بسبب موت ابنة الخاقان حاكم الخزر ⁹⁷، والتي توفيت مسمومة، حيث اعتقد ملك الخزر أن ابنته قتلت عمدا على يد المسلمين فهاجمهم إثر ذلك، ولعل العامل الرئيسي هو الطبيعة الجغرافية لبلاد الخزر وموقعهم بين امبراطوريتين متعاديتين العباسية والبيزنطية ، فكان كلا الطرفين يتحين الفرص ويستغلها لصالحه:

شعر المنصور أن سياسته التي اتبعها في تثبيت العرب في مناطق الخزر غير كافية، ففكر ببناء المدن لزيادة الحماية والتحصين، ومن المدن التي بناها مدينة كمخ، ومدينة الحمديّة، ومدينة باب واق، وارجيل الصغرى والكبرى التي أنشأها يزيد بن أسيد السلمي ،وقام المنصور بإطلاق سراح سبعة آلاف من المسجونين وأرسلهم لبناء هذه المدن ، وقام المنصور بتعزيز الحصون بإنشاء نظام الأجناد، وأسكن فيها المقاتلة وأعطاهم الأرزاق ، كما بعث بعض القبائل ووطنهم في أرمينية وجعل الأرمن مساندين للعرب في أرمينية وأعطاه المنصور أهمية خاصة لأنها مجاورة للحدود ⁹⁸.

إذاً فقد سعى المنصور بذلك لإنشاء جاليات تابعة للدولة العباسية تسري عليهم قوانينها، ويحتكم أبناؤها تحت رايته، وبالتالي إنشاء مدن موالية للعباسيين على حدود البيزنطيين.

وفي عهد المهدي كانت الجهة التركية وبلاد خراسان تتمتع بالسكون إلى حدما حيث كانت سنة(151هـ/768م) آخر عهد للقلاقل والفتن في خراسان، ولم يستمر هذا الهدوء كثيرا ففي سنة(159هـ/776م) انفجرت الكثير من الفتن والثورات التي كان الأتراك من مسانديها مثل ثورة المقنع وثورة

⁹⁶ الكوفي ، كتاب الفتوح ، 241/2-243.

⁹⁷ الكوفي، كتاب الفتوح ، 248/2.

⁹⁸ شاعر مصطفى ، دولة بني العباس ، 361/1.

يوسف البرم في سجستان وغيرها ، وتمكن المهدي من القضاء عليها وإخضاع ملوك الأتراك للدولة العباسية⁹⁹.

وفي عهد الرشيد ظلت الأوضاع هادئة في السنوات الأولى من عهده ، ولكن في سنة (177هـ/793م) حدثت فتنة قام بها التغرغر وتمكن الرشيد من القضاء عليها وإخضاع ملكها خاقان الترك بإرسال جيش كبير بقيادة الفضل بن يحيى إلى خراسان وأحرز نصراً كبيراً¹⁰⁰

من خلال ما سبق نرى أن أغلب الحلول التي اتبعتها العباسيون ضد الثورات القادمة من منطقة ما وراء النهر كانت عسكرية بامتياز بعد فشل العديد من المحاولات السياسية.

إن من أهم وأخطر الاضطرابات والفتن التي واجهت الحدود العباسية هو الحلف التركي - الخراساني الذي حدث أثناء ثورة رافع بن ليث في خراسان عام (193هـ/809م) ، حيث كسب إلى جانبه أهل الشاش وفرغانة واشروسنة وأهل خجندة والصغانيان وبخارى وخوارزم وختل وطخرستان والصغد¹⁰¹. ونشأ هذا الحلف على مبدأ الحقد على الدولة العباسية ، وكان نتيجة سقوط ثورة رافع أن انهار هذا الحلف وتلاشى ورجع ملوك الأتراك إلى الخضوع.

وفي عهد الأمين كان المأمون مسؤولاً عن الجهة التركية وخراسان حيث اتبع سياسة إسلام الترك ، ففي عهده أسلم ملك اشروسنة كاوس التركي فنصبه المأمون على بلاده ومن بعد كاوس نصب ابنه حيدر بن كاوس المشهور بالأفشين.

ظلت علاقات الدولة العباسية مع الخزر طوال فترة العصر العباسي الأول يسودها التخوف والحذر، ولهذا ذهب الكثير من الخلفاء والولاة إلى اتباع أسلوب التوطين القبائل العربية لتثبيت الدولة العباسية،

⁹⁹ شاعر مصطفى ، دولة بني العباس، 2/277.

¹⁰⁰ احمد بن اسحق بن جعفر بن واضح اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، (بيروت :شركة الاعلامي للمطبوعات ، 2010م) ، 2/407.

¹⁰¹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 8/323.

بالإضافة إلى استخدام سياسة العصا الغليظة في الدولة، وهكذا اكتملت الفترة الأولى من علاقات العرب مع الأتراك ، وكان الأتراك أشد الأعداء خطورة وإزعاجا للعرب¹⁰².



¹⁰² شاكِر مصطفى، دولة بني العباس، 281/2-284 .

2.2. دخول الأتراك في خدمة الدولة العباسية (136هـ-754م)

في عهد ابو جعفر المنصور

يقول أحد المؤرخين إن الأتراك يقينا قاتلوا إلى جانب وتحت إمرة أبي مسلم الخراساني بالرغم من أن الكثير من المصادر ظللت حق الأتراك ومشاركتهم في دعم الثورة العباسية، وإضافة إلى ذلك لم تذكر أي من المصادر أدنى دور للأتراك في عهد الخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح¹⁰³

جاء اتفاق جميع المؤرخين على أن الخليفة المعتصم هو من استقدم الأتراك من بلاد ماوراء النهر ومنحهم المناصب وأدخلهم الجيش ، إلا أننا وجدنا أن دخول الأتراك إلى الدولة الإسلامية يعود إلى العهد الأموي أما عند مجيء الدولة العباسية كان المنصور أول من قربهم¹⁰⁴.

عندما استقرت الأوضاع للدولة العباسية أدخل أبو جعفر المنصور الأتراك في الجيش والحرس والبلاط وأسند إليهم وظائف مهمة ومقربة منه شخصيا كحمايته ، ومن أكثر الأتراك الذين ذاع صيتهم في أيام المنصور هو حماد التركي وكان المنصور على ثقة عالية به وكان مؤتمنا على أسرار الدولة¹⁰⁵.

ويقول الجهشاري: "قلد المنصور حمادا التركي تعديل السواد"¹⁰⁶ وفي سنة (136-158هـ/754-775م) قرب المنصور حمادا إليه وعينه في مناصب هامة في البلاط العباسي وأصبح من جلسائه وكان للأحداث دور مهم في تقريب حماد من الخليفة المنصور ونال ثقته واتخذة حاجبا له وأصبح هذا الأمر نهجا سار عليه باقي الخلفاء بأن يجعلوا الحاجب شخصا من الأتراك.¹⁰⁷

¹⁰³ Journal of Turkish studies / Türklük Bilgisi Arastirmaları ,1978: 85-96, (*Türk in Early Muslim service*)12/9/2020. شوهد بتاريخ

¹⁰⁴ زكريا كنجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ومكانتهم في التاريخ الإسلامي (بيروت: دار الثقافة، 1972م)، 109.

¹⁰⁵ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 103/8.

¹⁰⁶ ابو عبد الله محمد الجهشاري ، كتاب الوزراء والكتاب ، (القاهرة: 1938م)، 134.

¹⁰⁷ الكتابي، الترك في مؤلفات الجاحظ ، 110.

أصبح الأتراك في عهد المنصور أشخاصا مقربين من البلاط وجديرين بثقة الخليفة ، وقد جسد حماد التركي هذا الجانب بجدارة ، حيث ساهم في بناء مدينة بغداد وكان حارسا شخصيا للمنصور وكان يهتم بأمره بسيطة ووضعية كتسريح حصان المنصور¹⁰⁸ .

وبعدها تولى فرض الضرائب وأخذ حماد مكانة مرموقة في حاشية الخليفة وبهذا أصبح المنصور أول مستخدم للأتراك ، ومن بعد عهده لم يتوقف التزايد في أعدادهم حتى غلبوا في سلطتهم سلطة الخليفة¹⁰⁹ .

ويجب هنا أن نقول إن دخول حماد التركي في الدولة العباسية لم يكن ضمن خطة مدروسة كما حدث في العهود اللاحقة بل كان من قبيل الصدفة البحتة ، ودليل كلامنا أن عدد الأتراك في البلاط كان محدودا جدا . كان القسم الأكبر من جيش الدولة العباسية في عهد الخليفة المنصور من العرب ، ولما أدخل المنصور الأتراك إلى نظام الجيش كان مسؤولا عنهم وعن تدريبهم وتعليمهم استخدام السيف والنبال وعلى أساليب القتال في الحروب .

فقد كان العنصر التركي أقل عددا من العنصر العربي الذي كان عماد الجيش ، وإدخال الأتراك إلى الجيش أمر طبيعي لجلالية ساندت العباسيين كثيرا عندما ثاروا على الحكم الأموي ، فقد شارك الأتراك في الحروب جنب إلى جنب مع العرب للتخلص من الثورات والفتن المعارضة داخل حدود الدولة وخارجها مثل حركة الخوارج وحركة الوليد الشاري .¹¹⁰

ولقد اهتم المنصور بالموالي وأدخلهم في البلاط والجيش والإدارة وكان من أشهر الذين قربهم المنصور هم عمارة بن حمزة ، والربيع بن يونس¹¹¹ . واستعمل المنصور غلمانهم ومواليه في وظائف الدولة ، ومن برهان عناية المنصور بهم أنه أوكل إلى ولي عهده المهدي قائلا إنه ترك له ثلاثة أمور مهمة ، المال والموالي ومدينة السلام.¹¹²

¹⁰⁸ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 8/103.

¹⁰⁹ شاعر مصطفى ، دولة بني العباس ، 2/430.

¹¹⁰ فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار ، (عمان : دار الشروق، 2009م) 1/25.

¹¹¹ فاروق عمر فوزي ، تاريخ النظم الإسلامية (عمان : دار الشروق ، 2010م) ، 2/262-263.

¹¹² أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 2001م) ، 5/293.

وفي سنة (137هـ - 755م) كما ذكرت المصادر ورد اسم (زهير التركي) وهو حاكم منطقة (همدان) كما كان زهير التركي رئيس قبيلة (هزو) كما جاء ذكر زهير في أعمال مكافحة الشغب التي حدثت بعد مقتل أبي مسلم الخراساني . وكان هناك شخص يدعى (مالك بن هيثم) وهو من الأشخاص القريبين من أبي مسلم الخراساني وقام زهير التركي بإطلاق سراحه بدون رضى الخليفة المنصور¹¹³.

رغم أن الخليفة المنصور قتل أبا مسلم الخراساني زعيم الموالي، وذلك لخوف المنصور من قوته وامتداد سلطته، إلا أن الخليفة المنصور استمر في تقريب الموالي له وأعطاهم مناصب في الدولة، وقبل وفاته قدم نصيحة لولي عهده المهدي قال فيها: "انظر إلى الموالي بلطف وكن طيباً معهم . وحاول أن تقرّبهم منك واجعلهم أصدقاءً جداً لك . لأنك إن كنت في ورطة، فسوف يأتون لمساعدتك . وأوصيك بأهل خراسان على وجه الخصوص لأن هؤلاء هم أعظم وأقرب المساندين لك والداعمين لك، لأنهم ضحوا بملكاتهم وأرواحهم من أجل الدولة العباسية"

114

ونتيجة لهذه السياسة التي اتبعها المنصور يمكن اعتباره أول خليفة استخدم العنصر التركي وفي عهده تولى الأتراك مناصب مهمة في الدولة الإسلامية، ويقول الصليبي إن الخليفة الأول الذي جلب الأتراك من آسيا الوسطى كمماليك هو الخليفة أبو جعفر المنصور وأن الخلفاء الآخرين اتبعوا طريقه¹¹⁵

لا توجد معلومات مثبتة ودقيقة عن حماد التركي ومتى دخوله في البلاط العباسي حيث ورد اسمه في النصوص التاريخية لأول مرة في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، ويقول بعض المؤرخين إنه كان خراساني الأصل ومن هذا لا يستبعد أنه دخل في خدمة العباسيين في بداية الثورة العباسية¹¹⁶.

¹¹³ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 494/7.

¹¹⁴ ابن الأثير، الكامل، 216/5.

¹¹⁵ أبو منصور عبد الملك بن محمد الصليبي، كتاب لطائف المعارف، (لندن: دي جونغ: د.ت)، 15.

¹¹⁶ ابن الأثير، الكامل، 220/5.

أن ماذكرته المصادر فيما يخص حماد التركي يدل على نجاح تاريخه الطويل، حيث حظي بكل هذا الاهتمام والثقة من قبل الخلفاء العباسيين وذكرت المصادر أن حماد التركي كان حاكم ولاية (سيفاد) سنة (152هـ / 769م)¹¹⁷.

وتعيين حماد كحاكم لولاية هو سياسة ذكية من العباسيين الذين أرادوا أن يجمعوا جميع الأعراق تحت رايتهم، ويساوون بينهم في الحقوق والواجبات. كذلك ظهر في عهد المنصور قائد تركي آخر هو مبارك التركي، وكان من أشهر وأقوى القادة الأتراك في عهد المنصور والمهدي والهادي، وجعله المهدي واليا لمنطقة (كازفين) وبنى مدينة هناك وجعلها مركزا لرجاله¹¹⁸

خصص المنصور معسكرات خاصة للجنود الأتراك في العاصمة بغداد، والتي أنشأها لتصبح مركز الخلافة الجديد، اكتسب الجنود الذين تم جلبهم من بخارى إلى بغداد منطقة خاصة بهم عرفت باسم (دربول بخارى) كذلك حددت مدينة (بلخ) للعساكر أيضا¹¹⁹. وربما كان المنصور يطمح لأن ينشئ تجمعاً عسكرياً تركياً حوله وقريبا منه، ودمجهم لاحقا مع عوائلهم بالمجتمع العباسي، فيكونون قوة رديفة جاهزة عند تعرض الدولة لخطر داخلي أو خارجي.

من الأمور البديهة أن يضم الجيش العباسي الكثير من الأتراك حيث كانت الدولة الإسلامية تضع يدها على العديد من مدن الأتراك ومناطقهم لأكثر من نصف قرن تقريبا، وكان الخليفة المنصور على علم ودراية بقدرات الأتراك الجسمانية والقتالية فكان من الطبيعي أن ينخرط الأتراك في صفوف الجيش العباسي عند تشكيل فرق عسكرية من الموالي.

¹¹⁷ الجهمشاري، الوزراء والكتاب ، 134.

¹¹⁸ البلاذري، فتوح البلدان ، 451.

¹¹⁹ Mehmet Emin Şen , *Abbasilerin ikinci Dönemin de Siyasi ve Kültürel Alanda Türkler*, Selçuk ünv. Sosyal Bilimler Ens. Basılmamış Doktora Tezi, 2008, s.41.

1.2.2. الاتراك في عهد المهدي

لم يتغير الأمر كثيرا في عهد المهدي، فعندما جلس المهدي على كرسي الخلافة بعد أبيه سنة (158-169هـ / 775-785م)، مشى على نفس النهج وقرب الأتراك إليه أكثر من العرب والفرس وجعلهم في وظائف الدولة، ومن أشهر من برز اسمه في عهد المهدي هو شاكر التركي وكان من قادة جيش المهدي وذاع صيت مبارك التركي أيضا في عهد المهدي، وحاز الأتراك على ثقة الخلفاء واستحسنهم وذلك لما اشتهروا به من الوفاء والصدق في خدمتهم، وكان الأتراك متمسكين بالخليفة وكثيري الطاعة والولاء له كذلك برز اسم فرج التركي في عهد المهدي وكما أوردت المصادر أنه كان خادما للمهدي الخاص.¹²⁰

إن تعيين أعلى هرم في السلطة لخادم تركي أشبه بحارس شخصي مؤتمن على حياة الخليفة، يكشف لنا عن الثقة الكبيرة التي حظي بها هؤلاء الأتراك. وفي عهد المهدي اضطر الكثير من ملوك الأتراك في بلاد ماوراء النهر إلى الانخراط تحت راية الإسلام وتحت طاعة الدولة الإسلامية ويذكر اليعقوبي، إن المهدي بعث رسولا إلى الملوك يطلبهم الدخول إلى طاعته فكان رد أكثرهم بالطاعة والرضوخ، منهم ملك اشروسنة الأفشين وملك الترك طرقان وملك التغزغر خاقان وملك الصفد الاخشيد.¹²¹

وفي نهاية سنة (169هـ - 786م) ثار في المدينة المنورة الحسين بن علي وتمكن من لف الناس حولة واخذ البيعة منهم ، فكلف المهدي مبارك التركي وأمره بالقضاء على هذا التمرد .وتقول أكثر المصادر التاريخية إن مبارك فشل في قمع هذه الثورة¹²² إن مبارك لم يقف بحسم أمام ثورة الحسين، لأن مبارك أحب آل البيت وقال: "والله لو نزلت الطيور من السماء وتمسك بي خير من أن أدخل شوكة في أهل البيت أو نتف شعرة منهم"¹²³ .

¹²⁰ الجهشاري ، الوزراء والكتاب ، 151.

¹²¹ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 397/2.

¹²² ابن الاثير ، الكامل ، 5 / 266.

¹²³ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 201/8، ابن الاثير ، الكامل ، 5 / 266.

إلا أن هذا الحب الذي اتخذ شكلا دينيا لم يشفع لمبارك التركي أمام الساسة العباسيين، حيث قام المهدي بعزل مبارك من جميع المهام الموكله له وقضى باقي حياته خادما للخيل وحارسا عليها.¹²⁴

إن هذه الشخصيات التركية التي وصلتنا من المصادر الموثوقة من الصعب الاعتماد عليها فقط في الحكم على حالة الأتراك ووضعهم في عصر المنصور والمهدي إذا أن من المستحيل أن يقتصر التواجد التركي في هذه الفترة على شخصيتين أو ثلاثة فقط ولا بد أن يكون هناك أتراك غيرهم لم يذكرهم التاريخ إما سهوا أو أنهم لم يكونوا بالقدر الكافي من الشهرة¹²⁵.

وجاء ذكر يحيى بن داود الحرسى لأول مرة في عهد الخليفة المهدي سنة (162هـ / 778م) في مصر وهذا دليل على وجود القادة الأتراك في الأقاليم والمدن الإسلامية وخدموا تحت راية الدولة الإسلامية ويذكر أيضا أن يحيى بن داود كان من عائلة نبيلة من طبرستان وعين واليا في مصر¹²⁶.

2.2.2. الأتراك في عهد الرشيد

عندما تولى هارون الرشيد السلطة سنة (170-193هـ / 786-809م) تولى الأتراك مناصب كبيرة في قصر الخلافة وجعل حراسه من الأتراك، ويقول الأندلسي في روايته، أرسل الملك الهندي وفدا من السفراء معهم هدايا كثيرة إلى الخليفة هارون الرشيد فأوصى الخليفة هارون الرشيد الأتراك بالانحياز عند مقابلة الوفد ، كما عملوا صفين من الجنود الأتراك يلبسون الدروع ويغطون جميع أجسامهم ماعدا العين¹²⁷. اعتمد الرشيد على الأتراك بكثرة في البلاط العباسي، فقرب إليه فرج التركي ومسرور التركي وهما من الأشخاص المقربين للرشيد ونتيجة لهذه الثقة أوكل الرشيد الى مسرور مهمة القضاء على جعفر البرمكي واعتقال يحيى وفضل البرمكي ، كذلك أعطاه الرشيد منصب إدارة البريد والأخبار والخراطة.

¹²⁴ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 200/8.

¹²⁵ Güzel, *kafesteki Halifeler*, s.13.

¹²⁶ ابو عمر محمد بن يوسف الكندي ، *الوفاة والقضاء* ، (بيروت: 1908م)، 122-123.

¹²⁷ ابن عبد ربه ابو عمر احمد بن محمد الاندلسي ، *العقد الفريد* ، (بيروت: 1983م)، 73/2.

وكذلك برز ثابت التركي الخادم وفرج الرخجي الذي عين في وظائف مهمة في الدولة¹²⁸ تمتع المسلمون في عهد هارون الرشيد بمكانة قوية في المنطقة بسبب ما حققوه من انتصارات كبيرة على الروم، وقد ضم جيش الرشيد كل فئات المجتمع الإسلامي من عرب وموال وخراسانيين¹²⁹

أعاد الخليفة هارون الرشيد تعمير وتأهيل المنطقة الحدودية البيزنطية وأطلق عليها اسم (العواصم) وحصنها بالقوات العسكرية التي جلبها من خراسان، وكانت هذه الوحدات متعددة الأجناس ليست مكونة من الفرس فقط بل كان فيها عدد كبير من الأتراك¹³⁰. وكان أحد المسؤولين عن هذه الوحدات هو أبو سليم فرج التركي الذي كان حاكما على منطقتي أضنة وطرطوس بعدما بناها وعمرها وسكن فيها الناس سنة (170هـ/787م)¹³¹

ومصطلح (العواصم) أطلق على المناطق التي عزلها الخليفة الرشيد عن الجزيرة وأطلق عليها هذا الاسم لأن المسلمين كانوا يهتمون بها من الأعداء عندما يكملون الغزوات ونزل بها عبد الملك بن صالح سنة (173هـ/789م)، ومن هذه العواصم طرطوس التي أعاد بناءها أبو فرج التركي في عهد الرشيد.

كذلك برز اسم أبي سليمان التركي أيضا في عهد الرشيد وتولى مهام أحد الثغور وأعاد بناء مدينة (عين زربي) سنة (190هـ/806م)، الذي احتلها الروم فيما بعد وخرّبوها¹³².

ودب في عهد الرشيد الخلاف داخل البيت الواحد حول كرسي الخلافة، وتعطلت إدارات الدولة وشهدت الدولة ركودا سياسيا كبيرا سببه أبناء الرشيد الثلاثة الأمين والمأمون والمعتز، سرعان ما تحول هذا الركود إلى حرب أهلية بين الأخوة، هذه الحرب التي سحقت كل شيء أمامها وأكلت الأرواح والأموال

¹²⁸ الجهمشاري، الوزراء والكتّاب، 165.

¹²⁹ محمد الحضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية للدولة العباسية، (بيروت: دار القلم، 1986م)، 152.

¹³⁰ Hakkı Dursun Yıldız, *İslamiyet ve Türkler*, İstanbul, 2000, s28.

¹³¹ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 8/ 234.

¹³² شهاب الدين أبو عبد الله المعروف بإقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، د.ت)، 14/ 177.

وأهانت سلطة الخلافة وجرت الرياح بما لايريد الرشيد الذي كان هدفه المحافظة على السلطة بيد العباسين¹³³ .

البرامكة في عهد الخليفة هارون الرشيد

البرامكة أسرة فارسية إيرانية تولوا وظائف كبيرة في العصر العباسي الأول ، وأطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى جدهم برمك، وظهر على الساحة السياسية منهم عدة رجال كخالد البرمكي في عهد الخليفة السفاح سنة (132-136هـ / 749-753م) وتولى منصب ديوان الخراج والجند¹³⁴ .

كانت حياة الرشيد المترفة وتربيته قد صنعت منه شخصية متراخية تتأثر بالمؤثرات التي حولها وخاصة مربيه يحيى البرمكي ووالدته الخيزران التي كانت جارية عربية أخذها المهدي وأعتقها وتزوجها سنة (159هـ / 775م) وكانت ذا سلطه مؤثرة في عهد زوجها وولدها الرشيد. فقد كانت من أشهر النساء اللواتي صنعن القرار السياسي في زمن الدولة العباسية، فهي من النساء المؤثرات في تلك الفترة.

كان الرشيد في بداية الولاية غير مكترث بالمنصب وأراد أن يتخلى عنها لأخيه الهادي لكن وقوف أمه الخيزران ومربيه يحيى البرمكي إلى جانبه منعه من التخلي عن منصب الخلافة، ولهذا السبب احتل البرامكة منصبا كبيرا في البلاط العباسي في عهد الرشيد وتمتعوا بنفوذ ومناصب إدارية كبيرة¹³⁵ . فالخيزران كان لها تأثير كبير على القرار السياسي في البلاط العباسي، واستطاعت ترجيح الكفة لصالح ولدها رغم كثرة المنافسين له.

أوكل الرشيد إلى يحيى بن خالد البرمكي الأمور الإدارية، وأطلق يده في الدولة وكان يحيى قبل تسلم الرشيد السلطة من المقربين جدا للرشيد¹³⁶. تمتع يحيى البرمكي بنفوذ غير محدود وعين أبناءه الفضل وجعفر في الدولة وتسلم يحيى منصب وزيرالتفويض والتنفيذ وأصبح للبرامكة العديد من الصلاحيات تحت

¹³³ عمر فوزي ، عصر القوة والازدهار، 1/190.

¹³⁴ الجهمشاري ، الوزراء والكتاب ، 87.

¹³⁵ عمر فوزي، عصر القوة والازدهار، 1/192 .

¹³⁶ امينوس ابن بطريق ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، (طبعة بيروت: 1909م)، 51

مرأى ومسمع الرشيد، وأصبحوا يستغلون هذه السلطة للوصول إلى ما يريدون. وأطلق الرشيد يد يحيى البرمكي في أمور الرعيه كما يذكر الطبري: "قد قلدتك أمور الرعية وأخرجته من عنقي إليك فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب واستعمل من رأيت واعزل من رأيت وامض الأمور على ما ترى" ¹³⁷.

كان يحيى البرمكي ذا ذكاء وطموح واسع وقد وجه كل إمكانياته لخدمة الرشيد والدولة ظاهريا أما ماخفي فكان يعمل لمصلحته وللوصول إلى أهدافه ، اعتبر المؤرخون أن يحيى البرمكي والخيزران كانا العنصر الفعال والمؤثر في سياسة الرشيد ، وأصبحت دواوين الدولة في عهد الرشيد كلها بيد يحيى البرمكي وكان الفضل بن يحيى البرمكي اليد اليمنى لوالده في أمور الدولة وأصبح واليا على إمارات خراسان وطبرستان وارمينيا ¹³⁸.

وبالرغم من النفوذ الذي تمتع به يحيى البرمكي ، الا انه كان كثير التلاعب ويستخدم طرقا غير شرعية للوصول إلى ما يريد وأقرب مثال على ذلك ما قام به يحيى البرمكي عندما أعطى مبلغ مائتي ألف دينار إلى يحيى بن عبد الله العلوي لدفعه للقيام بتمرد في بلاد الديلم على الدولة العباسية سنة (176هـ/792م) وقام ابنه الفضل بن يحيى بإنهاء هذا التمرد ونال بذلك رضى الخليفة وارتياحه ¹³⁹.

تسلم الفضل بن يحيى الكثير من الوظائف الإدارية في الدولة وأوكل إليه الرشيد تربية ابنه الأمين، وقام الفضل على استحصال البيعة للأمين بولاية العهد، ثم بعد ذلك قلده الرشيد ديوان الخاتم، ثم أخذ منه الرشيد جميع الامتيازات سنة (183هـ/799م) وسخط عليه بسبب معارضة تعليماته في إمام الشيعة موسى الكاظم. ¹⁴⁰

¹³⁷ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 8/146-148.

¹³⁸ عمر فوزي ، عصر القوة والازدهار ، 1/196.

¹³⁹ فاروق فتحي سلطان ، التاريخ الاسلامي في العصر العباسي (132-334هـ) (مطبعة بيروت، 2006م)، 89.

¹⁴⁰ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 8/240.

وأوكل الرشيد إلى جعفر البرمكي الكثير من المناصب الإدارية منها الإشراف على حرس الخليفة والإشراف على الضرائب وهذه من مهام الخليفة حصراً¹⁴¹ وبذلك نال جعفر الثقة الكاملة من الرشيد، فالمناصب التي تدرج فيها لا يمكن أن يحصل عليها رجل عادي وإنما رجل ليس بينه وبين الخليفة حاجز. تميزت العلاقة بين السيدة زبيدة زوجة الرشيد والبرامكة بأنها كانت علاقة متوترة وليست ودية بسبب أعمال البرامكة المناهضة للدولة وكانت زبيدة تعرف بنوايا البرامكة العدائية، وحصلت مشكلة مع يحيى البرمكي بسبب شح الإنفاق عليها فأشتكت إلى الرشيد، ولما سأله الرشيد عن السبب قال له يحيى: "أمتهم أنا في حرمك وتدير قصرك عندك؟ قال لا، فقال لا تقبل قولها علي"¹⁴². وكانت السيدة زبيدة بنت حسب وجاه وأميرة في فضائلها وأدبها وثقافتها والإحسان الذي قامت به للناس في زمانها. ولم يكن لها دخل في السياسة إلا عندما أقبل ابنها الأمين على ولاية العهد واصطدم بأخيه المأمون، أما غير ذلك فلم يكن لها تدخل سياسي أبداً، فهي كممثل أي أم ترغب بأن يكون ابنها قائداً لا مقوداً، وكان الشعب العباسي يحبها كثيراً لفضائلها وإحسانها وكما ورد على لسان الخطيب البغدادي، إنها الوحيدة من بنات بني هاشم عباسية أنجبت ولياً للعهد وما تسلم الخلافة هاشمي ابن هاشميه إلا علي بن أبي طالب (رض) ومحمد الأمين ولد زبيدة¹⁴³

ضم البلاط العباسي حزبين متنافسين، وهم الحزب العربي برئاسة السيدة زبيدة، والحزب الخراساني برئاسة البرامكة وكانت كفة الزعامة العربية هي الأرجح في المسرح السياسي وأعلن ولاية العهد للأمين¹⁴⁴ وكان البرامكة مهتمين كثيراً بإرضاء السيدة زبيدة وأخذها إلى جانبهم خوفاً من ميلها إلى الفضل بن ربيع ومساندته، وتمكن خال الأمين عيسى بن جعفر بن المنصور أن يستميل البرامكة إلى جانبهم وأخذ منهم تأييداً لولاية الأمين¹⁴⁵.

¹⁴¹ تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، *شذوذ العقود في ذكر النقود*، (النجف: 1967م)، 11.

¹⁴² أبي العباس شمس الدين ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (بيروت: دار صادر، 1978م)، 297/1.

¹⁴³ البغدادي، *تاريخ بغداد*، 443/14.

¹⁴⁴ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، 708/5.

¹⁴⁵ أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، *الأغاني*، (بيروت: د.ت)، 70/11.

أكثر الكتب والمصادر التاريخيه من المبالغات التي صنعت من البرامكة أسطورة مبالغاً فيها ،والحقيقة تقول إن عدد البرامكة كان قليلاً جداً على قدر أصابع اليد ومهما كان نفوذهم وسطوتهم فلم يعلوا على نفوذ الخليفة وقوته،والبرهان على ذلك أن الرشيد تمكن بكل يسر وسهولة من التخلص منهم.

تعاظم نفوذ البرامكة في عهد هارون الرشيد لم يدم أكثر من أربع سنوات ، حيث كانت سنة (173هـ /790م) التي توفت فيها الخيزران أم الرشيد هي بداية لأفول نجمهم ، ولم يكن بسبب أن الخيزران كانت الداعمة ليحيى البرمكي بل إن وفاتها جعل يحيى البرمكي يتصرف براحة وبانفتاح أكثر مما نبه الخليفة إلى خطورة نفوذهم وثقلهم في الدولة.¹⁴⁶

أسباب سقوط البرامكة

لم يكن سقوط البرامكة بين ليلة وضحاها بل كان نتيجة تراكمات جعلت الخليفة الرشيد يتخذ هذا القرار حيث أثارت سطوتهم السياسية وتسلطهم في الدولة والمجتمع حفيظة الرشيد، حيث كان جعفر البرمكي يعتبر نفسه بمقام الخليفة ، كذلك كان يحيى البرمكي يملك وزارتي الدواوين والخاتم وهما من اختصاص الخليفة. فأساؤوا في بعض الأحيان استخدام السلطة لمنافع شخصية، وكان السبب الآخر الذي لا يقل أهميه عن الأول هو انحصار الأموال والثروة عندهم، حيث إن إنفاقهم تخطى إنفاق الرشيد رغم شهرته بالكرم والبذخ، واشتهروا بادخارهم للأموال ، وتذكر بعض المصادر أنهم منعوا عنه الأموال . والسبب الثالث هو رغبة البرامكة في الجدل والكلام الكثير في الدين والسياسة ، ويذكر المؤرخون أن جعفر البرمكي أعطى إذناً للعلويين بالحديث في أمور النص والعقيدة في مجلسه وهذا على غير رغبة الرشيد، ولقد اتهم البرامكة بالتشيع لهذا السبب. والسبب الرابع يرجع إلى المجموعات المعارضة للبرامكة وكان يمثلهم الفضل بن ربيع حاجب الرشيد الذي ملأ قلب الرشيد ضدهم ، ولا يغيب عن بالناكره الهاشميين لهم.¹⁴⁷

¹⁴⁶ عمرفوزي، عصر القوة والازدهار ، 1/196

¹⁴⁷ عمرفوزي، عصر القوة والازدهار ، 1/199-200.

ويرجع ابن خلدون سبب نكبة البرامكة إلى أفعالهم فقال: " وكان سبب نكبة البرامكة بسبب تسلطهم على الدولة واستحلالهم أموال الجباية حتى أن الخليفة الرشيد عندما كان يريد القليل من المال لا يصل إليه، فاستضعفوه وأصبحوا شركاء معه في السلطة، ولم يكن قادرا عليهم..."¹⁴⁸

إذا فقد أساؤوا لسلطتهم وشكلوا دولة داخل دولة فكانوا تيارا موازيا له تأثير ضد سلطة الخليفة، فما كان للرشيد من خيار إلا أن يأمر بسحب البساط من تحتهم وأخذ كل أموالهم وأراضيهم وممتلكاتهم، فأصدر الرشيد قرارا بقتل جعفر البرمكي ووضع جثته على جسر بغداد، وبالغ الكتاب والمؤرخون بوصف نكبة البرامكة وكأنها مجزرة والحقيقة أن الرشيد أمر بقتل جعفر فقط، أما يحيى والفضل فقد سجنوا وتوفي يحيى سنة (190 هـ / 805م) والفضل سنة (193 هـ / 808م)¹⁴⁹

وكان القضاء على البرامكة بهذه السهولة دليلا على استحكام قوة الخليفة عمن سواه، وضعف الأقاليل والآراء التي تفند وتدعم دور الموالي وسلطتهم في الدولة والحياة العامة.

¹⁴⁸ عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ، المقدمة ، (القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، 2004م)، 15/2 .

¹⁴⁹ عمر فوزي، عصر القوة والازدهار ، 200/1.

3.2.2. الأتراك في عهد الأمين والمأمون

مع انتهاء الفترة الأولى من حكم العرب وسيطرتهم بشكل منفرد على السلطة، اختفى الفارق الطبقي بين العرب والموالي والخراسانيين وتم استقطاب رجال من الموالي والخراسانيين إلى الدولة وإعطائهم مناصب حيوية في الإدارة، ولذلك كما سبق وأن ذكرنا برزت العديد من العائلات الإيرانية وطغت سلطتهم على سلطة الخليفة مثل البرامكة والطاهرين وقد أقلق هذا التسلسل الخلفاء العباسيين وخافوا من أن تخرج السلطة من تحت أيديهم، فعملوا على تصفية عائلة أبي مسلم الخراساني وعائلة البرمكي من أجل إبقاء السلطة بأيديهم، وكان هذا الوضع كفيلاً بزعة الثقة بين الجانبين.¹⁵⁰

قرر الخليفة هارون الرشيد تعيين ابنه الأصغر الأمين في ولاية العهد سنة (175هـ/784م) بدلا من ابنه الأكبر عبدالله الذي كانت والدته جارية إيرانية، وذلك بسبب ضغط زبيدة على الرشيد والعائلة العباسية الهاشمية¹⁵¹ وبعد مرور خمس سنوات أعلن الرشيد تعيين عبدالله المأمون الوريث الثاني للعرش، خشي الرشيد من صراع أولاده على عرش الخلافة فقرر تعيين أولاده الثلاثة الأمين والمأمون والمؤمن بالترتيب على العرش وكان هذا في موسم الحج (186هـ-802م) وحاز هذا القرار على تأييد الشعب والجيش وتمت المبايعة.¹⁵²

ومما يذكر في هذا الموضوع أن السيدة زبيدة لم تتدخل في السياسة قط وكانت جميع نشاطاتها اجتماعية وخيرية، إلا أنها حزنت حزنا شديدا عندما أراد الرشيد في بادئ الأمر تولية ابنه المأمون ولاية العهد لأنه أكفأ من الأمين وذو ثقافة وحلم وذكاء، فلما وصل مسامع زبيدة ما كان ينوي أن يقوم به الرشيد دخلت عليه تعاتبه أشد معاتبة فقال لها الرشيد: "ويحك إنما هي أمة محمد ورعاية من استرعاني الله تعالى مطوقا بعنقي وقد عرفت ما بين ابني وابنك، ليس ابنك يازبيدة أهلا للخلافة ولا يصلح للرعية"¹⁵³

¹⁵⁰ Güzel, *kafesteki Halifeler*, s.17.

¹⁵¹ محمد بن علي ابن عمران، *الانباء في تاريخ الخلفاء*، (القاهرة: 1999م)، 97.

¹⁵² عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*، (بيروت: 1995م)، 111/9.

¹⁵³ عمر رضا كحالة، *أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام*، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، 2، 17-19.

ورغم هذه المقارنة ورغبة الرشيد في تولية ابنه المأمون الآن زوجته زبيدة اصرت على طلبها وكان لها ماأرادت وفي سنة (193هـ / 809م) توفي هارون الرشيد، وسارت الأمور كما هو مخطط لها وتسلم الأمين السلطة، لكن الأمين رأى في إخوته خطراً عليه وأراد إبعاد عبد الله المأمون وقاسم المؤتمن من ولاية العرش وكان هذا بمساعدة الأسرة العباسية سنة (195هـ / 810م) وتنصيب ابنه الصغير موسى ولياً للعرش من بعده.¹⁵⁴ وفي هذه السنة أرسل الخليفة الأمين إلى المأمون رسالة لغرض ترك ولاية العرش لابنه موسى والرجوع إلى بغداد، رفض المأمون دعوة أخيه بالتخلي عن العرش فبعث له الأمين جيشاً كبيراً واعتبره ثائراً، وكان على رأس جيش الأمين طاهر بن الحسين وهو أحد قادة جيش المأمون، ومن هنا بدأت الحرب بين الأخوين وكان العرب مع الأمين ومساندين له والموالي من الفرس إلى جانب المأمون، ودام هذا الصراع بين ثلاث سنوات انتهى بتغلب جيش المأمون على جيش أخيه ودخل بغداد في محرم سنة (198هـ / 813م) وقتل الخليفة الأمين.¹⁵⁵

في الحقيقة لم يكن الصراع على السلطة بين الأمين والمأمون بل كان بين القوى العربية والفارسية، فبعد وفاة الرشيد صارت تغيرات في أجهزة الدولة الإدارية، وصار عند العرب السلطة الأقوى في الدولة ضد الإيرانيين الذين تضاءلت قوتهم بعد القضاء على أبي مسلم الخراساني والبرامكة، لكن الإيرانيين لم ينتهوا عن عزمهم ودخلوا في صراع ضد العرب للظفر بالسلطة برئاسة المأمون وأمه الجارية الإيرانية مراسيل ضد الأمين الذي كان من أم وأب عربيين هاشميين، ولعب وزير الأمين الفضل بن رباح ووزير المأمون الإيراني الفضل بن سهل دوراً كبيراً في هذا الصراع حيث كان كلاهما يتنافسان بشكل شخصي على النفوذ والسلطة فلكل خليفة جند وقوم يدعمونهما في حربهما، ونسب أمهاتهما كان له الدور الأكبر في تحديد وتجنيد الداعمين لكليهما وفي رسم السياسة بالقوة العسكرية.

اهتزت ثقة المأمون بالعرب والفرس بسبب الأحداث التي مرت بها الدولة العباسية عندما كان في (ميرف) أراد المأمون قوة جديدة تقف بجانبه وتكون مرتبطة به دون أي اعتبارات أخرى و تكون غير مهتمة

¹⁵⁴ ابن عمران ، الأنباء في تاريخ الخلفاء، 89.

¹⁵⁵ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، 478/8.

بالوصول إلى السلطة، وقد تعرف على الأتراك عن قرب عندما كان في خراسان، كان الأتراك قوة بديلة يمكن أن تعارض نفوذ القوى العربية والفارسية في الدولة العباسية ويمكن أن يكونوا قوة توازن في الامبراطورية العباسية من الناحية السياسية والعسكرية، حيث كانوا يتمتعون بقدرات عسكرية عالية جدا ويتمتعون بالشجاعة وعندهم حماس ولم يعرفوا الرفاهية ولا الترف ولم يدخلوا في النزاعات السياسية والدينية لأنهم حديثو العهد بالإسلام¹⁵⁶

وكان هناك سبب آخر لاختيار الجنود الأتراك من قبل الخلفاء العباسيين وهو العداء القبلي والحروب التي كانت موجودة بين القبائل العربية لعدة سنوات، فالقبائل العربية المعروفة بعرب الشمال والجنوب حدثت بينهم حروب طويلة من أجل السلطة خلال العهد الأموي مما أدى إلى ضعف السلطة في الدولة والفوضى في الإدارة، وخلال الثورة العباسية كان العرب الجنوبيون وهم (ربيعة) وعرب الشمال المعروفون ب(مضر) يدعمون الأمويين¹⁵⁷ ولهذا السبب تحرك الخليفة المأمون لجمع الأتراك في جيشه وجعلها سياسة دولة.

لم نجد في المصادر التاريخية توقيت وزمن دخول الجنود الأتراك إلى الجيش العباسي في عهد المأمون ومتى بدأ تجنيدهم في الوحدات العسكرية، وكما سبق وذكرنا أن المأمون تعرف على الأتراك خلال فتره حكمه لخراسان ونتيجة الأحداث السياسية التي مرت تقرب المأمون من الأتراك أكثر. والأقرب إلى الواقع أن المأمون أدخل الأتراك إلى الجيش بعد رجوعه إلى بغداد كما يروي ابن قتيبة أحداث عام (214هـ- 829م) حين أمر الخليفة المأمون أخاه المعتصم بجمع الشباب التركي للجيش، وشجع المأمون بضم الجنود التركي قائلا: "انهم قوم شجعان ولا توجد أمة أخرى ترمي سهامها طيبة وتقاوم العدو".¹⁵⁸ وبهذا سعى المأمون لاستقدام أمة غير معتادة في المجتمع العباسي، قوة خارج قطبي مكونات الدولة من العرب والفرس

¹⁵⁶ Güzel, *Kafesteki Halifeler*, s.18-20.

¹⁵⁷ Bozkurt, *Olusun Aşamasında Abbasi ihtilali* s.43.

¹⁵⁸ ابو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ابن قتيبة، المعارف، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م)، 391.

ولم ييخل أو يتردد في دفع مبالغ كبيرة لشراء المماليك الأتراك بل على العكس يقال إنه دفع 200 ألف درهم ثمن مملوك تركي واحد.¹⁵⁹

ويذكر اليعقوبي معلومات حول دخول الأتراك إلى الجيش العباسي خلال حكم المأمون، ويقول جعفر الحشاشي: "في أيام المعتصم والمأمون كان من أجل شراء الأتراك ذهبت إلى سمرقند وكنت أجلب الكثير من الأتراك كل سنة وهكذا في زمن المأمون حيث أصبح عند المأمون مايقارب ثلاثة آلاف رجل تركي، وعندما جاء المعتصم أكثر من البحث عن الأتراك، حتى أنه اشترى عبيد الناس في بغداد، كان العبيد الأتراك الذين اشترؤهم من بغداد يشكلون أعدادا كبيرة ومنهم أشناس التركي، النعيم بن حازم العبد، سلام بن الأبريشي، وصيف عبد النعمان صانع الدروع، والفضل بن سهيل"¹⁶⁰

وفي أحيان أخرى كان حكام الأقاليم يرسلون الجنود الترك إلى الخليفة في بغداد حيث أرسل حاكم خراسان عبد الله بن طاهر (2000) شاب تركي إلى المأمون وكان من ضمنهم طولون والد احمد بن طولون.¹⁶¹ الذي نال ثقة الخليفة المأمون في وقت قصير وتم تعيينه كحارس لحماية ممتلكات الخليفة الخاصة.¹⁶² وأسس ابنه أحمد الدولة الطولونية فيما بعد وأصبح طولون من المقربين للمأمون وعينه رئيسا للحرس ولقبه (بأمير الستر)¹⁶³ وظل في مقامه هذا حتى ولاية المعتصم. ولم يقتصر عهد المأمون على طولون بل برز العديد من القادة الأتراك منهم (كاوس والد الأفشين) الذي كان حاكم أشروسنه، وكذلك قرب المأمون أبناءهم فيما بعد، وأعطاهم مناصب إدارية وعسكرية مهمة.¹⁶⁴

اتخذ المأمون موقع الخلافة بدعم من المحافظات الشرقية وكانت سياسته تعتمد على حماية الموالي، وبقي المأمون تحت تأثير الفضل بن سهيل حتى بعد اعتلائه للعرش، وقرر في بداية خلافته البقاء في ميرف وعدم

¹⁵⁹ ابو الفضل احمد بن ابي طاهر بن طيفور، كتاب بغداد، (القاهرة: 1949م)، 80.

¹⁶⁰ اليعقوبي، البلدان، 55.

¹⁶¹ جمال الدين ابي المحاسن يوسف ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، (بيروت: 1992م)، 3/3.

¹⁶² ابي محمد عبدالله بن محمد البلوي، سيرة احمد بن طولون، (القاهرة: المكتبة الثقافية، د.ت)، 33.

¹⁶³ الكتاجي، الترك في مؤلفات الجاحظ، 114.

¹⁶⁴ البلاذري، فتوح البلدان، (بيروت: 1987م)، 437.

العودة الى بغداد، وكان نتيجة هذا القرار ردود فعل قاسية حيث بايع أهل بغداد ابراهيم المهدي سنة (201هـ / 817م)¹⁶⁵

في عهد المأمون احتل الأتراك مكانة مهمة في الجيش العباسي من حيث كثرة عددهم والنفوذ الذي احتلوه وخصوصا في السنوات الاخيرة من حكمه، ومن أبرز من لمع من الأتراك في عهد المأمون الأفشين، وايشناس، وبغا الكبير ،الذين لعبوا أدوارا مهمة في الساحة السياسية في عهد المعتصم ومن جاء بعده .
166

أصبح الأتراك قادة الجيش العباسي في عهد المأمون واحتلوا مناصب إدارية من الدرجة الأولى ، وخرجوا مع الخليفة في رحلات استكشافية، وتم توليتهم حكاما للكثير من المقاطعات الكبرى التابعة للدولة العباسية . كما كان للأتراك أنشطة عسكرية مهمة فقد تصدوا للعصيان الذي حدث في زمن المعتصم من الخارجي مهدي بن اولفان الحريري، وقام بهذه المهمة أشناس التركي الذي برز اسمه كثيرا ولعب دورا مهما في الساحة السياسي ، كذلك في نفس هذه العملية برز القائد التركي (سعيد بن سحور)¹⁶⁷ .

ادت الظروف التي كانت قد عصفت بالدولة العباسية منذ الصراع بين الأخوين حتى عهد المتوكل إلى إجبار الخلفاء على التفكير بالعنصر التركي كمساند للدولة لابتديل له، فكانوا يبحثون عن بديل قوي ومحارب شرس خال من الانتماءات، فوجدوا ضالتهم في سكان بلاد ماوراء النهر وتركستان.¹⁶⁸ فقد أراد الخلفاء من خلال استخدام الأتراك إيجاد قوة وتركيبية بشرية جديدة لاستخدامها ضد المؤامرات الداخلية والخارجية.

ونتيجة لذلك أولى المأمون عناية وتركيز بإسلام سكان بلاد ماوراء النهر وكما ذكر البلاذري: كان يرسل إلى عماله في بلاد خراسان ويأمرهم بغزو من لم يكن على الرضوخ والإسلام والامتثال لأوامره من

¹⁶⁵ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 562/8.

¹⁶⁶ Yıldız , *İslamiyet ve Türkler*,s.97

¹⁶⁷ ابن الاثير ، الكامل ، 241/6.

¹⁶⁸ الخضرى بك ، تاريخ الأمم الإسلامية للدولة العباسية ، 284-280.

أهل ماوراء النهر، فيرسل رساله يعطون الفريضة والرواتب لمن يريد الديوان ويرغب في الفريضة من أهالي تلك المناطق وملوكهم وأبنائهم ويجذبهم له بالرغبة، فإذا جاؤوا بابه شرفهم وغدق عليهم من الأرزاق¹⁶⁹.

لقد عرف العرب إمكانية وقدرات سكان بلاد ماوراء النهر وتركستان القتالية والحربية ولهذا كان لابد من إشراكهم في الحروب معهم لتحقيق مبدأ السلامة والحفاظ على حدود الامبراطورية الإسلامية.

وفي عهد المأمون تعرضت الاسكندرية لهجوم من قبل بعض العصابات القادمة من الاندلس عن طريق البحر وزعزت الأمن في البلاد، فعين المأمون عبد الله بن طاهر واليا هناك، وأمره بالحفاظ على السلام في المنطقة وفي (211هـ/827م) خرج عبد الله إلى مصر على رأس قوات من الجيش وكان هناك قائدان تركيان هما عباس وهاشم¹⁷⁰

وخلال الحرب مع البيزنطيين سنة (215هـ/830م) بعث المأمون أشناس التركي من ضمن جيشه إلى (قلعة نيفشيهير) وتمكن من إخضاعها وفتحها، وبعد رجوعه إلى مصر بدأت من جديد القلاقل والاضطرابات، فذهب القائد التركي المعروف بالأفشين إلى مصر بأمر من المأمون وأخفى التمرد¹⁷¹

وهنا نرى مؤشر الاعتراف بالقادة الأتراك كقوة تنفيذية قادرة على تحقيق وتأمين السلامة من الفتن والاضطرابات ضمن الدولة، فقد كان لكثرة الاضطرابات والمشاكل التي شهدتها عهد المأمون أثر في نية المأمون من الإكثار من الأتراك، وكان وزراء المأمون وقادة الدولة مؤيدين هذا الرأي، فكانوا يرون أن الأتراك نظيفو القلوب ولا يضر الهواء طبيعتهم وعقولهم ومعتقداتهم، وانتماءاتهم نظيفة صافية وبالإضافة إلى كل هذه الصفات الجميلة يتميزون بشجاعتهم وبسالتهن في الحروب ويختلفون عن باقي الأمم والشعوب

172

¹⁶⁹ البلاذري ، فتوح البلدان ، 528-529.

¹⁷⁰ الكندي ، الولاة والقضاة ، 183.

¹⁷¹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 625/8.

¹⁷² الكتاجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، 116.

لكن مع كل هذا فقد اختلف المقربون من المأمون في مسألة إدخالهم إلى الجيش والاستعانة بعنصر الأتراك في الدولة ، وكان هذا الموضوع مثار جدل في المجالس، وهذا ما حصل في مجلس الخليفة المأمون الذي كان يحتوي على عدد من الوزراء والقادة الذين لهم مكانة عالية عند المأمون، فأراد المأمون أن يسمع منهم فبعث لهم رسولا قال لهم: " يبلغكم أمير المؤمنين متفرقين ومجتمعين ليدون كل شخص منكم دعواه وحجته وليكتب أيا أحب إليه إذا كان في رفقته وصحبه والمؤمن له أن يقابل مائة تركي او مائة خارجي". ولقد كان هدف المأمون في عرض هذه المسألة للنقاش فيها هو للتيقن والاطمئنان من اختياره وحسن ظنه بالأتراك ، وكان رد الجموع الحاضرة هو تفضيل لقاء الأتراك على الخوارج ، وعارضهم الرأي أحد الحاضرين وهو حميد بن عبد الحميد وقال: " بل ألقى مائة خارجي أفضل لي، لأنني نظرت إلى الخصال التي فضل بها الخارجي جميع المقاتلة غير تامة في الخارجي ووجدتها تامة في التركي . ففضل التركي على الخارجي بقدر فضل الخارجي على سائر المقاتلة " ¹⁷³ ، وانتهى المجلس بتأييد كلام حميد ابن عبد الحميد . وعندما وصلت اخبار ما قيل في هذه الجلسة الى المأمون، ايد كلام حميد وصرف فكره عن استقدام الجنود الأتراك .

ومما تقدم يتضح أن المأمون لم يستطع إدخال الأتراك بشكل كبير إلى الجيش وتحقيق فكرته بشكل كامل واقتصر على عدد محدود منهم، وذلك بسبب أنه كان محاطا بالقادة العرب وبسبب تعصبهم للعربية، لم يشجعوا المأمون كثيرا على فكرته، لكن في عهد أخيه المعتصم اكتملت الفكرة تماما واتجهت نحو التطبيق، وهذا ماسوف نتطرق إليه في الفصل القادم .

سار المأمون على سياسة أبيه في بلاد ماوراء النهر حيث أعطى بلاد خراسان لطاهر بن الحسين في أواخر ذي القعدة سنة (205هـ/821م) وأراد المأمون بهذا التصرف أن يرتاح من أعباء تلك المنطقة، ودام حكم الطاهرين فيها حوالي نصف قرن (205-260هـ/821-873م) وتناوب على الحكم خمسة أمراء. ولم يكن للعرب أي دور يذكر في بلاد ماوراء النهر بعد ان تسلمها الطاهريون وجاء وراءهم

¹⁷³ الجاحظ، مناقب الترك ، 1/40-41.

السامانيون . ولم تكن علاقة العرب بالأتراك كما كانت من قبل بل صار الأتراك جنودا للسلطة العباسية
وأمرء على الأقاليم العربية.¹⁷⁴



¹⁷⁴ غراية ، العرب والأتراك ، 20.

3. المعتصم والأتراك (218-227هـ / 833-842م)

وهو أبو اسحاق محمد المعتصم ابن الخليفة هارون الرشيد ابن جارية تركيه اسمها (مارد)¹⁷⁵ ولد سنة (178هـ/794م)، وعلى الرغم من أن والده الرشيد عين ابنائه الثلاثة على التوالي، إلا أنه لم يسمّ المعتصم وريثاً له. ولم يعطه الولايه مع إخوته، ولم يحظ المعتصم بالاهتمام الكافي، وتشير المصادر التاريخية إلى أن المعتصم لم يحظ بالتعليم الكافي وكان أقرب إلى الأميه¹⁷⁶. وبنظره عامه للأحداث لم يكن المعتصم مرشحاً للحكم ولكن أمواله وقدراته فتحا له أبواب السلطه على مصراعيها، وللأقدار فإن جميع من أتى بعد المعتصم من الخلفاء كان من أولاده.

ببيع المعتصم بعد وفاة أخيه المأمون، فعارض الجيش هذه البيعه وهتفوا باسم العباس ولد المأمون، فبعث في طلبه المعتصم، فجاء لمبايعته وتم ذلك، ثم قابل الجيش وقال لهم: " ماهذا الحب البارد؟" لقد قدمت الولاء والمبايعه لعمي المعتصم¹⁷⁷، وانتهى بذلك الأمر وباع الجيش المعتصم أيضاً. قام المعتصم بتدمير مدينة طوانه¹⁷⁸ بالكامل، وأخذ ماكان فيها من الأسلحة والآت وأحرق المدينة، وقام بإرجاع أهلها إلى بلادهم الأصلية، وسار إلى بغداد برفقة العباس بن المأمون وكان هذا في شهر رمضان.¹⁷⁹

كان يسمى المعتصم بالخليفة "المثمن" لأنه ثامن الخلفاء العباسيين، واستمر حكمه في العرش ثمان سنوات وثمانية أشهر وثمان أيام، وحقق ثمانية فتوحات على أعدائه، ومات عن عمر الثمانية والأربعين عاماً، وكان أولاده ثمانية بنين وثمان بنات.¹⁸⁰

¹⁷⁵ عبد الرحمن بن ابو بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، (قطر: 2013)، 520.

¹⁷⁶ البغدادي، تاريخ بغداد، 548. السيوطي، تاريخ الخلفاء، 520.

¹⁷⁷ ابن الاثير، الكامل، 11/6.

¹⁷⁸ طوانه وهي مدينة في سلفوس امر المأمون ابنه العباس في بنائها، وكانت تتميز بسور من ثلاث فراسخ وعدة ابواب (اربع ابواب) وتم وضع في كل باب من ابوابها حصناً، وتم نقل الناس اليها من البلدان بأمر من المأمون، وتم صرف الارزاق لهم، حيث اعطى لكل فارس مائة درهم، ولكل رجل اربعين درهم. ابن الاثير، الكامل، 13/6.

¹⁷⁹ ابن الاثير، الكامل، 13/6.

¹⁸⁰ ابن كثير، البداية والنهاية، 295/10.

صفات المعتصم

تميز المعتصم بأنه كان ذا بشرة بيضاء، أصهب، ذا وجه جميل وحسن مائل إلى الحمرة، ذا طول متوسط وحسن، عريض الصدر، قوي البدن، جميل العينين، ذا لحية طويلة لم تشب، وقد تميز بشجاعته وقوته.¹⁸¹ وكان من شدة شجاعته يقال عنه إنه كان يصارع الأسود، ويثني الحديد، وكان رجل قتال، ولم تذكر المصادر أين تدرب على القتال، وكان أشجع رجالات بني العباس وكان هذا الأمر واضحاً في حروبه الداخلية والخارجية والتي قادها ضد المتمردين والبيزنطيين، وكان هذا سبب تقرب المأمون له أكثر من ابنه العباس، بسبب حاجة الدولة إلى هكذا مقاتل لايهاب الموت، حيث كانت الدولة العباسية مهددة من الداخل والخارج من قبل أعدائها.¹⁸²

كان المعتصم شديد التعصب وكثير الانفعال والغضب إذا أراد شيئاً، غير مهتم لما يصدر منه عند الانفعال، لهذا السبب كان حازماً ضد معارضيه في قضية خلق القرآن، وفي نفس الوقت كان يشهد له بحسن الخلق وحلو العشرة، ودليل على شهامته هو تلييته لنداء امرأه عرييه أسيرة عند البيزنطيين عندما استنجدت بقولها: (واه معتصماه)، فدفعه هذا النداء إلى استنفار الجيش واقتحام حصن عموريه كذلك يذكر أنه في يوم ممطر غرق حمار شيخ كبير في الطين وكان حاملاً شوكة، فهرع المعتصم لمساعدته بنفسه، فهو قريب من الناس وكان كريماً كثير العطاء، كما يذكر قاضيه وهو من أقرب الأشخاص له، وربما هذا ماجعله يبالغ في ذكر محاسنه¹⁸³، وكما ذكرنا سابقاً كان المعتصم قليل الثقافة وهذا يفسر أن انحيازه وتعصبه للمعتزلة كان من باب الاستمرار على نهج سياسة اخيه المأمون لا عن درايه وعلم بالأمور الدينية، وهذا ما يفسر لنا قسوته مع أهل السنة وكان خشن التعامل معهم ويذكر اليعقوبي كيف أمر بمعاينة أحمد بن حنبل وضربه بالسياط وحبسه لأنه فقط لم يعترف بأن القرآن مخلوق.¹⁸⁴

¹⁸¹ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 7/11.

¹⁸² شاكر مصطفى، دولة بني العباس، 413/2.

¹⁸³ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 8-7/11.

¹⁸⁴ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 198/3.

كان المعتصم جنديا مدربا على القتال والحرب إلا أنه لم يكن سياسيا محنكا، كان غالبا ما يكرس وقته واهتماماته لبناء قوته الجسمانية، فالنقص الذي كان عنده من الناحية العلمية ربما دفعه إلى تعويضه ببناء جسمه، وعمل المعتصم أيضا على حصر نفسه تحت ظروف كان يظنها سبب قوة الخلافة ونهوضها إلا أنها في الحقيقة صارت من عوامل تدمير الامبراطورية العباسية، حيث استبدل العاصمة بغداد بسامراء وكان يظن أنه بهذا العمل سوف يتخلص من الضغوط والمشحانات التي كانت تحدث في بغداد، فأصبح سجيناً في عاصمته الجديدة لأنه كان محاطاً بالعساكر فقط، وصنع لنفسه درعا من الأتراك ليستند عليهم، ولم يهتم لأصولهم حيث أن الأتراك كانوا بلا ثقافة ولا انتماء وبلا جذور يعودون لها، وكان مبتغاهم المال فقط ، وكان نتيجة هذه السياسة الفقيرة لبعد النظر أن دفع الخلفاء من بعده والدولة العباسية الثمن¹⁸⁵ وهو ثمن انتزاع القرارات السياسي والعسكري من أيدي الخلفاء العباسيين شيئا فشيئا.

¹⁸⁵ شاكراً مصطفى، دولة بني العباس، 416/2.

1.3. دخول الأتراك البلاط العباسي في عهد المعتصم

كان الحدث الأبرز في الدولة العباسية هو تولي المعتصم عرش الخلافة، حيث قام بتجميع الأتراك حوله بكل الطرق الممكنة وكان لهذه السياسة عواقب مهمة في مستقبل الدولة، وفي الوقت نفسه كان لوجود الجنود الأتراك بجانب المعتصم دور كبير ومساند للمعتصم حيث حقق القادة الأتراك مثل (الافشين واشناس وبغا الكبير) نجاحات كبيرة في الجيش العباسي وكانوا تحت إمرة المعتصم، وبذلك دخلوا الصف الأول في الجيش العباسي¹⁸⁶ وسوف نتطرق فيما بعد لهذا الدور .

وفي سنة (218هـ/833م) خرج المأمون للحملة البيزنطية وأثناء ذلك مرض وتوفي، ويقال إن للأتراك المحيطين بالمأمون دور كبير في الضغط عليه من أجل توريث المعتصم العرش بدلا من ابنه العباس، وبعد موت المأمون انقسم الجيش العباسي إلى قسمين مؤيد ومعارض، حيث كان هذا الجيش يتكون من العرب والأتراك، فأخذ المعتصم بيعة الجيش المكون من الأتراك، وثار القسم الآخر مطالبا بالعباس ابن المأمون، لكن كان لولاء العباس وإعلان البيعة أثر كبير في تهدئة الأمور. ولأول مرة أصبح للأتراك دور قوي وبارز في تعيين الخليفة واختياره، وكان تنصيب المعتصم بدعم من الأتراك بداية عهد جديد في التاريخ العباسي.

وفي هذه المرحلة بدأ الإيرانيون يخسرون نفوذهم في الدولة مقابل تنامي الدور التركي، بالرغم من استمرار نفوذ الإيرانيين والعرب على الوظائف الإدارية في الدولة، إلا أن سيطرة الأتراك كانت على المؤسسة العسكرية التي التحقوا بها في بادئ الأمر، وبدؤوا بعدها بالسيطرة تدريجيا على الوظائف الأخرى.¹⁸⁷

لما تسلم المعتصم السلطة سار على سياسة أخيه المأمون في تقريب الأتراك ولكن بشكل أكبر وفتح الأبواب أمامهم وأوكل اليهم وظائف قيادية، وكانت نية المعتصم من وراء هذه السياسة هي إبعاد الإيرانيين

¹⁸⁶ Güzel, *Kafesteki Halifeler*, s.23.

¹⁸⁷ Lewis Bernard, *Tarih Araplar*, çev.H.Dursun Yıldız,(İstanbul: 2003),s.119.

وتقليل نفوذهم بعد ماكانوا أصحاب السلطة والنفوذ في الدولة منذ عهد المأمون، ومنذ عهد المعتصم أخذ الأتراك يظهرون بشكل فعال على الساحة السياسية¹⁸⁸

يعتبر المعتصم أول خليفه أكثر وبالغ في إدخال الأتراك إلى السلطة واستخدامهم، وهذا الأمر لم يكن من دافع المصادفه بل له أسباب عديدة. ويعتبر السبب الأول الذي جعل المعتصم يلجأ إلى الأتراك وهو أن المعتصم لم يكن على وفاق مع الفرس ولا يثق بهم ولم يرغب بإدخالهم الجيش، وبالوقت ذاته لم يكن العرب بالنسبه له عنصرا جيدا للقتال، فكان لابد من إيجاد عنصر بديل فيه كل الصفات المرغوبه، فوجد في الأتراك مايريد، لكن هذه السياسة أثارت حفيظه العرب وزاد سخطهم وعداؤهم على المعتصم بسبب الاستغناء عنهم وتقريب الأتراك، بالإضافة إلى يده التي بسطها لبناء عاصمة جديدة للأتراك عبر إغداق الأموال وإكثار العطايا. ومن الأسباب الأخرى أن الدولة العباسيه أيام حكم المأمون ومن بعدها أيام المعتصم كانت تمر بمشاكل داخلية من أبرزها حرب الأخوين الأمين والمأمون على السلطة، والتي كانت سببا في إضعاف الدولة وظهور مشاكل أخرى وهي حركات المتمردين مثل حركة بابك الخرمي وحركة الزط وحركة الافشين والمازيار، ولا يفوتنا أن نذكر ماكانت تمر به الدولة من مشاكل خارجيه مع البيزنطيين كل هذه الأسباب جعلت المعتصم يفكر بالاستعانة بالأتراك والمغاربة من أجل مواجهة مشاكل الدولة

189

كذلك لابد من الإشارة إلى أن أم المعتصم تركية الأصل وهذا أيضا من الأسباب التي جعلت المعتصم يفضل الأتراك على العرب وقربهم منه وجعلهم جنودا له، وهذا نفسه ما عمله المأمون مع الخراسانيين وعمل هؤلاء الأتراك على الدخول إلى المجتمع العباسي والاندماج فيه وذلك بفضل قربهم من الطبقة الحاكمة والطبقة المثقفة، رغم أنهم كانوا أقواما بعيدة عن الحضارة، ودخلوا الإسلام وتعلموا العربية والتزموا بأداب الإسلام والقرآن، وأصبحوا أحرارا وتخلصوا من عبوديتهم بعد ان تأهلوا للحكم وإدارة شؤون

¹⁸⁸ علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط (الرياض: مؤسسة ام القرى، 2005م)، 27.

¹⁸⁹ المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، 215.

الخلافة والوظائف العليا فيها، حيث وصلت سلطة ومكانة البعض منهم أن الخلفاء منحوهم الولايات الإسلامية يحكمونها مع دفع الجزية¹⁹⁰

لم يكن مصطلح الأتراك في تلك الفترة يدل على شي عنصري بل كان سياسيا ولغويا، حيث نلاحظ أن بعض المدن التي استوطنها الأتراك في خراسان مع الوقت صارت تتحدث التركي وأصبح سكانها من الأتراك¹⁹¹ وكما ذكرنا سابقا كان لتفضيل الأتراك على العرب أثر سلبي على وضع الدولة، وعلى نفوس العرب مما جعل القائد العربي عفيف بن عنبسه الذي سبق وأن حارب الزط أن يقوم بثورة على الأتراك وكان يريد التخلص من المعتصم ومن معه من الأتراك، فانفق مع العباس بن المأمون بالخروج على المعتصم، وكان جميع القادة من العرب داخل هذا الاتفاق، ولكن وصلت أخبار هذه المؤامرة أسماع الخليفة وعلم بتفاصيلها وقضى عليها، وتم قتل العباس بن المأمون، وأخرج العرب والفرس من ديوان العطاء تدريجيا¹⁹²

وتشير المصادر إلى وجود رأيين حول حقيقة اعتماد المعتصم على الأتراك في تكوين جيشه : الأول يرى أن المعتصم كون مجمل جيشه من الأتراك¹⁹³ والرأي الثاني يقول إن المعتصم بنى جيشه من مختلف العناصر العربية والتركية والمغربية، كما أن في بعض المصادر أطلق اسم الترك على جنود الجيش وكانت تسمية غير صحيحة لأن هذه التسمية أطلقت على كل الأشخاص الذين جاؤوا من المناطق الشرقية، وكان قسم منهم ليسوا أتراكا.

وتشير المصادر التاريخية أن المعتصم جمع حوله الأتراك حتى من قبل أن يستلم الخلافة وهذا كان أثناء حكمه لمصر وكان يخرطهم في وحدات عسكرية منظمة، وبعد تسلمه منصب الخلافة بدأ يجمعهم بشتى الطرق وكان يتمتع بحرية كبيرة في هذا الشأن، ويقول المسعودي: " أحب المعتصم جمع الأتراك وكان يجندهم في قواته فجمع منهم أربعة الألف جندي وألبسهم الحرير والملابس المطرزة وربطهم بأحزمة زجاجية،

190 ابراهيم حسن ، التاريخ السياسي ، 194/2.

191 عبد الرحمن ، الدولة العباسية دراسة في سياستها الداخلية ، 93.

192 يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 437/2.

193 السيد عبد العزيز سالم ، العصر العباسي الاول ، (الاسكندرية :مؤسسة شباب الجامعة ، 1993م)، 93.

وقام بتجنيد الكثير منهم من مناطق خراسان وفرغانة واشروسنة، وشكل منهم جيشا كبيرا في وقت قصير¹⁹⁴.

وبواسطة هؤلاء الأتراك دخلت الكثير من العادات والتقاليد التركية إلى البلاط العباسي ومن أهم هذه العادات ما يخص اللباس وتقاليد المراسيم، فقد كانت حديثة الدخول إلى البلاط العباسي¹⁹⁵.

وكان الأتراك الذين استخدمهم المعتصم غالبيتهم من الأيغور وكانوا مولعين بالأنشطة الفنية ولقد عثر على عدد من الصور المائية المنقوشة على الجص في سامراء وكانت من أهم اللوحات التي صورت لنا الفن الأويغوري وكان هذا دخول جديد للحضارة العباسية من قبل الأتراك¹⁹⁶.

كما نقل الأتراك تقاليد عديدة إلى البلاط العباسي ومنها استخدام الكأس والمنديل كشعار للملك، وهنا لابد أن نذكر أن إدخال هذه التقاليد التركية إلى البلاط العباسي اقتصر على جلسات الشرب والمنادمة، أي (الجلسات الخاصة) أما في المناسبات العامة والأعياد فكان شعار البلاط العباسي هو البردة والقضيب والسيف وبذلك تميزوا عن الخلفاء الأمويين بهذه الشارات وابتأذهم الزي الرسمي¹⁹⁷.

كذلك أدخل الأتراك للبلاط العباسي لباس القفطان، حيث يذكر أن القفطان هو زي الأعاجم¹⁹⁸ أو ما يدعى القباء واستمر الخلفاء العباسيون في استخدامه حتى القرن الرابع الهجري، فكان الخليفة يجلس في المناسبات الرسمية وعليه القباء ولم تصل لنا صور عن الخلفاء في سامراء بهذه الأقبية ولكن وصلت رسوم أخرى بأزياء أخرى، ومنها صورة للأفشين وهو واقف قابض بيده على سيفه، يرتدي قباء قصيرا طوله يصل للركبة وكان تحت القباء جبة طويلة وكان هذا من أطقم الحرس التركي المشهور¹⁹⁹.

¹⁹⁴ ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (بيروت: 2005م) 4/44.

¹⁹⁵ اسماء عمارة، البلاط العباسي (132-749/334-945)، (جامعة تونس: كلية العلوم الانسانية، أطروحة دكتوراه، تاريخ، 2010م)، 429.

¹⁹⁶ ربيع حامد خليفة، فن التصوير عند الأتراك الأيغور وأثره على التصوير الإسلامي، (القاهرة: 1996م)، 80.

¹⁹⁷ عمارة، البلاط العباسي، 436.

¹⁹⁸ صالح احمد العلي، المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى، (بيروت: شركة المطبوعات، 2003م)، 201.

¹⁹⁹ عمارة، البلاط العباسي، 442.

شارك الفنانون الأويغور في عمل الرسوم الجدارية في سامراء ومن خلال هذه الرسوم نكتشف التأثير التركي على البلاط العباسي ولم تقتصر التأثيرات على الرسوم واللوحات بل شملت لباس الخلفاء المتمثل بالقباء ولباس الحرس التركي المتمثل بالنطاق المتدلي منه شريط إلى الأسفل، واستخدام الخلفاء العباسيين رموز تركية يدل على القوة والسلطة متمثلة في الكأس والمنديل ، والتي صورت على مداليات عليها صور لخلفاء عباسيين، وهذا يدلنا على قيمة التصوير في العصر العباسي، كذلك لا بد أن نذكر أن الأمر لم يقتصر على الفنانين الأتراك بل كان للفنانين الفرس دور في نقل جزء من الحضارة الساسانية إلى البلاط العباسي .



1.1.3. أسباب استقدام المعتصم للأتراك إلى حضرته

كانت خلافة المعتصم بداية عهد جديد لأنه فسح المجال أمام القوميات الإسلامية الأخرى للمشاركة في إدارة الدولة العباسية بما يتناسب بحاجة الدولة لهم ، حيث سار المعتصم بشكل عام على الطريق الذي وضعه له أخوه المأمون، وسار على وصيته في الاعتماد على الأتراك ومساندته في جلبهم ، وإغراقهم بالأموال لكسب ولائهم وضمان بقائهم ، وأوكل إليهم حماية قصره وحراسته شخصياً²⁰⁰.

بالإضافة إلى ذلك تولى المعتصم الخلافة بعد أخيه في ظروف حرجية حيث اختلال التوازن بين الفئات التي كانت موجودة في الدولة العباسية، حيث التوتر الذي كان بين العباسيين والخراسانيين بعد انتقال المأمون من مرو، وقيام التمردات على الدولة العباسية التي كانت أكثرها ذات أصول فارسية، ونتيجة لذلك أصبح من الصعب التفاهم بين العباسيين والخراسانيين إضافة إلى كل ماذكر سابقاً من أسباب جعلت المعتصم يفضل العنصر التركي على غيره من العناصر التي كانت أساساً موجودة ومجربة سابقاً، فقد ذكر بعض المؤرخين أسباب أخرى منها:

1- نجدة الأتراك وشجاعتهم ، يقول المؤرخ جرجي زيدان: إن الأتراك كانوا يمتازون حينها عن غيرهم من الشعوب الإسلامية بقوة الجسم والبسالة وثبات الجأش والجساره والبراعة في رمي النشاب والثبات على الأسفار المتعبة والصعبه على ظهور الخيل ، والصبر في ساحة القتال ، فنظر المعتصم إلى كل هذه الميزات وقرر أن يتقوى بهم ، وكانوا يمتازون في الوقت نفسه بأنهم كانوا أهل بداوة وبطش، مع البسالة في الحرب ، والثبات على شغف العيش، فأخذ يشتري منهم الأقوياء والأشداء من رؤوسائهم في العراق ويرسل في إحضارهم من تركستان وغيرها، فصار معه الألف منهم كلهم على جمال وصحة وشجاعه²⁰¹.

2- قلة الثقة بين المعتصم والعنصر العربي والفارسي وكما ذكرنا سابقاً ، وذلك بسبب أن العرب كثيروا التقلب ضد الخلفاء وكذلك بسبب أن العرب أصبحوا أضعف من قبل²⁰².

²⁰⁰ الكتابي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، 122.

²⁰¹ جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، (مصر: دار الهلال ، 1958م) 4/177.

²⁰² محمد سهيل طقوش ، تاريخ الدولة العباسية ، (بيروت : دار النفائس ، 2009م) ، 144.

3- ضرورة إيجاد قوة ضاربة تقوم بحراسة الدولة ويقول حسن ابراهيم: لما تولي المعتصم السلطه رأى أن دولته الواسعة يجب أن يكون فيها جيش قوي لحمايتها فجلب الأتراك وزاد منهم وأعطاهم مناصب إداريه كبيرة واستقطع لهم الولايات وأسند إليهم حماية قصره، وفضلهم على العرب والفرس²⁰³.

4- بحث المعتصم عن عنصر مطيع لأوامره لردع التمردات التي كانت تهدد الدولة، وكان أمام المعتصم خيار الحروب ضد الهجمات الداخلية والخارجية ولهذا كان من الضروري إيجاد عنصر قوي ليسند جيشه وينصره في حروبه، ولهذا فتح المعتصم الباب على مصراعيه لدخول الأتراك²⁰⁴.

5- خوف المعتصم من القلاقل والفتن في صفوف الجيش، يقول أحمد أمين: إن نصف عناصر الجيش من الفرس والعرب عندما توفي المأمون انحازوا إلى ابنه العباس²⁰⁵.

كل الذي ذكر حفز المعتصم على الاعتماد على الأتراك في أمر سلامته وحراسته الشخصية وفي أمر تقوية جيشه، ولاشك أن قرب المعتصم من الأتراك وتوافق طباعه وصفاته الجسديه معهم وصلة الرحم التي كانت تربطه بهم، فهم أحواله فقد كان هناك تقارب فكري، فلم يكن للمعتصم وكذلك الأتراك ميول ثقافيه ولا ميل للحضاره بقدر ماكان عندهم ميل للحرب والفروسيه وهذا ماكان يحبه المعتصم، فالمعتصم كان محاطا بهم منذ صغره وكان لديه حب جمعهم، وكانوا مهتمين بخدمته ورعايته، وهذا دليل أن الأتراك لم يكونوا عنصرا غريبا أو جديدا على المعتصم، بل كان جليسهم ورفقيهم قبل أن يتسلم السلطة²⁰⁶.

وكان لأم المعتصم الجارية التركية الأثر الكبير في تربيته على الطباع والعادات التركيّه وتوجيه حبه للأتراك، حيث كان في قصر الرشيد العديد من الجوّاري التركيات وكانت أم المعتصم ماردة من أشهرهن. وكانت من أفضل النساء عند الرشيد ومن المقربات، أنجبت له المعتصم وربته بالقرب منها ، ولهذا كان

²⁰³ ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، 2/239.

²⁰⁴ احمد شلبي ، التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1960م)، 3/120.

²⁰⁵ احمد أمين ، ظهر الإسلام ، (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، 1962م)، 1/4.

²⁰⁶ الكتانجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، 126.

تركيا في طباعه يميل إلى أخواله الأتراك في الجسم والروح ويقول السيوطي: "كان المعتصم شديد التشبهه بملوك الأعاجم {ويقصد خواقين الأتراك} وكان حتى يقلدهم في المشي"²⁰⁷

إن ظهور الموالي وتقربهم من الخلفاء وارتباطهم في البلاط العباسي، وكثرة ما حصلوا عليه من اهتمام ونفوذ ومناصب، سهل الطريق أمام المعتصم للقرارات العسكرية التي قام بها، وكان أكثر ما شجع المعتصم على تقريب الأتراك أنهم كانوا غرباء عن المنطقة ليس لديهم صلة بقبيلة أو شخص أو جهة معينة، وهذا ما يجعل انتماءهم للخليفة فقط، ومطيعين لأوامره، ليس لديهم تكتلات أو انتماءات أخرى²⁰⁸ وشعر المعتصم أن الأتراك أنسب لدولته وأكثر ضمانا خصوصا أن انتماءهم له وحده.

أما العرب فغارقون في النزاعات القبلية، والفرس تسيطر عليهم العنصرية الدينية (المجوسية) ومن ناحيه أخرى أصبح العرب في ظل الخلافة العباسية عناصر متحضرة، وتركوا قبائل العراق وخراسان للحروب والقتال، واتجهوا للزراعة والتجارة والمهن الحرفية، واتجهوا لحياة الحضارة والرفاهية، وظهر ولعهم بالثقافة والعلم، أما الأتراك فكانوا على بداوتهم بعيدين عن الثقافة والحضارة متنقلين في معيشتهم ويطلق عليهم الجاحظ (بدو العجم)²⁰⁹.

²⁰⁷ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 232.

²⁰⁸ عمرفوزي، عصر القوة والأزدهار، 261/1.

²⁰⁹ الجاحظ، مناقب الترك، 43/1.

الأتراك في البلاط العباسي

بدخول الأتراك بدأت الدولة العباسية تغادر مسارها، فقد كانت مبنية وفق المسار العربي الفارسي، وكان نتيجة هذا أن ضعفت الدولة، وضعفت معها سلطة الخليفة، وبدأت الأقاليم تكون دولا ترغب بالانفصال، وكان هذا الأمر واضحا بعد وفاة المعتصم وتولي المتوكل الخلافة في العصر العباسي الثاني²¹⁰.

ويقدم لنا ابن الحوقل معلومات عن كيفية دخول الأتراك للجيش وتجنيدهم فيقول، جلب الخلفاء العباسيون الجنود الأتراك من منطقة ماوراء النهر لإنشاء وحدات عسكرية وكانوا متفوقين على باقي عناصر الجيش، وكانت مقدرتهم وطاعتهم هي السبب الرئيسي الذي جعل الخلفاء يشكلون فيلق الحرس منهم، وكان الأتراك يمثلون الطبقة الأكثر تميزا في جيش الامبراطورية العباسية.²¹¹، كذلك عمل المعتصم على جمع الشباب التركي من أيدي الشعب في بغداد وضمهم إلى الجيش العباسي.

تضاربت الآراء حول عدد الجنود الأتراك الداخلين في الجيش العباسي، حيث دخل في الحقبة الاولى حوالي (4.000) أربعة آلاف جندي²¹²، وبعدها دخلت مجموعات أخرى حتى بلغ العدد (18.000) ثمانية عشر ألف جندي²¹³، وفي السنوات القادمة وبعد تزايد الأعداد يقال إنه وصل إلى (70.000) سبعين ألف جندي، ولكن بالحقيقة إن هذا الرقم كان للجنود الأتراك مع زوجاتهم وأولادهم²¹⁴.

وبصورة عامه فقد وصل عدد الجنود الأتراك في الجيش العباسي حوالي (25.000) خمسة وعشرين ألف مقاتل، وكانوا في وحدات خاصة وهي المعسكرات الحساسة في الجيش، وكانت تعتبر القوة الضاربة والمهاجمة للجيش²¹⁵ وكان هؤلاء الجنود هم الدعامة الأساسية لخلافة المعتصم وخصوصا بعد زيادة عددهم بشكل كبير وفي فترة قصيرة، بعد المأمون كان الجيش يميل إلى ابنه العباس، لأن الجيش كان يتكون من

²¹⁰ طقوش، تاريخ الدولة العباسية، 145.

²¹¹ ابو قاسم محمد بن حوقل، صورة الأرض، (بيروت: 1996م)، 387.

²¹² المسعودي، مروج الذهب، 57/4.

²¹³ ابن تغري، النجوم الزاهرة، 285/2.

²¹⁴ ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، 12/1.

²¹⁵ Yıldız, *İslamiyet ve Türkler*, s.108.

فرق خراسانية وكان لها ثقلها في الجيش العباسي، وكانت هذه الفرق تحت سيطرة أمراء الطاهريين التي كانت شبه منفصلة عن سلطة الخليفة، وكان لابد للمعتصم أن يقف أمام الطاهريين الذين كانوا من أصل إيراني، بعد أن أصبح مدعوما من قبل الأتراك²¹⁶.

أظهر الإيرانيون التفاني والتمسك بالمأمون الذي كان من أم إيرانية جارية، شعر المعتصم بخطر ما حوله وبخطر هذه المجموعة على خلافته، فبالرغم من رغبة المأمون توريث المعتصم عرش الخلافة، حيث كان يراه الأصلح للحكم، إلا أن الفرس بذلوا قصارى جهدهم في تولية العباس بن المأمون العرش، وهذا كان يلائم مصالحهم²¹⁷.

كان لهؤلاء الأتراك تأثير كبير على الدولة من الناحية السياسية والاجتماعية، وعندما تولوا مناصب مهمة في الجيش والإدارة قدموا خدمات جليلة لا يمكن التغاضي عنها وتهميشها، فكان لهم دور في القضاء على الفتن والتمردات التي حدثت في البلاد الإسلامية، حيث عاث المتمردون في البلاد فسادا وخرابا وسرقوا أموال الرعية والممتلكات العامة، فحقق الجنود الأتراك طموحات المعتصم وكانوا اليد اليمنى له، يضرب بها أعداء الدولة، يؤيدونه ويساندونه، وأصبحوا الدرع المنيع للدولة الإسلامية يحمونها من الداخل والخارج ضد أعدائها الذين كانوا يريدون القضاء على الدولة العباسية²¹⁸.

يقول المؤرخون إن مسألة استخدام الأتراك في الجيش، لم تكن فكرة حديثة أو وليدة اللحظة على المعتصم، بل ظهرت بسبب الحالة التي كانت تمر بها الخلافة العباسية أواخر عهد المأمون، ويذكر البلاذري ويؤكد هذا المنطق فيقول كان المأمون يكتب إلى عماله في خراسان بغزو من لم يسلم من الأتراك ويمنح العطاء لمن أسلم، وإذا ورد ملوك الترك بابه بالغ في تشريفهم وإكرامهم، أدر عليهم الارزاق، ثم جاءت خلافة المعتصم فكانت رغبته في الترك أكثر من الخلفاء السابقين، وجلب الأتراك من ما وراء النهر وألف

²¹⁶ Marshall Hodgson , *islam serüveni*, ter. Heyet, (İstanbul :1993), 443

²¹⁷ حسن احمد محمد، احمد ابراهيم شرف، *العالم الإسلامي في العصر العباسي*، (القاهرة: 1966)، 319.

²¹⁸ الكتابجي، الترك في مؤلفات الجاحظ، 123.

جيشا كثيفا منهم من أهل صفد وفرغانه واشروسنة والشاش حتى صار جل شهود عسكره من جند ماوراء النهر، وحضر ملوكهم بابه، وغلب الإسلام على من هناك.²¹⁹

ولعبت الأقدار دورا كبيرا في جعل المعتصم يتأكد من حسن تفكيره في اختيار الأتراك، وخصوصا في مسألة ثباتهم في المعارك، وعندما قرر المأمون البقاء في خراسان خرج أهل بغداد عليه، وعينوا ابراهيم بن المهدي خليفة عليه، مما دعى المعتصم إلى مواجهته، وفي الحرب التي دارت بينهم، فر جند المعتصم من حوله وتركوه وبقي فقط الجنود الأتراك، ورغم قتلهم بقوا مع المعتصم وقاتلوا وثبتوا حوله، إلى أن انقضت الحرب²²⁰. وكان لهذه المحنة أثر كبير في نفس المعتصم، وتأكد من حسن ظنه بالأتراك، وقرر الزيادة منهم ورفد الجيش العربي الإسلامي بعناصر لاتهزم في الحروب ولا تخاف في مواجهه.

²¹⁹ البلاذري ، فتوح البلدان ، 606.

²²⁰ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 345/10.

2.1.3. تربية الأتراك في عهد المعتصم

اهتم الأمراء والقادة بالأتراك القادمين إلى بغداد اهتماما كبيرا، وقد عنوا بتربيتهم وتعليمهم أصول الإسلام ومنهج القرآن والسنة النبوية، كان أول ما يعلم به الغلام التركي هو القرآن الكريم فكان لكل مجموعة من الأتراك مدرس أو ما يعرف برجل دين يحضر مجلسهم كل يوم ويعطيهم دروسا ممنهجة في القرآن والخط والكتابة والقراءة، ويعلمهم الصلاة والمواظبة عليها، ويدربهم على الأخلاق الحميدة التي جاء بها الإسلام، وعندما يكبر الشاب التركي قليلا يعلمه شيئا من الفقه وكل ما يحتاج إليه في حياته اليومية، وعندما يصل الشاب التركي إلى سن البلوغ يبدأون في تلقيه فنون القتال من رمي النشاب والمبارزة وما إلى ذلك من فنون القتال، وإذا أقدم الأتراك على رمي النشاب أو الترشق بالرمح، لايجزؤ أحد على منافستهم، مهما كانت رتبة، فإذا تمكن الشاب التركي من فنون القتال عبر إلى مرحلة الخدمة في البلاط وكان يتدرج بها رتبة رتبة، حتى يصبح مع الوقت أميرا، وكان لا يصل إلى هذه المرحلة إلا وقد تثقفت أخلاقه، وزادت أدابه، وقد وصل منهم إلى مرتبة الفقهاء والشعراء والأدباء²²¹.

اهتم المعتصم بأخواله الأتراك اهتماما خاصا لدرجة أنه منع تمازجهم مع العرب وبالأهم الأخرى، للحفاظ على نسلهم، وكان حريصا على نظافة دمائهم ونقاوتها وعدم اختلاطها بالقوميات الأخرى، والبقاء على صفاء فطرهم ويذكر المسعودي أنه عند بناء سامراء قام المعتصم بعزل قطائع الأتراك عن قطائع الناس، وكانوا بمعزل عن الناس لا يختلطون بأحد ولا يجاورهم إلا الفراغة، وجعل محلاتهم بعيدة عن الزحام والأسواق²²². وربما يفسر فعل من الناحية النفسية كردة فعل على باقي القوميات التي كانت تغدر به .

عندما جاء الأتراك إلى بغداد اختلفت عليهم الأجواء، حيث أنهم عاشوا في سهول آسيا الوسطى بكل حرية وفوضوية بحياة أقرب إلى البداوة والخشونة، حيث لم تكن تحكمهم قيود الحضارة والمدن الراقية والحضريه، وكانت بغداد باعتبارها حاضرة الخلافة الإسلامية كانت غير ملائمة لهم، فبغداد كانت مركزا

²²¹ زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، 4/181.

²²² المسعودي ، مروج الذهب ، 2/272.

لرواد العلم والثقافة والأدب والفن والشعر وكان يقصدها العلماء من كل أطراف الدنيا، واعتبرت بغداد الحاضنة الأرقى لمختلف العلوم، ومثل هذه العاصمة لا توفر التلاءم النفسي والأمان لأناس همهم الجانب العسكري والقوة بما يتصفون به من طبيعة بنيتهم الحركية، حيث إنهم يميلون إلى الحركة والحروب وبعيدا عن السكون والهدوء، ولهذا كانت أجواء بغداد خانقه لهم، وعلى عكس طبيعتهم:

كان من الصعب أن يتلاءم الأتراك مع أهل بغداد ويتعايشوا معهم، وخصوصا أن صفاتهم التي ميزتهم عن باقي الأمم هي التي جعلت المعتصم يفضلهم على باقي عناصر الجيش، فكان من غير الممكن أن يغيروا طبائعهم ويتعايشوا بالمدن، وهنا لابد أن نجد الأعذار للأتراك على تصرفاتهم العنيفة، كما نعطي لأهل بغداد العذر في رفضهم للأتراك²²³ فالاندماج الاجتماعي بين الوافدين الجدد والسكان الأصليين لم يكن سهلا.

تميز العساكر الأتراك بمميزات عن سائر جند المعتصم، حيث زاد قدرهم وأصبحت مقدرات الدولة بأيديهم، وخلق منهم قادة فاقوا كل توقعات المعتصم من النفوذ والسلطة، وأبرزهم الأفشين الذي حارب بابك الخرمي وانتصر عليه، فكرمه المعتصم باستقبال كبير وأعطاه فرسا كهديه ووشاحين من الجواهر حتى اغتر وأحس بالكبر، وفكر باستقلال اشروسنة له²²⁴ بالإضافة إلى القائد ايتاخ الذي وصل إلى مكانه كبيرة في عهد المعتصم، وكذلك اشناس الذي وصل إلى مرتبة عالية عند المعتصم:

أسس المعتصم جيشه على أساس نظام الفرق، حيث جمع المماليك الأتراك في وحدات خاصة وجعل القادة منهم، وكانت طريقة جمعهم إما بالشراء أو الهبات من أمرائهم، ولم يقتصر وجود الأتراك في البلاط العباسي على هذا القدر، فقد طلب الأمراء وأبناء الملوك من الأتراك الدخول إلى الجيش العباسي والخدمة فيه، لما لاقوه من مميزات وعطايا من المعتصم ومن أبرز هؤلاء الأمراء الذين جاؤوا إلى بغداد هو (جف بن بلتكين) وكان من أبناء ملوك فرغانة، وكان من المحاربين الشجعان الذين لا يخافون المواجهة، كما هو

²²³ الكتاجي، الترك في مؤلفات الجاحظ، 135-137.

²²⁴ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 110/9-115.

معروف عن الأتراك، وعندما أسس المعتصم مدينة سامراء، خصص لهم قطائع خاصة لهم، وسميت باسمه (قطائع جف) وبقيت لقرون عديدة معروفة بهذا الاسم²²⁵.

وكان أغلبية هؤلاء الأتراك الذين جاؤوا إلى بغداد في عهد المعتصم على الديانة المجوسية أو الوثنية، وهذه الديانات المعروفة والمتبعة في بلادهم، ومنهم من كان مسلما حيث دخلوا الإسلام أيام الفتوحات الإسلامية، أما من كان منهم على الديانات الأخرى، فقد أسلموا بالتقادم بعد دخول الجيش العباسي، حيث كانوا على تماس مع المسلمين وتعلموا منهم مبادئ الإسلام، وقسم آخر أظهر الإسلام ظاهريا فقط، تملقا للخلفاء ورغبة في الحصول على الغنائم والأموال في المعارك²²⁶.



²²⁵ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 41/2.

²²⁶ زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، 192/4.

3.1.3. تأثير الأتراك ودورهم في مصالح الدولة العباسية

تعزز موقف الأتراك وقوي نفوذهم، وتمكنوا من مرافق الدولة، وخصوصا بعد النجاحات التي حققوها في حرب بابك الخرمي والانتصار في عمورية، وبذلك نصروا الدولة العباسية والإسلام ، فاتجه كل شيء إليهم بمافيها السلطة، وتحولت السيادة من وزراء الفرس إلى القادة الأتراك، وأصبحت السلطة بين الوزراء والقادة، وكانوا يتنافسون على النفوذ، وكسب الأموال بالصادرة. في هذه المرحلة عبرت الدولة العباسية دور البداية والشباب، وأخذت تقوى دعائمها، واتجه الخلفاء نحو شهواتهم وحياة البذخ وتكاسلوا عن واجباتهم، ومسؤولياتهم الإدارية، وآلت الأمور إلى القادة الأتراك وأصبحوا يعينون الخلفاء ويعزلونهم، وصار هؤلاء الأتراك محور التغير في الدولة. في عهد المعتصم سيطر المذهب السني على الدولة بعدما سيطر الأتراك على السلطة، وكان الجند الأتراك على هذا المذهب ، بعدما خرجت السلطة من سيطرة الموالي الفرس الذين كانوا على المذهب الشيعي ، ويبدو أن الأتراك لم يكونوا يهتمون حينها بالتفرعات المذهبية، ولكن كون المسؤول عنهم هم الخلفاء على مذهب أهل السنة كان لزاما عليهم اتباع سادتهم وهذا هو سبب تمسكهم بالمذهب السني إلى يومنا هذا²²⁷ ولما علا الأتراك في الدولة وزاد نفوذهم، توافد الكثير منهم يريدون الانضمام إلى الجيش، وأرادوا الدخول إلى الإسلام وأصبحوا يدخلون فيه بالآلاف.

وفي تلك الفترة كان الجنود الأتراك يشبهون (الباشبوزق) هكذا كان يطلق عليهم في الدولة العثمانية، لكن أصولها كانت رومانية، وهذه الفرقة كان يستعملها من يريد بها المال، فكان من يصل إلى النفوذ يأخذ الغلمان الأتراك إما بالشراء أو بالاستئجار، وكانت هذه الفرق تسمى في كثير من الأحيان بأسماء أصحابها مثل الساجيه نسبة إلى أبي ساج، والصلاحية نسبة إلى صلاح الدين، ومثل ذلك الأسدية، والنظامية، وكل الدول التي نشأت في تلك الحقبة كانت تستعين بهؤلاء الأتراك بغض النظر عن كونها سنية أو شيعية، كانت تضم الجنود الأتراك بين صفوفها²²⁸.

²²⁷ زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، 4/193.

²²⁸ زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي، 4/195.

وقام المعتصم بإجراء متشدد، حيث أنزل أسماء الجنود الأتراك في ديوان العطاء، وحذف أسماء العرب منها وكان ذلك بعد مؤامرة العباس بن المأمون²²⁹، وكفى بهذه الحادثة دليلاً على ميل المعتصم نحوهم ورغبته القوية في تقريبهم وتفضيلهم على سائر الأجناس فترة خلافته.

كان لتقريب المعتصم للأتراك تأثير سلبي على العرب، حيث تمرد العرب في بلاد الشام بقيادة أبي حرب المبرقع اليماني الذي أثار القلاقل في فلسطين بسبب اقتحام أحد الجنود منزله وهو غير موجود فيه، فلما عرف بذلك قتل ذلك الجندي، وعندما خشي من فعلته، ارتدى برقعاً وفر إلى بلاد الأردن، وهناك بدأ بالتمرد وشحن الناس على المعتصم، إلا أن المعتصم استطاع القبض عليه وأسرّه بمساعدة أحد قواده وهو رجاء بن أيوب الحضاري²³⁰.

وكما أسلفنا سابقاً لن يرضى الأتراك بأن يكونوا مقودين إلى ما لانهاية، والمعتصم أدرك أن سلطته في طريقها إلى الضعف على مستوى القرار، حيث رهن نفسه ودولته، فبالرغم من الدور الحيوي الذي لعبه الأتراك والانجازات التي حققوها في الحروب، إلا أن المعتصم لم يكن مقتنعاً بهم وراضياً عن ما قدموه وبالأخص قادات الترك، حيث يذكر لنا ابن الأثير أن المعتصم تحدث مع أحد رجاله وهو اسحاق بن ابراهيم حيث قال له: "نظرت إلى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة فأفلحوا، واصطنعت أربعة فلم يفلح أحد منهم، اصطنع المأمون طاهر بن الحسين فقد رأيت وسمعت، وعبد الله بن طاهر فهو الرجل الذي لم ير مثله، وأخوك محمد بن ابراهيم وأين مثل محمد، وأما أنا فصنعت الأفشين فقد رأيت ماصار أمره، واشناس ففشل، وايتاخ فلا شيء، ووصيفا لا معنى له " ورد اسحاق للمعتصم أن سبب ذلك هو سوء اختياره لهذا العنصر فقال له: " يا أمير المؤمنين نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها، فأنجبت فروعا، واستعمل أمير المؤمنين فروعا، فلم تنجب إذ لا أصول لها"²³¹. أحس المعتصم بمدى تورطه مع الأتراك وبخطورتهم عليه وعلى دولته، وندم لكن بعد فوات الأوان، على تقريبه للأتراك، بعد سيطرتهم على الخلافة وعلى مقدرات الدولة، وكان لهم شأن في كل تفصيله، فمثلاً قائد مثل ايتاخ، كان مسؤولاً في عهد المتوكل عن الكثير من المرافق مثل الجيش والبريد والحجابه ودار الخلافة²³².

²²⁹ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 265.

²³⁰ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 9/116-119.

²³¹ ابن الأثير، الكامل، 6/21.

²³² ايوب، التاريخ العباسي السياسي، 102.

ولاشك في أن أي دولة ترهن قرارها العسكري خارج نطاق أبنائها ومجتمعها ستكون عرضة للقلق ، فالأتراك الذين سيطروا على مؤسسات كاملة سيستأثرون فيما بعد بالقرارات ويطمحون إلى النيل والظفر برأس الهرم وهو الخلافة، فالمعتصم استعملهم واستخدمهم لتحقيق مصلحة الخلافة والخليفة كما استخدمهم المأمون من قبل، فكان للتمرد الذي قام به بابك الخرمي دور في إدخال العديد من الجنود الأتراك إلى الجيش، حيث صعب على المأمون ومن بعده المعتصم القضاء على هذا التمرد الذي دام عشرين سنة، واستعصى على الخلفاء القضاء عليه، لولا قرار المعتصم بإدخال أعداد كبيرة من الجنود الأتراك لمواجهة بابك، وكان نتيجة الأحداث التي مرت بعد وفاة المعتصم، ترك الخلفاء العباسيون بعده سياسة جلب الأتراك من تركستان، ومع هذا نلاحظ استمرار تدفق الجنود الأتراك إلى البلاط العباسي والدخول في الخدمة العسكرية²³³. وفي سنة (296هـ / 909م) حضر قائد تركي إلى البلاط العباسي في بغداد وكان يدعى (بارس) وبرفته (4000) أربعة آلاف جندي تركي ودخلوا الجيش العباسي²³⁴.

أضاف الأتراك قوة عظيمة للدولة العباسية وهي حماية الدولة الإسلامية من التمردات والثورات في الداخل والخارج، حيث آلت اليهم أمور الدولة، إلا أن الناس تأثروا بمجريات الأحداث التي كانت تحدث في بغداد، وكان للقادة الأتراك دور في هذه الأحداث وخاصة (اشناس ، ايتاخ ، بغا الكبير ، بغا الصغير ، وصيف) في مقدمة مجريات الأحداث، واحتكارهم لجميع المناصب المهمة في الدولة سبب في كره الناس لهم ونبذهم .

يعتبر عهد المعتصم هو عهد الأتراك نفسه، وخاصة بعدما تمكنوا من الدولة كما ذكرنا سابقا، وأصبحوا يضغطون على الكوادر العربية، وأصبح لهم أعداء من كل جانب واتجاه، كذلك في عهد المعتصم تم ترقية الأتراك إلى مناصب قريبة جدا من الخليفة ومناصب عليا، وإبعاد العرب عن مناصبهم، حيث أرسل المعتصم إلى والي مصر حيدر بن كاوس يأمره بحذف أسماء العرب الذين كانوا يستلمون رواتب الخزينة وخفض رواتبهم، وبالتأكيد كان لهذا الإجراء أثره السلبي على العرب²³⁵ وكان نتيجة ذلك أن حدث

²³³ الهامي، العباسيون الاقوياء ، 557.

²³⁴ ابو علي احمد بن محمد ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم (بيروت: الكتب العلمية ، 2003 م)، 11/5.

²³⁵ Güzel , *Kafesteki Halifeler*, s.31.

عصيان كبير في مصر في عهد المعتصم من قبائل اللام والجزام تحت زعامة يحيى بن الوزير، ولكن تم إنهاء هذا التمرد بشكل قاس ودموي، وبعد هذا الحدث ابتعد العرب عن الساحه السياسيه وآفل نجمهم في مصر، واتجهوا إلى المناطق الريفيه وعملوا في الزراعة²³⁶.

لما تولى المعتصم الخلافة، منح اشناس ولاية مصر وسوريا والجزائر والحجاز، وكان اشناس في هذه الفترة من القواد النشطين في قيادة الدولة، ويقال إنه من سلالة (كوك ترك)²³⁷ وكان يلبس الهلال، ومنحه المعتصم القصر الذي بناه والده هارون الرشيد في مدينة القاطول.²³⁸

وفي سنة (226هـ/841م) أرسل المعتصم اشناس لأداء فريضة الحج ، ومنحه إدارة جميع المدن التي مربها على طول الطريق وبالأخص مكة والمدينة، إضافة إلى إدراج اسمه بعد اسم الخليفة المعتصم في الصلاة، وهذه الحالة حدثت لأول مرة في تاريخ العباسيين، حيث ترافق اسم الخليفة مع اسم الأمير في الخطبة²³⁹.

ذكرت الكثير من المصادر أن المعتصم ندم على استخدام الأتراك وعلى إدخالهم الى الجيش، إلا أنه في الحقيقة فإن النجاح الذي حققه المعتصم، كان بسبب وجود الأتراك في جيشه، ويذكر السيوطي أنه رغم تولي المعتصم للخلافة لفترة قصيرة إلا أنه جلب مكاسب عسكريه كبيرة للدولة العباسية أكثر من أي خليفة عباسي آخر، حيث أنه كسب انتصارات كبيرة على أعدائه، وأذعن له ملوك البيزنطيين والاذريبيجان وتورهمستان وفرغانة وكابول وأتوه طائعين، طالبين الرضى²⁴⁰ وقد تحققت هذه الإنجازات السياسيه والعسكرية بواسطة الجنود الأتراك، لكن المجتمع العربي واجه الوجود التركي ورفضهم وعبروا عن هذا الرفض والانزعاج بالعديد من القصائد منها ما كتبه دعبل وهو أحد شعراء العصر العباسي ، قصيدة بحق المعتصم والأتراك، وتكلم عن الخلفاء لأنهم حولوا السلطة للأتراك ، ووصفه أسوء وصف

ملوك بني العباس في الكتب سبعة

²³⁶ الكندي ، الولاية والقضاة ، 194.

²³⁷ İbrahim Kafesoğlu , *Türk Milli Kültürü*, (İstanbul: 1983) 635

²³⁸ الحموي ، معجم البلدان ، 4/297.

²³⁹ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 9/115. ابن الأثير ، الكامل ، 6/67.

²⁴⁰ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 523.

ولم تأتينا في ثامن منهم كلب

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة

وثامنهم عندنا كلب

وأني لا جزى الكلب عن ذكره بكم

الآن لكم ذنب وليس للكلب ذنب

ازدادت الكوارث منذ أن حكمهم وصيف وأشناس

أمل أن ترى الشمس المشرقة بعد غروب الشمس.

مدح دعبل وأثنى على الخلفاء العباسيين قبل المعتصم، وشبه المعتصم بالكلب أو أقل مرتبه من الكلب، وهذا بسبب علاقه المعتصم بالأتراك وعندما خشي دعبل على حياته، هرب إلى المغرب حيث لا يوجد سلطة قوية للعباسيين هناك²⁴¹

المسألة التي واجهت الدولة العباسية ليست في إدخال الأتراك في الجيش والإدارة، ولكن في وضعهم في مكان القيادة وتسليمهم المقدمة، ونلاحظ أن هؤلاء الجنود لم يكونوا على وفاق مع خلفائهم، وبالوقت نفسه كانوا بعيدين بل ومكروهين من أهالي المنطقة، بالرغم من قتالهم من أجل الدولة العباسية ودفع الأخطار الداخلية والخارجية عنها، وكان القادة الأتراك مثل اشناس وايتاخ وبغا الكبير وبغا الصغير في مقدمة المدافعين والمقاتلين، ورغم محاولات الخليفة المعتصم للحفاظ على مكانة الأتراك، بقوة شخصيته، إلا أنه شعر في نهاية حكمه أنه أخطأ في إدخال عنصر غريب إلى الجيش العباسي وقال: "لو علمت لم أكن لأفعل ذلك" وهذا طبعاً بعد محاولة الأفشين التمرد، وقضية منكجور، بعد هاتين الحادثتين أظهر المعتصم ندمه لأن غالبية جيشه من الأتراك وقليل من عناصر عرب اليمن وعرب قيس والمضرين²⁴².

²⁴¹ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 522.

²⁴² محمد عبد الحفيظ، الجيش في العصر العباسي الأول (232/132هـ)، (عمان : 2000م)، 476.

2.3. سامراء عاصمة الأتراك

تأسست مدينة سامراء سنة (220هـ / 835م) أنشأها الخليفة المعتصم، وبرز اسمها من المدن الأولى في فترة من التاريخ العباسي، وقد شيدت على مسافة حوالي (100 كم) شمال بغداد بين محافظتي تكريت وبغداد²⁴³ ثم توسع في بنائها ابن المعتصم الواصلت إلى أرقى مرحلة في عهد المتوكل الذي واصل البناء والعمران فيها²⁴⁴.

وتقول مصادر أخرى إن السفاح - وهو أول الخلفاء العباسيين - هو أول من فكر ببناء سامراء، وبعده رغب المنصور أيضا في بنائها بعدما أكمل بناء بغداد، وعندما تولى الرشيد الحكم بنى فيها قصرا وشق نهرأ أطلق عليه القاطول. وقبل أن يتجه المعتصم بأنظاره إلى موقع سامراء، كان يريد بناء مدينة على نهر القاطول، على ضفاف دجلة، ولكن سرعان ما غير رأيه لأنه وجد أن المنطقة غير مناسبة كثيرا، وأخيرا وقع الاختيار على موقع سامراء بعد أن نالت استحسان المعتصم، وبني المعتصم قصرا أعطاه هديه لقائده اشناس التركي²⁴⁵، وأصبحت سامراء حاضرة الخلافة العباسية في عهده والعهد الذي تلتته.

قام المعتصم ببناء أربعة قصور كبيرة بالقرب من قصره الشخصي، ومنح هذه القصور إلى المقربين له من الأتراك وهم قادة الجيش (اشناس، ايتاخ، بغا، ووصيف) وأعطى لهؤلاء القادة مهمة حماية الشخصية وحماية قصره، طبعا مع عدد كبير من الجنود الأتراك، يقدر بألف شخص²⁴⁶ إذاً اكتسبت سامراء أهميتها كمدينة من ناحية السياسة فقط، فأولى المعتصم اهتمامه فيها وجعلها مدينة محمية بثكنات عسكرية تشرف على حمايته مباشرة.

²⁴³ Güzel, *Kafesteki Halifeler*, 27.

²⁴⁴ عمارة، البلاط العباسي، 112.

²⁴⁵ اليعقوبي، البلدان، 56. الكتابجي، الترك في مؤلفات الجاحظ، 140.

²⁴⁶ الجاحظ، مناقب الترك، 62/1.

كذلك تم إنشاء العديد من الأبنية والعمران في عهد المعتصم وعهد ابنه الواثق، وعندما تولى المتوكل الخلافة، نزل في الهاروني ، وأنشأ فيها العديد من المباني، ووزع للناس الأراضي، فوسع على أهل سامراء البنيان، وتم بناء أكبر مسجد في المنطقه وأكثر من الإنفاق عليه، وبني فيه منارة عاليه جدا ليصل صوت الأذان لكل مكان، وهذا المسجد مايزال موجودا حتى الآن، ومعه قصر المعتصم . ولأول مرة عمل المتوكل في مدينة سامراء ضريحا، وكان الناس قبل ذلك يدفنون حيث يموتون، كما فعل الرسول (ص) وبدأ الاهتمام بالأضرحة منذ عهد المتوكل.²⁴⁷

كانت سامراء ثاني مدن الخلافة العباسية بعد بغداد، وقد عاش فيها ثمانية خلفاء عباسون بداية من المعتصم بالله (218هـ/833م)، وبعده ابنه الواثق بالله (232هـ/847م)، وجاء بعده المتوكل جعفر بن المعتصم (247هـ/862م)، والمنتصر بالله محمد بن المتوكل (248هـ/862م)، والمستعين بالله احمد بن محمد بن المعتصم (252هـ/866م)، والمعتز بالله (255هـ/869م)، والمهتدي بالله (256هـ/870م) والمعتمد على الله (279هـ/892م) الذي تركها المعتمد ورجع الى بغداد مما سرع في خرابها.

يقول أحمد بن أبي يعقوب، في بداية الأمر كانت سر من رأى ارض صحراء من أرض الطبرهان، ليس بها عمار ، حيث كان هناك دير للنصارى ، وفيما بعد أصبح هذا الدير دارا للعامه، ولما قرر المعتصم القدوم إلى سامراء وإنشاء مدينة فيها، كلم الرهبان في دير النصارى وسألهم ما اسم هذا الموقع؟ فقالوا له وجدنا في كتبنا أن هذا الموقع يسمى سر من رأى وكان موطن سام بن نوح، وستقوم به مدينه كبيرة على يد أحد الملوك المشهورين، ويسكن فيها ومن بعده أولاده، فقال انا واولادي من يسكنها²⁴⁸.

ثم أمر بطلب المهندسين وطلب منهم أن يختاروا أحسن المواقع لبناء القصور، وأعطى إلى كل رجل من رجاله مكانا لبناء قصره، فأعطى إلى خاقان عرطوج أبي الفتح بن خاقان انشاء الجوسق الخاقاني، وإلى عمر بن فرج إنشاء القصر المشهور بالعمرى، وأوكل إلى أبي الوزير بناء القصر الذي يدعى بالوزيرى. بعد أن وضع المعتصم أسس إنشاء المدينه وقسم الأراضي على حسب القبائل ومجاورتهم في بلادهم، بنى الناس

²⁴⁷ الكتاجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، 141.

²⁴⁸ يعقوبي ، البلدان ، 24 . الحموي ، معجم البلدان ، 173/3.

البيان وارتفعوا فيه، وبنيت القصور وشقت الشوارع وحفرت الأنهار، ووصل إلى أسماع الناس أن دار الخلافة قد انتقلت إلى سامراء فساروا إليها، وأحضروا إليها من أنواع الأمتعة وكل مايفيد الناس ، فانفتح العيش والرزق لكل الناس، وظلت سامراء مركز الخلافة من سنة (22هـ إلى سنة 279هـ) حيث رجع المعتمد إلى بغداد²⁴⁹.

ويذكر لنا اليعقوبي أنه تم تصميم المدينة مع مراعاة الجانب العمراني والحضاري، وكان هذا من الأمور البديهيّة لأن الدولة العباسية في هذه الفترة كانت مستقرة وتركزت أركانها، حيث اهتم المعتصم بالبناء والعمران وفتح الأسواق العديدة، وعزل المهن حيث كانت الأسواق مقسمة حسب المهن والصناعات و تشبه إلى حد كبير أسواق بغداد من حيث الهندسة والعمران، كذلك اهتم المعتصم بالزراعة وحمل من جميع الأمصار الأشجار وشجع على التشجير، وجلب المعتصم جميع الصناعات وأصحاب المهن إلى سامراء، فأخذ من كل بلد أشهر الصناعات وأحضر من مصر أشهر من يعمل بالقراطيس وجلب من البصرة أشهر صناعات الزجاج والخزف، وأحضر من الكوفة أشهر الدهانين، وهكذا أحضر باقي المهن والصناعات.²⁵⁰

كان أكثر شيء وجه المعتصم العناية له في سامراء هو راحة جيشه، فقد صنفهم ضمن وحدات سكنية وراعى في هذا التقسيم أصولهم واختلافاتهم وجعل لكل منطقة سكنية قائدا مسؤولا عنهم. كما قلنا سابقا جعل المعتصم الأتراك حوله في قطائع خاصة، وكان لأهل اشروسنة قطائع خاصة ولأهل خوف مصر المعروفين بالمغاربة قطائع خاصة، وأول ما أطلق على هذه المدينة اسم (سرور من رأى) ثم اختصر إلى (سر من رأى)²⁵¹.

كان هدف المعتصم من بناء سامراء هو إيجاد مقر جديد له ولجندة، وحاول أن يجد كل الظروف المناسبة لتكون سامرا مركزا حضاريا يليق بمركز الخلافة، وهو نفسه ما بحث عنه وعمل عليه المنصور عند بناء مدينة بغداد، وقام المعتصم ببناء سامراء على الضفة الشرقية لنهر دجلة بشكل مستطيل²⁵².

²⁴⁹ ابن الاثير ، الكامل ، 6 / 181.

²⁵⁰ اليعقوبي ، البلدان ، 31.

²⁵¹ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 335.

²⁵² اليعقوبي ، البلدان ، 23.

1.2.3. أسباب نقل مركز الخلافة الى سامراء

واجه المعتصم العديد من الظروف التي جعلته يفكر بنقل مركز الخلافة من بغداد إلى سامراء، وهنا سوف أتطرق إلى جميع الأسباب التي دفعت المعتصم إلى ذلك ومنها: في عهد المعتصم ضجت بغداد بالجنود الأتراك، حيث أعطاهم دورا كبيرا في الدولة، وألبسهم نفائس الملابس، وأعطاهم الحرية في تصرفاتهم، حيث كانوا يمتطون الخيل في وسط الناس في بغداد، مما أدى إلى حدوث المشاكل مع العامة، بسبب اصطدامهم بالناس والأطفال والنساء، ولما شكى الناس إلى المعتصم غضب من الأتراك وزجرهم، وفكر بإنشاء مدينة لهم²⁵³. وكان لسوء تصرفات الأتراك ردة فعل كبيرة من أهل بغداد، فلم يرض البغداديون بقسوة الأتراك وهمجيتهم، وكانوا دائما ما يثورون عليهم يضربونهم ويقتلونهم، فصعب على المعتصم فقد رجاله فقرر الخروج من بغداد. فكر المعتصم والقادة بادئ الأمر في الشماسية (شمال شرقي بغداد) ولكن لكون مساحتها صغيرة وقريبة على بغداد غير المعتصم رأيه فيها، وطرق الفضل بن مروان اسم مدينة البروان إلا أن الفكرة لم تنل رضى المعتصم، وبعدها اتجهت الأنظار إلى البناء على نهر القاطول وبالفعل شرع في البناء لكن سرعان ما عدل عن البناء بسبب قساوة الأرض.²⁵⁴ واتجهت الأنظار إلى سامراء.

لقد تعددت الأسباب التي دفعت المعتصم إلى إيجاد عاصمة جديدة أيضا كما يذكر ياقوت الحموي إن المعتصم لم يحب بغداد بسبب أنها لم تكن تلائم مزاجه النفسي، وهذا ما يفنده الطبري أيضا حيث كان يرى أن من أسباب انتقال المعتصم من بغداد، هو الفارق الحضاري الكبير بين أهل بغداد والجنود الأتراك، وأن بغداد كانت مركز العلم والثقافة والحضارة، وهذا كان على عكس اهتمامات المعتصم وميوله، فكانت من ضمن أسباب رحيله منها.²⁵⁵

كذلك يذكر ابن الأثير إن سبب نقل الخلافة كان من خوف المعتصم من خروج العناصر غير التركيه عليه، فكان يجد أن بقاءه في بغداد فيه مجازفة، فقرر إيجاد مكان بديل له ولجنده.²⁵⁶

²⁵³ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 336.

²⁵⁴ الدوري، العصر العباسي الاول، 258.

²⁵⁵ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 311/10. الحموي، معجم البلدان، 691/1.

²⁵⁶ ابن الأثير، الكامل، 22/6.

وكان هؤلاء الأتراك لا يتكلمون العربية ولا يعرفونها، وكانوا عندما ينزلون إلى الشوارع يخيلهم يؤذون الناس فكان أهل بغداد يضربونهم وقتل منهم الكثير، وكذلك قتل من أهل بغداد الكثير، أي من الجانبين، وعندما صار الوضع هكذا قرر المعتصم مغادرة بغداد.²⁵⁷ ربما كان هدف المعتصم هو الحفاظ على السلم الاجتماعي الذي كان مهددا عبر دخول جنس غريب عن تركيبة المجتمع، وهذا الأمر طبيعي وفق موازين الفطرة الإنسانية، فأهل البلاد وأصحابها سرعان ما يصعب عليهم التعايش مع الوافد الجديد مع مرور الزمن.

ويروى أن ذات يوم ركب المعتصم فرسه فالتقى برجل مسن كبير بالعمر، فشكى له من الأتراك وقال له: "لا جزاك الله خيرا على استقدامك الأتراك إلى بغداد وقد أسكنتهم بيننا، فإن لم تبعدهم وتوقف أذاهم، لنرمينك بسهام الدعا"²⁵⁸، فخاف المعتصم من كلام الرجل، وقرر أخذ جنوده والخروج من بغداد، فصلى بالناس يوم العيد، ورحل إلى سامراء وبنائها، وهذا في سنة (221هـ/836م)

ويروي ابن الحموي روايه مشابهة إلى الرواية السابقة، فعندما كثر عدد الجنود الأتراك وازدحمت بغداد بهم، وبدأ الناس يتضايقون منهم، شكوا إلى المعتصم وهددوه بالدعاء عليه إذا لم يخرجهم، فخاف المعتصم على جنوده وخرج إلى سامراء²⁵⁹ فمن خلال هذا يمكننا أن ندرك أن موقف المعتصم كان صعبا، فهو لا يقدر على جنده الأتراك الذين استفحلوا في المؤسسة العسكرية، كما أنه لا يمكن أن يدير ظهره لعرب بغداد وهم أهله.

ومن الأسباب الرئيسة التي جعلت المعتصم يفكر بالخروج من بغداد، التمرد الذي حدث من العرب بقيادة ابن أخيه العباس بن المأمون، حيث فقد الثقة بعدها بالمقربين في بغداد وخشي منهم، ووجد في سامراء مدينة أكثر أمانا واستقلالا له ولجنده²⁶⁰.

²⁵⁷ يعقوبي، البلدان، 56-58.

²⁵⁸ أبو جعفر محمد بن علي ابن الطقطقي، الفخري في الأدب السلطانية، (بيروت: دار صادر، 1963م)، 210.

²⁵⁹ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 10/175.

²⁶⁰ Bahaddin Kök, *samerra nın Kuruluşu*, (Atatürk üniv. İlahiyat fak. Dergisi, xix, Erzurum2003), s.1-42

لقد كانت خطة المعتصم في إيجاد مركز جديد يسيطر فيه على أهل بغداد في حال تمردهم عليه ويكسر فيه قوتهم، وكان موضع سامراء مناسباً لذلك. ويمكننا أن نصف سامراء بأنها المدينة الخالية من المكائد والتصفيات السياسية، وهي مهمة للمعتصم لترتيب أوراقه من جديد. كان أهل بغداد ينظرون إلى جيش المعتصم وجنوده كما كانوا ينظرون إلى جيش طاهر بن الحسين، وكما اضطر المأمون إلى تغيير سياسته، اضطر المعتصم إلى تغيير مركز الخلافة.

لم تكن مدينة بغداد آمنة للمعتصم وجنوده وخصوصاً بعد ما حدث مع المأمون وما حدث للأمين فيها، حيث ضغط أهل بغداد على المأمون لكي يغادر مدينة مرو ويعود إلى مركز الخلافة، إن ما حدث في بغداد من خراب أثناء حرب الأمين والمأمون أدى إلى فقدانها الكثير من رونقها، خصوصاً بعد موت الأمين فيها، وزيادة على ذلك كانت بغداد حاضرة الثقافة العربيّة وكان هذا ما يميزها، وهذا بعيد عن ميول ورغبات المعتصم الذي كان ميالاً إلى العسكرية.

إذاً يمكن أن نقول من خلال ما سبق إن السبب الرئيسي في خروج المعتصم إلى سامراء وجعلها قضية محسومة بالنسبة إليه هو المواجهة العنيفة التي حدثت بين قوتين لا يستهان بهما في بغداد، القوة الأولى أهل بغداد والقوة الثانية الجند الأتراك فإذا كان الجيش قد استوعب الأتراك كعنصر جديد عليه، فإن شعب بغداد لم يتقبلهم ولم يرض بوجودهم من ضمن المجتمع البغدادي، وذلك بسبب الفرق الشاسع في الثقافة والطباع والعادات. وهذا السبب جعل قوة التصادم عنيفة بين الجانبين مما دعى المعتصم إلى اتخاذ قرار حاسم وسريع²⁶¹.

ويذكر بعض المؤرخين أن نقل مركز الخلافة من بغداد إلى سامراء سبب في وهن الخلفاء وزيادة سلطة القادة الأتراك، حيث أصبح الخليفة بمعزل عن رعيته وتحت سيطرة جنوده، لكن فند هذا الرأي ورفضه قسم آخر من المؤرخين ورأى أن الكلمة الفصل تعود للخليفة وشخصيته وطريقة قيادته للجيش، فالمعتصم رغم ابتعاده عن بغداد إلا أنه كانت له سلطة على جيشه وعلى الأتراك وذلك بسبب قوة شخصيته، على

²⁶¹ عمرفوزي، عصر القوة والازدهار، 262/1.

عكس الأمين الذي كان بالقرب من أهل بغداد لكن لم يكن له كلمة ولا حضور قوي مما أدى به إلى نهايه غير محمودة.²⁶²

كان الجيش العباسي في سامراء يتكون من ثلاث مجموعات وهي مجموعة الأتراك الذين جاؤوا من اسيا الوسطى واشروسنه كما ورد ذكره سابقا ، ومجموعة الفراغنة نسبه إلى أماكن قدومهم من فرغانة، والمجموعة الثالثة هم الخزر وكان يطلق عليهم اسم الخزيين، وكانوا يشكلون جزءا كبيرا من الجيش العباسي، وكانوا يسكنون بشكل منفصل عن بعضهم في أحياء متفرقة في سامراء.²⁶³ وعندما بنى المعتصم سامراء عزل الأتراك عن العرب وباقي العناصر وكان الفراغنة بجوار الأتراك في أحياء منفصلة فكان اشناس ورجالة في منطقة تسمى (كيهه) وكان القائد التركي خاقان اورتو وجماعته في (الجوسق الخاقاني) وكذلك القائد الأفشين وأصحابه سكنوا منطقة (الحيرة) و منطقة (المطيرة). ويذكر اليعقوبي أن المعتصم قام باستقطاع أراض لقادة الأتراك منهم الأفشين ووصيف في سامراء ومنعهم من الاختلاط بالعناصر الأخرى للحفاظ على نسلهم ودمائهم، وبذل المعتصم الكثير من الجهود لتعليمهم مبادئ الدين الإسلامي والقرآن.

وأمر المعتصم بإنشاء الجوامع والأسواق داخل مناطقهم ولم يكن في هذه المناطق أي عنصر غريب عنهم، كذلك قام بإحضار الجواري التركيات لتزويجهن بالجنود الأتراك، للحفاظ على دمائهم من الاختلاط بعناصر أخرى، وحتى أطفالهم كانوا عندما يكبرون يتزوجون من بعضهم، وتم إدراج أسماء الجاريات في سجلات الدولة ، وتم تخصيص رواتب لهن، ومنع الخليفة على الأتراك الطلاق أو الانفصال وكان الأتراك والفراغنة والخزر في أحياء منفصلة، لكن متجاورة²⁶⁴.

رغم ما قام به المعتصم من نقل مركز الخلافة إلى سامراء للتخلص من الصراعات بين العرب والأتراك، إلا أنه لم يمنع هذا الصراع الذي حدث بين العرب والأتراك والفرس ، لأنهم أحسوا أن السلطة خرجت

²⁶² نصر عبد الرحمن ، تاريخ الدولة العباسية ، 133.

²⁶³ اليعقوبي ، البلدان ، 59.

²⁶⁴ اليعقوبي ، البلدان ، 59 .

من أيديهم، وانقلبت الأمور ضدهم فلقد أراد العرب والفرس العباس بن المأمون، وبالمقابل كان الأتراك يرفضون ذلك وعلى رأسهم الأفشين .

كان من المفترض التخطيط لقتل المعتصم والأفشين واشناس من قبل القادة المعادين للأتراك، وكان هذا خلال حملة عمورية، ورغم كل الاحتياطات والتكتيم على هذه المؤامرة إلا أنه تم كشفها والقضاء على مدبريها، وكانت نتيجة هذه الحادثة أن خسر العرب والفرس خسارة كبيرة أمام الأتراك²⁶⁵.



²⁶⁵ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 9 / 77.

2.2.3. بناء العاصمة الجديد سامراء

شرع المعتصم بتخطيط مدينته الجديدة عام (221هـ/836م) وصممت على شكل محاذي لنهر دجلة، وأول ما أنشأ فيها الأسوار العملاقة، وذلك لتعزيز حدود الدولة الإسلامية وتأمينها، ولقد اهتم المعتصم بالعمارة والفن عند بنائه المدينة، وجلب العمال والحرفيين من جميع الأقاليم الإسلامية. قام الخلفاء العباسيون بإنشاء القصور الكبيرة التي امتازت بالفخامة والجمال والرقي في كلتا العاصمتين بغداد وسامراء، وخصوصا بعد أن صارت الدولة العباسية أغنى دول العالم، وتعدى الأمر وشمل الوزراء والأمراء وكبار رجالات الدولة، وكان الخليفة المهدي أول من عاش من الخلفاء العباسيين حياة الرفاهية والبذخ، وكذلك الأمين الذي جلب الخدم من كل الأمصار وزاد منهم²⁶⁶ وكذلك المعتصم فقد بالغ من بناء القصور في سامراء، وبني المتوكل تسعة عشر قصرا. وقد تميزت تلك القصور بفخامتها وبما حوته بداخلها من أحجار ثمينة وذهب وجواهر، وأبنية مغلقة بالفيسفاء والرخام²⁶⁷. وأسرة مطلاة بالذهب وستور من الديباج، ومختلف النقوش والزخارف الراقية، وهذا يدل على مدى الرفاهية التي كان الخلفاء يعيشون بها، كانت مدينة سامراء تتمتع بأنها منطقة ثرية بالصيد، وكان أساس اختيار المعتصم لسامراء هو بحثه عن منطقة صيد.²⁶⁸ بالإضافة إلى موقع سامراء المتميز من الناحية الاستراتيجية والعسكرية.

هكذا تم اختيار وبناء مدينة سامراء حتى أضحت من أرقى مدن العالم، وقصدها القاصي والداني من كل بقاع الأرض.

التسمية

تعود تسمية مدينة سامراء إلى عدة تسميات لها مدلولات ومنها.

سامرا: وترجع أصول هذه التسمية كونها مدينه (سام بن نوح) عليه السلام وهو من بناها²⁶⁹.

²⁶⁶ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 9/156-170.

²⁶⁷ ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، 3/434.

²⁶⁸ يعقوبي، البلدان، 23.

²⁶⁹ عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، معجم ما استعجم (بيروت: عالم الكتب، د.ت)، 3/734.

سام راه : ويلفظه الأهليون سامره، وقيل إن سام بن نوح أتى إلى هذه المنطقة، عندما نزل من السفينه بنى هذه المدينة وقيل عنها وسط الدنيا فقيل (سام راء).²⁷⁰

سر من رأى : ومعناه السرور في لغة العرب²⁷¹ وظلت على هذا الاسم .

بدل الناس اسم (سرمن رأى) فأطلقوا سامراء على هذه المنطقة، ومنهم ياقوت الحموي الذي جعل اسم سامراء عنوانا للمترجم في سفره الجغرافي الشهير²⁷².

مرت مدينة سامراء بعدة مراحل حتى اكتمل عمرائها، بدأها المعتصم والوائق وكانت المرحلة الأولى وأكملها المتوكل ببناء مدينة المتوكلية .

عوامل اختيار موقع مدينة سامراء

كان لموقع سامراء الحيوي دور اساسي في اختيارها عاصمة جديدة للأتراك، فهي تقع على الطرف الأيسر من نهر دجلة، فوق أرض مرتفعه قليلا، ويعتبر موقعها متوسط دولة العراق، مما يتيح للمعتصم السيطرة على البلاد، وتعتبر هذه العاصمة قلب الأمبراطورية العباسية.²⁷³

وكان وجود المياه من جميع جوانبها سبب في ترجيح سامراء عاصمة للأتراك، لان وجود المياه هو خط دفاعي طبيعي يحمي العاصمة، ناهيك عن خصوبة تربتها لانها تقع ضمن السهل الرسوبي وهذا بحد ذاته عامل جذب جيد للسكان. ويعتبر مناخها متباين في درجات الحرارة، ولكن بسبب قربها من الانهار جعلها ملائمة لسكن الجنود الأتراك والسكان عامة²⁷⁴.

²⁷⁰ الحموي، معجم البلدان ، 173/3.

²⁷¹ ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والاشراف، (بغداد، المكتبة العصرية، 1938م)، 311.

²⁷² الحموي، معجم البلدان ، 173/3.

²⁷³ طاهر مظفر العميد ، الأثر العسكري في أختطاط المدن الإسلامية ، (بغداد : مجلة كلية الاداب ، د.ت)، ع: 29، 124.

²⁷⁴ خطاب صكار العاني، جغرافية العراق أرضا وسكانا وموارد اقتصادية (بغداد: مطبعة العاني، 1990م)، 26.

تصميم مدينة سامراء واستقطاع أراضي الأتراك

من الطبيعي في أي مدينة عندما تتوفر العوامل الطبيعية والبشرية فيها، فأنها تأخذ نمط الاستيطان، وقد رسمت مدينة سامراء بشكل طولي مع نهر دجلة وقد امتدت من الشمال إلى الجنوب، لعدم وجود عائق أمام توسعها في كلا الاتجاهين، وقد شقت شوارعها بصورة مستقيمة، لكي تكون أكثر كفاءة، وكانت حلقة وصل بين مركز المدينة السياسي والمركز الإداري والديني، كذلك تم إنشاء الشوارع الفرعية ووصلها بالطرق الرئيسية.

ومن أهم الشوارع التي تم إنشاؤها للأتراك وقطائع الجند:

1- الشارع الأعظم (السريجة) وهو في الجهة الشرقية من شارع الخليج، ويبدأ من المطيرة جنوبا ليصل قطعة اشناس باتجاه الشمال، حيث يمتد أيضا من شمال سامراء إلى جنوبها، وكان من الشوارع العريضة في سامراء. ويعتبر هذا الشارع حيويا جدا فقد كانت عليه الكثير من مراكز الدولة المهمة مثل دار الخلافة، ودار الشرطة، والجامع القديم، وديوان الخراج، وقطائع الخراسانيين²⁷⁵. فالشارع يكتسب أهمية من الناحية السياسية بالدرجة الأولى، فهو أشبه بحي يضم أهم مؤسسات الدولة التي تدير القرارات العليا.

2- شارع الحير الأول: وكان يضم قطائع الجند والعام.²⁷⁶

3- شارع برغامش التركي: وكان يحوي قطائع الأتراك، وكذلك إلى جانبها قطائع الفراغنة، وكان هذا الشارع منعزلا عن الناس مخصصا لهم، لا يخالطهم أحد²⁷⁷. فهو شارع ارتبط اسمه بساكنيه وعرقهم، فهو أشبه بمستوطنة خاصة تضم عرقا واحدا منفردا عن غيره من الأعراق.

²⁷⁵ يعقوبي، البلدان ، 266.

²⁷⁶ سحاب خليفة السامرائي، حسين علوان ابراهيم، العوامل الجغرافية وأثرها في اختيار موقع مدينة سامراء العباسية (العراق : جامعة

تكريت كلية التربية ، 2008م)، ع: 10، 8.

²⁷⁷ المسعودي، مروج الذهب ، 55.

4- شارع صالح العباسي : (شارع العسكر) وكان عليه قطائع قواد الجيش والكتاب وكبار رجال الدولة، وتأتي أهمية هذا الشارع من كونه إلى جانب الشارع الأعظم منطقة سياسية عسكرية تسهم بشكل كبير بإدارة الدولة.

5- شارع الحير الجديد: وهذا الشارع يقع على طرفيه جماعات من السكان منهم الاشروسنة ، والخراسانيون والخرزيون²⁷⁸.

المعسكرات

أول ما قام به المعتصم قبل أن يخطط لمدينة سامراء هو بناء معسكر الاصطبلات الذي بني في جنوب مدينة سامراء، في الوسط بين سامراء وبلد، وعمل المعتصم على تأمينه من خلال عمل أسوار عالية له وإحاطته بقنوات مياه من كل أطرافه، وتم تزويده بالمياه من فروع نهر الاسحافي، وكان هذا المعسكر على شكل مستطيل طولة (500م) وعرضه (215م) وهذا المستطيل يتصل بمستطيل أكبر منه بطول (1700م) وعرض (550م)، وكان هذا المعسكر عبارة عن وحدات أو ثكنات لسكن الجنود والضباط الأتراك، وأماكن لخرن السلاح، وأماكن واسعة لتدريب الجنود الأتراك ، واصطبلات لخيول الجنود، وكانت مساحته تسع (160 الف) حصان.²⁷⁹

الوحدات السكنية الخاصة بالأتراك

قام مهندسو مدينة سامراء بتقسيم الأراضي حسب استخدامها، حيث قطعت الأراضي السكنية على أساس عرقي، ومبدأ العزل السكاني، ومنحت كل جماعة من الناس أراض خاصة للسكن، فقطعت أراضي الخراسانيين على الشارع الأعظم، أما الأتراك فأعطيت لهم أراض بعيدة عن المركز، شرق مدينة سامراء، وبُنيت هذه المساكن بنفس الخريطة والشكل، وكانت هذه المقاطعات تطل على الأزقة، وكانت مساكنها مفصولة عن بعضها ببناء مسقوف²⁸⁰ عندما استقر الناس في المساكن وانتظمت الحياة، أصبح

²⁷⁸ سحاب خليفة ، العوامل الجغرافية واثرها في اختيار موقع مدينة سامراء العباسية ، ع: 10، 9.

²⁷⁹ احمد عبد الباقي ، سامراء عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، 1989م) 90/1.

²⁸⁰ ادم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1967م)، 210/2.

كل سلالة مسؤولة عن حيها، وهذا كان لحفظ الأمن والسلام في المدينة، وكان للأتراك وأهل الذمة والموالي والخراسانيين والجند والعامة وحدات سكنية مستقلة.

نلاحظ من كل ماذكر سابقا أن عاصمة سامراء كانت من ضمن امبراطورية كبيرة متشعبة الأطراف، وكانت سامراء عاصمة متكاملة، سياسية واقتصادية وعسكرية، ولم يكن سبب بنائها الدافع العسكري فقط، بل دخلت عوامل تشجيعية أخرى دفعت المعتصم إلى بنائها وهو كما ذكرنا العامل الطبيعي والبشري والإقليمي، وخصوصا بعد ما عرفنا أن مدينة سامراء كانت مسكونة من قبل أقوام أخرى من قبل آلاف السنين.

وبقيت سرمن رأى في عمار وفخر وزيادة في البنيان من أيام المعتصم والواثق حتى نهاية عهد المنتصر بن المتوكل، وفي نهاية عهد المعتضد سنة (289هـ/902م) انطفأ بريق سامراء وأفل نجمها، وذهب جمالها ومكانتها بعد القرن الثالث الهجري. وحل بها الدمار، ولم يظل بها غير قبور الخلفاء الواثق، والمتوكل، وابنه المنتصر، وأخيه المعتز، والمهتدي والمعتمد بن المتوكل، وبعض قبور الأولياء من بيت الرسول منهم قبر علي الهادي الإمام العاشر²⁸¹

²⁸¹ الحموي، معجم البلدان، 10/176. إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، 3/313.

3.3. دور القادة الأتراك في التمردات والحركات التي حدثت في عهد المعتصم

كانت نتيجة لسياسة الخليفة المعتصم التي اتبع فيها تفضيل الأتراك على العرب والفرس، وإغداقهم بالأموال أن حرك مشاعر العرب الذين شعروا بسياسة تمييز تقترب منهم، فقابلوا ذلك بنظرة سوداوية تشوبها الكراهية ضد الأتراك فخرجت عدة جماعات عربية وتمردت لأسباب مختلفة، إلا أن قوة الدولة في تلك الأثناء حالت دون نجاح أي من الاحتجاجات، حيث تمكنت من قمع هذه الحركات بكل يسر وخصوصا عندما استخدم المعتصم القادة الأتراك في ذلك²⁸²، ونذكر هنا ملخصا عنها:

حركة الزط

كانت حركة الزط من أخطر الحركات التي خرجت في عهد المعتصم وأحدثت القلاقل والإرباك في الدولة حيث أنها لم تكن وليدة هذا العهد بل ورثتها الدولة من عهد المأمون، ويعود مكان نشأتهم كما يقول البلاذري إلى منطقة السند في بلاد الهند وكانت مهنتهم التي يزاولونها رعاية الجواميس، فجلبهم الحجاج أثناء حكمه في العراق ووطنهم في المنطقة الجنوبية من العراق في منطقة تدعى (كسكر) لكي تستقر المنطقة بهم، لأن وجود حيوان الجاموس في هذه المنطقة يمنع من تواجد الأسود لأنها تخاف الجواميس. وكان حصول القحط في بلادهم الأصلية السبب الرئيس الذي دفعهم للهجرة إلى العراق بموافقة الحجاج، لإنعاش تلك المنطقة بهم. وكان نتيجة لسوء أحوالهم المادية والاقتصادية بالإضافة إلى وضعهم الاجتماعي البسيط يلجؤون لطرق غير شرعية لتحصيل قوتهم، فكانوا يسرقون ويمارسون القرصنة على أهل السفن من أجل مايسد رمقهم من الطعام. وفي عهد المأمون تزايدت أعمال السرقة وأصبحوا يشكلون تهديدا على الطرق التجارية وأمن الدولة والناس، حتى أنهم قطعوا الطريق بين بغداد والبصرة، وأدى ذلك إلى قطع المؤن والبضائع²⁸³، وكان هؤلاء الزط يقومون بأعمالهم بالاشتراك مع العبيد الهاربين وذلك بسبب تشابه ظروفهم الحياتية.

²⁸² عبد المنعم الهاشمي، الخلافة العباسية، (بيروت: دار ابن الحزم، 2003م)، 338.

²⁸³ البلاذري، فتوح البلدان، 383.

ولما جاء المعتصم بعث لهم عجيف بن عنبسة وكان معه جيش كبير من الجنود الأتراك هذا سنة (219هـ/825م)، فضيق الخناق عليهم وقطع منابع الأنهار عنهم في منطقة البطيحة، وهجم بجيشه عليهم وأسر خمسمائة رجل وقتل ثلثمائة آخرين فحاصروهم خمسة عشر يوما وفي نفس السنة من شهر ذي الحجة، استسلموا أمام الجيش العباسي حفاظا على ماتبقى من أرواحهم وأموالهم ، فقبل عجيف بن عنبسة منهم ذلك، وقام الخليفة المعتصم بطردهم إلى عين الزربة²⁸⁴.

وهكذا أخفقت هذه الحركة في تحقيق ماكانت تصبو اليه من انشاء دولة مستقلة لهم .

حركة بابك الخرمي .

وهي من أقوى حركات التمرد القوية التي حدثت في عهد المعتصم، وكانت دينية في شكلها ، سياسية في مضمونها، وهي إيرانية فارسية، وكانت على قدر عال من القوة وحسن القيادة، وكانت تسير على خطى واضحة ومدروسة، ومن حيث المبدأ كانت لاختلف مبادئها كثيرا عن الحركات التي قامت في تلك الفترة²⁸⁵.

وكانت لهذه الحركة كما لباقي الحركات أهداف تسعى إليها .ورث المعتصم من أخيه المأمون مجموعة من الأحمال الثقيلة التي أرهقت كاهل الدولة، ولقد كان المعتصم على استعداد كبير لتحمل أعباء هذه الحركات. كان من أحد أهداف المعتصم تأليف جيش قوي بقوة تركية هو القضاء على التمردات الداخلية والخارجية، وكانت حركة بابك من أولوياته التي وجه لها أكبر قواده من الأتراك وهو الأفشين.

لقد بدأ بابك الخرمي دعوة في عهد المأمون وكان هذا في عام (201هـ/817م) وحث الناس على الدخول لدين جديد مضمونه الحلول – أي تقمص الأرواح – وكان رجاله من الإيرانيين يقومون بأعمال تهريب الناس والسرقة، ولم ينجح المأمون في القضاء على هذه الحركة²⁸⁶ زاد الوضع خطورة عندما تسلم المعتصم العرش، وكان المعتصم عازما على القضاء على حركة بابك الخرمي للحفاظ على استقرار دولته،

²⁸⁴ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 306/10.

²⁸⁵ الدوري، العصر العباسي الأول ، 234.

²⁸⁶ الكتاجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، 142.

فأرسل له جيشا على رأسه الأفشين بن حيدر بن كاوس، الذي قلده منصب أمير على الجبال وكان هذا في حدود سنة (220هـ/835م) وأمره بالقضاء عليه.²⁸⁷

اتخذ الصراع مع بابك الخرمي شكلا جديدا وجديا في عهد المعتصم، ولا عجب حيث كان المعتصم قائدا شجاعا وقويا ويتمتع بفطنة عالية في مجال الحرب، حيث أرسل فرقة بعد الأخرى، برفقة أقوى قواده، ولم يخل بالمال ولا بالسلاح في هذه الحرب، وفي نفس الوقت أصبح العباسيون ذوي خبرة كبيرة في هذه المرحلة، بسبب ما اكتسبوه من قتالهم مع بابك، حيث علموا بطريقة تفكيره وأسلوبه.²⁸⁸

كان المعتصم شديد الاهتمام والقلق بهذه الحملة، حيث إنه كان حريصا على تتبع أخبار الأفشين أول بأول وعمل على تقليل الصعوبات التي واجهت الأفشين إلى أقصى حد، حيث أوصى أن يكون على مقدمة كل فرسخ شخص ينقل البريد ومعه حصان، وحصل ما أمر به المعتصم وزرع الطريق من سامراء لغاية معسكر الأفشين برجال البريد. وكان الهدف منها تسهيل تنقل الأخبار بين المعتصم والأفشين بأسرع وقت ممكن، فكان يتم التواصل في غضون أيام قليلة، كما استخدم المعتصم الحمام الزاجل في هذه المعركة لنقل الرسائل.²⁸⁹

كان الأفشين حذرا في التعامل مع بابك لأنه على علم بأنه يحارب ثعلبا ماكرا، فلم يحاربة بالطرق المعتادة للحرب، بل استخدم معه الدهاء والمناورة، وخصوصا كانت ساحة المعركة منطقة جبلية، مما زاد من صعوبة الحرب، حاول الأفشين استخدام رجال بابك لصالحه مقابل المال، فكان يمنحهم ضعف ما كان يعطيهم بابك، وبذلك استفاد الأفشين من رجال بابك لصالحه.²⁹⁰

واستطاع بذلك الفعل تحييد المئات من رجالات بابك عبر شرائهم بالمال، وإخراجهم خارج ساحات المعركة مما يسهل عليه إنجاز مهمته بأسرع وقت. وفي سنة (222هـ/837م) بعث المعتصم بإمدادات جديدة إلى الأفشين، حيث بعث ايتاخ التركي ومعه ثلاثون ألفا ألف درهم من أجل التعجيل لإنهاء هذه

²⁸⁷ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 308/10. ابن الاثير، الكامل، 18/6.

²⁸⁸ الدوري، العصر العباسي الاول، 240.

²⁸⁹ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 52/9.

²⁹⁰ ابن الاثير، الكامل، 20/6.

الحرب على بابك، فسلمها ابتاخ إلى الأفشين وعاد إلى سامراء، حتى لا يترك أمام الأفشين مجالا للتهاون، ورغم ذلك كان الأفشين متأنيا في خطواته حذرا يقظا، لأنه على علم بمدى خطورة خصمه.²⁹¹

عمل الأفشين على كسب ملوك أرمينية إلى جانبه، حيث نزع بابك الخرمي باتجاه أراضيهم، وطلب منهم المساندة، وخصوصا أن أذى بابك وصل إلى أرضي البطارقة، واستباح حرمتهم، فكان هناك دافع لكلا الطرفين للتخلص منه، وعندما علم سهل بن سنباط قرب بابك منه استدرجه إلى أراضييه، ثم أخبر الأفشين بوجود بابك في حاضرتة، وبذلك تم الاتفاق والأمسك ببابك الخرمي، وفي سنة (223هـ/838م) عاد الأفشين إلى دار الخلافة العباسية في سامراء مكللا بالنجاح وقد جلب معه بابك الخرمي مقيدا بالسلاسل، وكان باستقبالهم هارون الواثق بن المعتصم، جلب الأفشين بابك إلى قصره في المطيرة، وكان للمعتصم فضول في رؤيته فأخفى وجهه وذهب لرؤيته.

تجمع الناس من باب العامة إلى المطيرة، وقام المعتصم بإهانة بابك وأمر بأن يصعد على فيل ويخرج إلى باب العامة، ثم جلب إلى قصر المعتصم، وأمر المعتصم بإحضار سيوفه ليقطع بها يديه ورجليه، وحدث ما أمر به ثم أمر بقتله، وبعث رأسه إلى خراسان، وصلب الجسم في سامراء²⁹². وبعد معارك طويلة استمرت لعدة سنوات، تمكن الأفشين من تحقيق النصر على بابك، والقضاء على حركته، احتفل الشعب العباسي والدولة بخبر انتهاء بابك، واحتفل الناس بالشوارع، وكبرت المساجد، وأرسلت الكتب إلى باقي المدن، تبشيرا بالفتح والنصر²⁹³

وبذلك انتهى خطر البابكية الذي استنزف قوى الدولة لسنوات طويلة من عهد المأمون إلى عهد المعتصم، وبالرغم أن المعتصم هو الذي كان يدير شوؤن المعركة عن بعد و كان المخطط لكل شيء منذ أن خرج الأفشين إلى البرزند حتى رجع إلى سامراء، إلا أنه كافأ الأفشين حيث أهدى له وشاحين من الجواهر، ووهبه عشرين ألف درهم، وأعطاه ولاية السند.²⁹⁴

²⁹¹ ابن الأثير، الكامل، 6/ 28-30.

²⁹² الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 9/ 40-51.

²⁹³ الكتاجي، الترك في مؤلفات الجاحظ، 143.

²⁹⁴ ابن الأثير، الكامل، 6/ 38.

كان من أهم نجاح هذه الحملة هو تركيز الخليفة المعتصم كل إمكانياته الحربية للقضاء عليها، وكذلك ثقته بالأفشين الذي كان له دور فعال في القضاء على هذه الحركة بسبب ذكائه، وتنفيذ أوامر الخليفة حرفياً. فلم يكن هناك سوء تصرف أو اختلاف بالآراء، كذلك كان أسلوب الأفشين في استقطاب رجال بابل دور كبير في نجاح المعتصم ورجاله، ففي هذه المعركة توافقت السياسي مع العسكري وتم إنجاز العمل الذي خلص الدولة من قوة هدفت إلى الاستقلال والتمرد.



3.3.1. فتح عمورية على ايدي القادة الاتراك (223هـ/ 838م)

كانت بداية الحروب بين المسلمين والروم منذ أيام النبي محمد (ص) ودام الخلاف لزمن الخليفة المعتصم، ومنذ أيام المأمون بدأ الروم يخلقون المشاكل والفتن، وفي الأيام الأولى من عهد المعتصم كانت الأوضاع يسودها الهدوء من الطرفين، وذلك بسبب انشغال المعتصم بالبابكية، وفي الوقت نفسه انشغال الامبراطور البيزنطي ثيوفيل بالتفكير لاسترداد جزيرة صقلية من نفوذ المسلمين.²⁹⁵ لكنه كان الهدوء الذي يسبق العاصفة، فلم يستمر هذا الهدوء طويلا، إذ سرعان ما شن ثيوفيل حربا على المسلمين من الجهة الشرقية للامبراطورية البيزنطينية، وكان هجومه على أعالي الفرات ليضمن سهولة الاتصال مع بابك الخرمي من ناحية ارمينيا وأذربيجان²⁹⁶ فعندما أحكم الأفشين الخناق على بابك وحاصره، أرسل بابك إلى ملك الروم ثيوفيل بن ميخائيل يستعطفه ويحثه على مساعدته في رسالة خطية: "إن ملك العرب قد بعث بعساكره وجنوده إلي، حتى بعث خياطة -ويقصد جعفر بن خياط، وطباخة -أي أيتاخ - وليس لديه أحد على بابه الآن، فإن نويت الخروج إليه، فاعلم أنه ليس هناك من يمنعك أو يقاتلك" ²⁹⁷.

وفي سنة (223هـ/ 738م) خرج ثيوفيل بن ميخائيل على رأس جيش كان يقدر ب(100,000) جندي، وكانت زبيرة محل ولادة المعتصم أحد أهداف ثيوفيل، كان هدفه من ذلك هو تخليص بابك من هجوم الأفشين، فهجم على زبيرة وقام بإحراقها وأسر المسلمين الذين كانوا فيها، وأحدث مقتلة كبيرة بين الرجال و قام بسبي النساء، ولم يقتصر الأمر على أهل زبيرة بل فعل بأهل ملطية نفس الشيء، ومثل بالمسلمين فسمّل عيونهم وقطع أنوفهم وأذاخهم، وشاع الخوف والرعب في بلاد المسلمين.²⁹⁸

²⁹⁵ طقوش، تاريخ الدولة العباسية، 146.

²⁹⁶ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 56/9.

²⁹⁷ ابن الاثير، الكامل، 6/ 39.

²⁹⁸ ابن الاثير، الكامل، 6/ 40.

تحامل المعتصم كثيرا، وشعر بالتحدي، وأخذ هذه الهجمة لشخصه، قبل أن تكون هجوم على مدينة من مدن الدولة العباسية وأخذ الموضوع مأخذ الجد، وقرر الانتقام لربطه وإرجاع الحقوق لأصحابها، وما إن قضى على ثورة بابك حتى تهيأ للحرب ضد ثيوفيل متوعدا بإنهاء نفوذ الامبراطورية البيزنطية في المنطقة، وكان في نية المعتصم القضاء على امبراطور الروم، فخرج قاصدا عمورية مكان ولادة ثيوفيل على رأس جيش عظيم، مجهزا تجهيزا كبيرا بكل ما يحتاجه العساكر من السلاح والعدة والبغال وغيرها. ومن المهم أن نذكر أن السيطرة على عموريه هي بداية السيطرة على القسطنطينية فيما بعد. ولكن عمورية كانت حصنا قويا وسدا منيعا أمام الفتوحات الإسلامية على اختلافها، وقد سأل المعتصم القادة عندما توجه صوب عمورية لفتحها أي بلاد الروم احسن فليل له عمورية.²⁹⁹

خرج المعتصم بقيادة جيش كبير من سامراء، وكانت أنقره أحد أهدافه، ولما دخل بلاد الروم أرسل الأفشين إلى أنقرة، فأخذها وبعدها اتجه إلى عمورية، حيث كانت هاتان المدينتان أصعب ما يكون، وجعل أشناس التركي في المقدمة، وابتاخ قائدا للميمنة، وجعفر بن دينار على الميسرة، وعجيف بن عنبسة في القلب. واختياره لم يكن محض صدفة أو سد شاغر في الجيش، فالقادة المختارون هم ذوو خبرة قتالية عالية، وامت على أيديهم الكثير من الإنجازات العسكرية.

وكان الأفشين على رأس فرقة عسكرية كبيرة، كتب عليها (عمورية)، وكان من المخطط له أن يتم دخول الأراضي البيزنطية من ثلاثة محاور، كان الأفشين يقود فرقته من الجهة الشرقية باتجاه مدينة سروج، أما القائد أشناس فكان يقود فرقته من الجهة الغربية باتجاه مدينة الصفصاف عبر جبال طوروس، وكان من المخطط له أن يلتقي مع جيش الأفشين في سهل أنقرة، وكان الخليفة المعتصم على رأس الفرقة الثالثة من الجيش، وكانت خطة الخليفة المعتصم أن تجتمع المحاور الثلاثة عند سهل أنقرة لدخول المدينة.³⁰⁰

حدثت معارك كبيرة بين الطرفين وكان هذا في سنة (223هـ/838م)، وفي بداية هذه المعركة حقق البيزنطيون انتصارا إلا أنهم سرعان ما تراجعوا وخسروا أمام الجيش العباسي بسبب ما أشيع بين صفوف

²⁹⁹ ابن الاثير، الكامل، 40/6.

³⁰⁰ ابن الاثير، الكامل، 40/6.

الجيش أن ثيوفيل قتل، مما أحدث زعزعة بين المقاتلين، وانهمزوا من المعركة، الأمر الذي دفع ثيوفيل إلى الفرار³⁰¹.

وأمام هذا الموقف اضطر ثيوفيل أن يطلب السماح من الخليفة المعتصم والعفو عنه مقابل أن يعيد بناء زبيرة، وتعهده بإعطاء جميع أسرى المسلمين دياتهم، لكن الخليفة المعتصم رفض هذا الطلب، واستمر تقدمه نحو عمورية، وعندما وصلها حاصر المدينة، ورفعت الراية البيضاء بعد أسبوعين من تطويقها، ودخلها المسلمون فاتحين، وقام المعتصم بإعادة بناء زبيرة لما لها من مكانة عنده.

يرجع المؤرخون سبب تحامل الخليفة المعتصم وقراره بالقضاء على الدولة البيزنطية، إلى الحادثة التي انتشرت عن امرأة هاشمية سقطت أسيرة في أيدي البيزنطيين، فاستنجدت بالمعتصم بقولها: (واه معتصماه)، فلما سمع المعتصم بها قال: لبيك لبيك، وقام من مقامه لنصرتها، وقد استهزأ منها ثيوفيل وحبسها³⁰²، وبعيدا عن هذه الرواية التي لانعرف مدى صحتها، إلا أنها بالتأكيد لم تكن هي السبب الوحيد للحرب، بل كانت هناك عوامل اجتمعت وأدت إلى هذه النتيجة منها: الاتفاق الذي قام بين ثيوفيل وبابك الخرمي، هذا الاتفاق الذي اعتبره المعتصم تدخلا في شؤون دولته من خلال مساعدة متمرّد ضد دولته، بالإضافة إلى الهجوم المتكرر على الثغور الإسلامية، الأمر الذي باستمرار سيؤدي إلى استنزاف قدرات الدولة العسكرية، فضلا عن السياسة الخارجية للدولة العباسية حينها والتي أولت اهتمامها للوقوف بوجه الخطر البيزنطي الخارجي.

³⁰¹ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 61/9-62.

³⁰² ابن الاثير، الكامل، 45/6.

2.3.3. حركة المازيار بن قارن

وهو آخر الأمراء القارنيين في طبرستان، ولاءه المأمون ولايتي طبرستان، ورويان، ودنباوند، ولقبه بالأصبهذ³⁰³ كان الخلفاء في العصر العباسي يعملون على بقاء الحكم على مناطقهم البعيدة عن مركز الخلافة اذا ما اعلنوا أسلامهم وولائهم للدولة العباسية، ودفع الجزية السنوية، وكان المازيار احد هؤلاء الحكام الذي بقي على ولاية طبرستان³⁰⁴.

كانت ولاية طبرستان تابعة إداريا لولاية خراسان التي كانت تحت يد عبد الله بن الطاهر، وكان المازيار معجبا بنفسه وذا شخصية مستقلة، وبسبب كرهه لآل طاهر الذي كان حاكم ولاية خراسان، وكان من ضمنها طبرستان، كان يرفض دفع الجزية لهم، وكان يرسلها للمعتصم بشكل مباشر، وأراد ان يثبت من خلال هذا التصرف أنه بنفس المرتبة مع عبد الله بن طاهر، وليس أدنى منه ولا تابعا له، وهذا مما خلق عدااء بين الطرفين، وفكر المازيار بالانفصال عن الدولة، وإيجاد حكم ذاتي لنفسه³⁰⁵، وكما ذكر الطبري كان الأفشين طامع في ولاية خراسان فبعث الأفشين إلى المازيار سرا يحرضه على التمرد، آملا ألا يستطيع عبد الله بن طاهر قمعه، فينتزعون منه ولاية خراسان.³⁰⁶

حدث قبول واتفاق بين الأفشين والمازيار، على التخلص من الدولة العباسية وإحياء دينهم القديم، وضع الأفشين الخطة وسار عليها المازيار، وقد نصت على إعلان المازيار التمرد، وعندها سيرسل المعتصم الأفشين بلا شك لإنهاء هذا التمرد، وهنا يتم القضاء على جيش المعتصم، والاستيلاء على بلاد خراسان وما وراء النهر. وبالفعل تم السير على الخطة بالكامل³⁰⁷ كذلك كتب أخو الأفشين إلى أخي المازيار " إنه لم يكن لينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك، أما بابك فقد قتل نفسه بسبب حمقه،

³⁰³ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 202/3.

³⁰⁴ نصر عبد الرحمن، تاريخ الدولة العباسية في العصر العباسي الاول، 141.

³⁰⁵ ابن الاثير، الكامل، 50/6. يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 203/3.

³⁰⁶ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 80/9.

³⁰⁷ ابن الاثير، الكامل، 50/6-53.

وعملت على أن أصرف عنه الأذى دون جدوى ، فإذا خرجت فلا يوجد من يرمونك به غيري ، والفرسان ، وأهل النجدة ، والبأس³⁰⁸ سارت الأمور على غير ما خطط له الأفشين والمازيار

عندما عثر عبد الله بن طاهر على بعض المكاتبات بينهما ، فقام عبد الله بإرسالها إلى المعتصم ، وعلى إثر ذلك استبعد المعتصم الأفشين من قيادة الجيش، وأوكل إلى عبد الله بن طاهر قمع حركة المازيار ، واستطاع عبد الله كسب ابن عم المازيار إلى جانبه وكان يسمى قوهيار ، ووعده بولاية طبرستان ، وتمكن من الإمساك بالمازيار وبعثه للمعتصم ، وتم حبسه وجلده بعد مواجهته بمراسلاته مع الأفشين ، وأمر المعتصم بضربه (400 سوط) حتى مات وصلب على أبواب بغداد بجانب بابك الخرمي سنة (225هـ/840م)³⁰⁹ لم تستمر حركة المازيار طويلا إذ سرعان ما انتهت ، وماتت في مكان ولادتها بسبب ان رجال المازيار انفضوا من حوله، وسلم بعضهم أنفسهم إلى العباسيين من أجل العفو عنهم

كانت حركة المازيار كما يبدو من المصادر حركة سياسية بحتة ، فارسية ، هدفها إنهاء النفوذ العربي جذبت طبقات المجتمع البسيط ضد الدولة التي كانت تعيش حياة مترفة ، وهذا ما استدل عليه الخليفة المعتصم من الرسائل المتبادلة بين الأفشين والمازيار ، وإن ثورة المازيار لم تكن ثورة بسيطة ، بل كان لها معنى واسع ، بسبب اتصال الأفشين بهذه الحركة ، والذي كان من أقرب رجالات المعتصم.³¹⁰

ويعود سبب العداوة والبغض بين الأفشين وعبد الله بن طاهر إلى أيام حركة بابك ، حيث وقع في يد عبد الله بن طاهر بعض المعلومات عن موارد الأفشين المالية ، فعندما كان الأفشين يقاتل بابك ، وتأتي الهدايا والهبات من ملوك أرمينيا كان يبعثها على الفور إلى مدينته (أشروسنة) وكان الأفشين كلما حصل على مال بعث به إلى أشروسنة عن طريق رجاله ، فكان الواحد منهم يحمل في خصره قرابة ألف دينار ، وفي إحدى المرات التي كان ينقل فيها بعض رجال الأفشين أموالا له ، استوقفهم عبد الله بن طاهر ووضع يده على هذه الأموال ، وأخبره رجال الأفشين أن هذه الأموال تعود للأفشين ، فكذبهم ، وقال لهم لو

³⁰⁸ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 9/109.

³⁰⁹ ابن الاثير ، الكامل ، 6/56.

³¹⁰ الدوري، العصر العباسي الاول ، 244.

رغب الأفشين أن يبعث أموال لأعلمني ، لأن هذا مال كثير ، وأنتم لصوص ، وصادر الأموال ، ومنحها
لجنوده غضب الأفشين غضبا شديدا ، وطلب من عبدالله أن يطلق جنوده ، ولم يكن الكره بينهم بسبب
طمع الأفشين بولاية خراسان فحسب ، وإنما بسبب مراقبة عبد الله للأفشين ونقل أخباره للمعتصم³¹¹



³¹¹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 85/9.

3.3.3. القضاء على الأفشين ومقتله

كان المعتصم يتمتع بشخصية قوية متسلطة ، وصاحب نفوذ على جميع رجالات الدولة ، ومن بينهم القادة الأتراك ، فلم يدع مجالاً للجيش لأن يتدخل في أمور الدولة الإدارية ، واستخدم المعتصم بشكل واسع سلطاته في إدارة الدولة. كان الأفشين من أهم قادة المعتصم الذين كان يعتمد عليهم في الجيش ، وقد أظهر تمرد الأفشين فيما بعد وقدرة المعتصم على القضاء عليه بسهولة ؛ قوة المعتصم وسيادة شخصيته على الدولة ، حيث تم القضاء على الأفشين بأمر من المعتصم سنة (226هـ / 841م)³¹² . ينحدر الأفشين من أسرة حكمت أشروسنة ، والده حيدر بن كاوس ، الذي دخل بغداد في زمن المأمون ، وأسلم ، وذلك بعدما خسر الصراع مع أخيه على السلطة ، والتحق في بغداد بصفوف الجيش العباسي ثم استعان به المأمون عندما فتح أشروسنة ، حيث كان دليلاً للوصول إلى تلك المنطقة ، عملاً بمقولة: أهل مكة أدرى بشعابها³¹³

بدأ نجم الأفشين بالبروز في الساحة العباسية منذ ولاية المأمون ، وذلك عندما قام بإنهاء القلاقل والحركات التي خرجت في مصر في ذلك الوقت ، واستطاع القضاء عليها وإخمادها ، وفي عهد المعتصم سطع نجمه وذاع صيته في البلاط ، وقربه المعتصم منه بعد إنهائه لحركة بابك الخرمي وإخمادها ، تلك الحركة التي واجهت الدولة العباسية وأعلنت العصيان سنوات طويلة ، وأتاحت كاهل الدولة ، كما ساهم بتوطيد الثقة به ، وتوسيع نفوذه حملته مع المعتصم وباقي القادة الأتراك على الإمبراطورية البيزنطية ، وإنهاء نفوذها تماماً ، فلم تقم لهم بعدها قائمة ، كما دخل معه عمورية ، وساهم بإنهاء أطماع الروم في الدولة العباسية. يعتبر الأفشين من أهم الشخصيات التركية المؤثرة في عهد المعتصم ، وقد أمسك بالتدريج بزمام الأمور في الحروب الخارجية ، وكذلك التمردات الداخلية التي كانت تحدث . وفي المقابل كافأ المعتصم الأفشين بتاج مرصع بالياقوت ، وألبسه إياه³¹⁴، كذلك قربه من أولاده مكانة يحسد عليها، ونصبه قائداً

³¹² ابن الأثير ، الكامل ، 65/6 . المسعودي، مروج الذهب، 51/4.

³¹³ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 595/8.

³¹⁴ المسعودي ، مروج الذهب ، 47/4.

عاما للجيش الاسلامي³¹⁵ بعد الحروب التي خاضها الأفشين زاد اهتمام المعتصم به وزاد نفوذه في الجيش والدولة بسبب نجاحاته العسكرية وقوة عزمته وإصراره على النجاح ، وكان الأفشين عارفا بقدرات نفسه ، عالما بقوته واستغل ما عنده لصالح الدولة العباسية . ولم يقتصر الاهتمام بالأفشين من قبل المعتصم فقط ، بل أبدى شعراء تلك الفترة إعجابهم به ، ومنهم أبو تمام والبحري الذي كان يمدح الأفشين كثيرا في قصائده ويصفه بأنه حامي الدولة العباسية.³¹⁶ وكان من نتائج هذه السمعة الطيبة أن جلبت له الحسد، حيث كثر حساده وأعداؤه ، ولم يقتصر الأمر على القادة العرب فقط ، بل إن القادة الأتراك أيضا كانوا يحسدون الأفشين على ما وصل اليه ، وبدؤوا يستغلون أقرب الفرص والمناسبات من أجل إسقاطه ، وتشويه سمعته أمام الخليفة المعتصم³¹⁷ ، وكان من أشد منافسي الأفشين والحاسدين له والي خراسان عبد الله بن طاهر.

وكما ذكرنا سابقا نشأ الصراع بينهما من أيام البابكية ، حيث كان عبد الله يراقب الأفشين كثيرا ، ويرى ما يقع تحت يديه من البضائع والأموال ، فيرسلها الأفشين الى أشروسنة ، مدينة عائلته ، وقد برر الأفشين هذا الأمر بأنه كان يخزن هذه البضائع لتفريقها على الجنود عند الحاجة ، دون الحاجة إلى مراسلة العاصمة والطلب من هناك لبعد المسافة ، وصلت هذه الأخبار إلى المعتصم ، ولم يصدر منه أي موقف معارض للأفشين بسبب انشغاله بحرب بابك ، فلم يكن الوقت مناسباً، وكان هذا الموقف سببا في نشوء عداوة بين الطرفين ، وقد خشي عبد الله بن طاهر من غضب الأفشين ومحاوله النيل منه ، فأخذ كل احتياطاته للوقوف بوجه الأفشين ، ولحشد الأدلة والأسباب ضده³¹⁸ ولم يكن عبد الله بن الطاهر الوحيد على خلاف مع الأفشين ، بل كان هناك أشخاص كثيرون عملوا على إيجاد ثغرة يوقعون الأفشين بها ، ومنهم قاضي القضاة (أحمد بن داود) .

³¹⁵ Pamukçu, *Bağ dat ta ilk Türkler*, s118

³¹⁶ حبيب بن أوس الطائي ابو تمام ، ديوان ابو تمام الطائي، (مصر: 1976م)، 210/1.

³¹⁷ ابن الجوزي ، المنتظم ، 14/ 306.

³¹⁸ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 106.

ويذكر ابن خلكان أن الأفشين نجا من الإعدام بعدما وجه قاضي القضاة له تهمة القتل ، وبعد هذه الحادثة أصبح لدى الأفشين حقد على أحمد بن داود³¹⁹ . ويذكر الدينوري كذلك أن ابن داود ذهب إلى المعتصم ، ونصحه بتقسيم الجيش إلى قسمين بين الأفشين والقائد التركي الآخر أشناس ، لكي يسهل التقليل من دور الأفشين ، ومن ثم القضاء عليه بمساعدة أشناس³²⁰ فمن هذا الخبر وأمثاله يظهر مدى العداة القائم بينهما ، وكذلك يتضح أن أساس الصراع كان سياسيا قبل أن يصبح شخصا.

طمع الأفشين ، وسرى الكبر في نفسه بعد نجاحه في القضاء على بابك الخرمي، وأراد الانفصال عن الدولة العباسية وتكوين دولة له في أشروسنة ، وراح يجمع الناس حوله في الخفاء ، وحاول جاهدا أن يقضي على نفوذ عبد الله بن الطاهر ، لكنه لم يتمكن من ذلك بسبب تصدى الأخير له . ثم قام بمراسلة المازيار لتحريضه على التمرد³²¹ والاتفاق معه على العمل من أجل القضاء على الخلافة العباسية ، وإحياء دين آبائهم وأجدادهم ، خصوصا أن الأفشين كان مسيطرا على الجيش كله.³²²

أخفق الأفشين في تحقيق ما يريد خصوصا بعدما وصلت أخباره إلى المعتصم ، وتغير حال المعتصم عليه ، فلما أحس الأفشين بذلك زاد سعيه للتخلص من حكم المعتصم ، ولكن تم القبض على الأفشين بحيلة بعد أن تم استقدامه، وقُدِّم للمحاكمة بتهمة أنه لم يدخل الإسلام حقيقة ، وأنه مازال يعتنق المجوسية ولم يذكر المعتصم السبب الحقيقي لمحاكمته وقتله ، حتى لا يثير الجدل بين القادة الأتراك وهو ما يزال محتاجا لهم في البلاط.³²³

يذكر ابن الأثير أنه في أثناء محاكمة الأفشين كان من التهم التي نُسبت له تحريضه لحاكم طبرستان كي يتمرد على الخلافة العباسية ، وأنه كان يطمئنه بأن جيش المعتصم الذي يضم عربا ومغاربة وأتراكا كله تحت إمرته وقيادته ،³²⁴ ويذكر الطبري أن الأفشين كان يهزأ بالأتراك وينعتهم ب (أولاد الشياطين)

³¹⁹ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 82/1.

³²⁰ الدينوري ، المعارف ، 405.

³²¹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 104/9.

³²² ابن الجوزي ، المنتظم ، 306/14.

³²³ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 114/9.

³²⁴ ابن الأثير ، الكامل ، 63/6.

ويقول إن القضاء عليهم أمر يسير عليه ، ويرى نفسه ليس منهم ، فكيف له أن يقول عنهم هكذا وهو منهم ؟³²⁵

من اللافت للنظر أن أعضاء المحكمة كانوا من منافسي الأفشين وأعدائه ، وتم هنالك اتهامه بتهم خطيرة عديدة ، أهمها أنه من عبدة النار ولم يدخل الإسلام حقا ، لأنه وُجد في بيته كتاب في العقيدة الزرادشية ، وبرر الأفشين وجوده بأنه إرث عائلي ، ونُسب إليه أيضا تهمة هدم المساجد لا هدم الأصنام ، وقد علّل الأفشين فعله بأن الجامع الذي هدمه كان مبنيا على أرض مغصوبة من رجل غير مسلم ، فأمر لذلك بهدم المسجد. في النهاية أُدين الأفشين وسُجن بعد محاكمة مشكوك في سلامتها ، وبعد سنة من سجنه توفي في محبسه.³²⁶

كان الخليفة المعتصم - كما ورد في بعض الروايات - يرسل الطعام والشراب والفاكهة بين حين وآخر إلى الأفشين في سجنه ، مع ابنه الواثق ، فكان الأفشين يحاول التواصل مع الخليفة المعتصم ، وقد أرسل له مرة كتابا من السجن حاول فيه الأفشين اقناع المعتصم ببراءته وان غير مذنب ، وإن هناك مؤامرة حيكت ضده ، وان المعتصم صاحب فضل عليه لكن لا بد ان يتحقق من الادعاءات التي قيلت ضده ، وحاول الأفشين استمالة قلب المعتصم .³²⁷

برغم هذا الخطاب وسواه إلا أن المعتصم لم يتعاطف مع الأفشين ، وبعد سنة من حبسه توفي ، وتم تعليق جثته على باب سامراء ورُمي رماد جثته في النهر، كان سبب القضاء على الأفشين هو سبب سياسي بحت ، وصراع على السلطة بين الإيرانيين والعرب ، بعدما أصبح الأفشين يحتل نفوذا وسلطة كانت تمثل السلطة التركية . وتحقق ماعملوا عليه بعد أن رموا الأفشين بتهم كثيرة³²⁸ لم يكن القادة الأتراك بمعزل عن هذه الأحداث ، فقد كان لهم دور في القضاء على الأفشين من خلال صمتهم ، إذ إنه من غير المنطقي أن يتم تصفية الأفشين ، القائد العام للجيش الإسلامي العباسي ، بدون رضا القادة

³²⁵ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 109/9.

³²⁶ المسعودي، مروج الذهب ، 51/4.

³²⁷ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 113/9.

³²⁸ Pamukçu , *Bağ dat ta ilk Türkler*, s.125.

الأتراك في الجيش ، ولو كان ما حدث بغير رضاهم لتسبب في فوضى وتمرد في الجيش ، ولأصبح الخليفة في وضع خطر ، لكننا نلاحظ بقاء القادة الأتراك (أشناس وبغا الكبير) في حالة صمت وعدم اعتراض على ما يجري ، بسبب غيرتهم من الأفشين³²⁹

لم تتناول المصادر التاريخية بشكل واضح علاقة القادة الأتراك بعضهم ببعض، ولكن مما يفهم منها أنه كان هناك صراع وتزاحم على السلطة بين الأفشين وباقي القادة الأتراك ، وهذا كان واضحاً في معركة عمورية ففي هذه المعركة نلاحظ عدم التوافق بين الأفشين والقائد التركي أشناس في أرض المعركة ، حيث كان المعتصم يميل إلى الأفشين ، ولم يقدر جهود أشناس كثيراً في هذه المعركة ، وقد أراد المعتصم أن يصلح العلاقة ويقرب بين الأفشين وأشناس ، وبناء على طلبه تزوج ابن الأفشين حسين من ابنة أشناس أترنجة سنة (224هـ / 839م) ، وشارك في حفل الزفاف جميع العامة من أهل سامراء،³³⁰ وكان هدف المعتصم من هذه الزيجة هو إنهاء التوتر والنزاع بين القائدين .

شعر الأفشين بخطر على نفسه ، فخطط لقتل الخليفة المعتصم والقائد التركي أشناس ، عن طريق عمل وليمة لهم ودس السم في الطعام، وهذا كان دليلاً على العداء بين القائدين التركيين ، وقد سجن الأفشين في منزل إيتاخ قبل تقديمه للمحكمة³³¹.

عُقدت المحكمة ، وكانت تتألف من الوزير ابن الزيات وابن أبي داود وإسحق بن إبراهيم ، ولم يكن أي من التهم التي وجهت للأفشين تثبت أنه كان متآمراً أو يريد التمرد على الدولة.³³²

³²⁹ Ali Boz , *Abbasiler Döneminde Türkler ve Aşin* , (Haydar b. Kavuş in Hayatı, Erciyes Üniv: Sosyal Bil .2010 , Basılmamış Yüksek lisans Tezi) , s59.

³³⁰ ابن الاثير، الكامل ، 6 / 58.

³³¹ ابن الاثير ، الكامل ، 6 / 61.

³³² عمر فوزي، عصر القوة والازدهار ، 1 / 277.

ولقد تمت تصفية الأفشين من قبل منافسيه ، وفيهم القادة الأتراك ، ومما نلاحظه أن التخلص من الأفشين بهذه الطريقة لم يؤثر أو يضعف النفوذ التركي في الدولة³³³ . وهناك رأي آخر كان يرى أن الأفشين مذبذب ، وأن بوادر تمرده ما كانت سوى بداية لأطماع القادة الأتراك للتحكم بالسلطة ، وسحب الصلاحيات الممنوحة من الخليفة لهم . وهذا ما ذكره الطبري عندما اعترف الأفشين من خلال كلامه أن إسلامه كان ظاهريا فقط ، بهدف كسب ود الخليفة وتحقيق مكاسب مادية ، حيث قال " إني قد دخلت لهؤلاء القوم في كل شي أكرهه حتى إني أكلت لحم الزيت ، وركبت الجمل ، ولبست النعل ، غير أنني إلى هذه الغاية لم تسقط عني شعرة"³³⁴

وهذا دليل على تهمة الأفشين وعدم تبرئته من التهم التي نسبت إليه . وكان بسبب بُعد الولايات الدولة العباسية عن المركز حيث استمر الناس متأثرين بشيء من ديانتهم الوثنية ، ولأن الإسلام لم يدخل بعد إلى قلوبهم ، وبسبب مجاورتهم للأتراك الوثنيين ، وكان إسلام بعضهم ظاهريا ، فكانوا يتحينون الظروف المواتية للقيام بالتمرد ، وهذا سبب كثرة الحركات الثورية في تلك الفترة³³⁵.

في ظاهر المحاكمة التي جرت للأفشين كانت التهم التي وجهت إليه دينية ، ولكن في حقيقة الأمر كانت هذه القضية برمتها سياسية بحتة ، وذلك عندما خشي المعتصم قوة الأفشين ونمو نفوذه . كان جيش المعتصم من الأتراك ، وكذلك حاشيته وخدمه ، فخشي من تمردهم عليه ، فغطى هذه القضية بغطاء ديني وأبعدها عن حقيقتها ، وبنفس الوقت قد وجد ذريعة مناسبة حيث إن الأفشين لم يدخل الإسلام عن قناعة وعقيدة صحيحة ، بل أظهر انتسابه إليه تماشيا مع مصلحة ، وتبعاً لمقتضيات الحاجة ، فاجتمعت نية الأفشين مع نية المعتصم اللتين كانتا كلتاهما غير خالصتين لدى أحدهما للآخر ، وحدث ماحدث . ونلاحظ أيضا في هذه الحادثة أن القادة الأتراك كانوا على غير وفاق مع الأفشين ، بسبب الحسد والغيرة منه ، ومن حب المعتصم له ، حيث لم ترف لهم عين حزنا لما حلّ به ، فقضي عليه نتيجة أمور سياسية ، لم يكن للدين علاقة مباشرة بها ، وكان من المفترض أن يأمر الخليفة المعتصم بدفن الأفشين

³³³ Güzel, *Kafesteki Halifeler*,s.43.

³³⁴ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 108/9.

³³⁵ ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، 97/2.

بحسب أوامر الطريقة الإسلامية ، بدلا من حرقه ورميه في نهر دجلة ، خصوصا أن المعتصم سليل البيت النبوي ويُفترض أنه ملتزم بتعاليم الدين .

4.3. الأتراك في عهد الواثق

الواثق (227-232هـ / 842-847م)

ولد هارون الواثق بالله بن المعتصم في شعبان سنة (186هـ/802م) من أم رومية تدعى قراطيس³³⁶ وكان يتمتع بثقافة عالية حتى كان يدعى (المأمون الأصغر)³³⁷ وقد نشأ في بيئة حاضنة للعلم ، فكبر على حب الشعر والموسيقى ، وكان كثير الهبات للشعراء . ولي الواثق الخلافة سنة (227هـ/842م) وسار على نهج أبيه في استخدام الأتراك ، واتخذ الواثق مبدأ المعتزلة في سياسته ، وكان متشددا في مسألة خلق القرآن ، مما أثار العامة ضده . كان الواثق فصيحاً ، شاعراً³³⁸ صاحب علم وفهم ، لكنه استمر على طريقة فرض رأيه الديني على الناس ، مما دفع أهل بغداد للخروج عليه ومنهم أحمد ابن نصر³³⁹ دام حكم الواثق ست سنوات تقريبا ، وتوفي في شهر ذي الحجة سنة (232هـ/847م) / وبوفاته انتهى عصر القوة العباسي ، وكان هذا التحول إلى الضعف نتيجة طبيعية لا بد لها أن تحدث ، بسبب اعتمادهم على غير جنسهم³⁴⁰.

اعتبرت فترة حكم الواثق مرحلة انتقالية بين عصرين ، الأول تميز بنفوذ الأتراك فيه ، لكنه كان نفوذا تحت سيطرة الخلفاء حيث كانت هناك هيئة للخلفاء وكلمتهم مسموعة ، والثاني تزايد فيه نفوذ الأتراك مع سقوط هيئة الخلافة والخلفاء.³⁴¹ لقد زاد نفوذ الأتراك وسلطتهم في عهد الواثق ، وأعطى الخليفة الواثق أشناس لقب السلطان مُقَرّاً له بكثير من الحقوق العسكرية والإدارية ، وأعطاه ولاية الجزيرة وبلاد

³³⁶ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 123/9.

³³⁷ السيوطي، تاريخ الخلفاء ، 343.

³³⁸ ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية ، 236.

³³⁹ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 135/9.

³⁴⁰ عبد الرحمن محمد ، الدولة العباسية دراسة في سياستها الداخلية ، 96.

³⁴¹ طقوش ، تاريخ الدولة العباسية ، 161.

الشام ومصر ، كما أعطى إيتاخ ولاية خراسان والسند وكور دجلة³⁴² وبنتيجة هذه الصلاحيات المطلقة التي حصل عليها هؤلاء القادة الأتراك ، زادت سيطرتهم ونفوذهم على مقدرات الدولة ، وتمادوا في استخدام صلاحياتهم حتى ظنوا أنه يحق لهم السيطرة على الخليفة نفسه ، فصاروا يتابعون تصرفاته وتحركاته³⁴³.

كان الواصل آخر الخلفاء العباسيين الذين تسلموا منصب الخلافة بحسب التقاليد العباسية عند تولي الوريث لعرش الخلافة ، وظل معتمدا على الأتراك في إدارة الدولة ، كما كانوا يده اليمنى في قمع التمردات الداخلية والخارجية³⁴⁴ وكان وصيف وبغا وأشناس من أقرب القادة الى الواصل ، وكانوا له جنودا أوفياء خدموه بصدق ووفاء ، وفي المقابل كسبوا النفوذ والسلطة³⁴⁵

قام الواصل بترتيبات لم تكن موجودة في عهد المعتصم ، حيث منح الإشراف على إدارة ولايات الخلافة الشرقية للقائد التركي إيتاخ ، ومنح الإشراف على الولايات الغربية لأشناس³⁴⁶.

وكانت هذه الإدارات تتم عن بعد من حيث الظاهر ، لأنهم ظلوا مقيمين في سامراء ، وكان الهدف من هذا الإشراف هو منحهم ألقابا ومكانة عالية ، بالإضافة إلى منحهم الأموال ، فقد منح الواصل أشناس تاجا مرصعا بالجواهر ، ومنح وصيفا سيفاً مع خمسة وسبعين ألف دينار³⁴⁷ ، وكان هؤلاء القادة من ينوب عنهم في إدارة الولايات ، ومهد هذا التصرف الطريق لانفصال هذه الولايات عن مركز الخلافة ، مستغلين بذلك ضعف الدولة والخلفاء ، وترك الخلفاء أمور هذه الولايات للقادة الأتراك بالكامل .

³⁴² الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 124/9. يعقوبي، تاريخ يعقوبي ، 441/2.

³⁴³ المسعودي، مروج الذهب ، 3/4.

³⁴⁴ يعقوبي ، تاريخ يعقوبي ، 213/3.

³⁴⁵ السيوطي، تاريخ الخلفاء ، 236.

³⁴⁶ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 205/3.

³⁴⁷ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 141/9.

استبد الأتراك بالدولة وبشخص الخليفة ، فصاروا شيئا فشيئا يختارون الوزراء والقادة ، وكانوا يرفضون من لا يواليهم ، وأصبح الخليفة بالتدريج يمتلك لقب الخلافة فقط بدون صلاحيات³⁴⁸

وقد حدث أنه في إحدى الجلسات التي كانت تعقد ، تحدث أحد الموجودين عن نكبة البرامكة ، وكيف تصرف الرشيد معهم ، فلما سمع الواثق كيف تعامل جده مع البرامكة قال: " إنما العاجز من لا يستبد "

بعدها قام الواثق بسحب أموال كثيرة من الكتاب وكبار الموظفين ، وهذا بعد تفشّي الرشوة التي نخرت مفاصل الدولة ، وبعد أن تجمعت عند الكتاب الأموال الطائلة، حتى إن الواثق أخذ من بعضهم ما يقارب مليون دينار ، ومضى الواثق على سياسة جده الرشيد في تعامله مع الكتاب ، فلم يقتل أحدا من الكتاب بل اقتصر على معاقبتهم وضربهم ، وأخذ أموالهم ، ومنهم أحمد بن إسرائيل الذي صادر منه ثمانين ألف دينار وضربه ، وسليمان بن وهب كاتب إيتاخ ، الذي صادر منه أربعمئة ألف ، وأخذ أيضا من الحسن بن وهب أربعة عشر ألفا ، ومن أحمد بن الخصيب ألف ألف³⁴⁹

³⁴⁸ امين ، ظهر الاسلام ، 10/1.

³⁴⁹ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 127/9.

1.4.3. الثورات والتمردات التي قامت في عهد الولاثق، ودور القادة الأتراك في القضاء عليها

وقع في عهد الولاثق بعض التمردات في منطقة الجزيرة العربية ، وكان سبب قيامها هو الالاحتياج المادي والفقر ، فلم تكن حركات سياسية ذات فكر مختلف ، أو بسبب نظرة سياسية ، وظهر أن الغاية في العديد منها هي السلب والنهب، وكان المحرك لهذه التمردات هو قبائل عربية من عرب القيسية ، مستغلة عدم قوة القواعد العسكرية العباسية في تلك المنطقة ، وفي عهد الولاثق تحديدا³⁵⁰. ومن أهم هذه الحركات المتمردة :

ثورة بني سليم وبني هلال

كان العرب من قبيلة بني سليم وبني هلال يهجمون على الأسواق في بلاد الحجاز ، فيعيشون فسادا وينشرون الرعب بين السكان وينهبون البضائع ، ويقطعون طريق الحج، وهذا أثار الفوضى والخوف في المنطقة ، وبعد تفاقم هذه الأعمال بعث عامل المدينة قائده (حماد بن جرير) لإيقافهم عن أعمال التخريب ولكن لم يتمكن منهم وقتلوه مع رجاله، وكان هذا سنة (230 هـ / 845م)، وعندما علم الولاثق بهذه الحادثة بعث بجيش كبير يضم المغاربة والأتراك، وجعل على رأس الجيش (بغا الكبير) فهجم على مناطق تمركزهم ، وأسر الكثير منهم ، ثم اقترح عليهم تسليم أنفسهم ، وعندما شاهدوا عظم جيشه ، أعلنوا استسلامهم، ثم توجه إلى عرب بني هلال ، وبعد انتهاء موسم الحج هجم على مناطقهم . واشترط عليهم نفس ما اشترط على بني سليم مقابل الأمان، ووافقوا على ذلك . وبعد انتهاء تمرد بني سليم وبني هلال تحرك بغا الكبير نحو بني مرة ، وعندما علموا بقدوم بغا اليهم تفرقوا في صحراء الجزيرة ، مما جعل القضاء عليهم صعبا، لاتساع رقعتها وانقطاع طرقها³⁵¹.

³⁵⁰ نصر عبد الرحمن ، تاريخ الدولة العباسية في العصر العباسي الاول ، 157.

³⁵¹ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 129/9-134.

ثورة بني فزارة

وكان تمرد بني فزارة سنة (232هـ / 847م) في بلاد الجزيرة العربية ، حيث اغتصبوا أرض فذك ، فسار بغا الكبير بجيش كبير للقضاء على تمردهم ، واستعمل معهم مبدأ التهيب حين بعث لهم أحد رجاله ، وهو من نفس القبيلة ، يحذرهم من عواقب المواجهة ، ونصحهم بالفرار وعدم المواجهة مع جيوش بغا ، فغادروا فذك ، وساروا إلى بلاد الشام ، وتم القبض على من بقي منهم .

ثم سار بغا الكبير بجيشه إلى منطقة بني كلاب ، وضيق عليهم ، وأجبرهم على الاستسلام والتفاوض مقابل حياتهم ، ووافقوا على ذلك ، وألقى القبض على طائفة منهم³⁵².

حركة بني نمير

خرج بنو نمير في سنة (232هـ / 847م) ، وكان خروجهم مثل عدد من الحركات التي خرجت قبلهم مبدؤه التخريب ، وغايته النهب والسلب ، وإيذاء الناس ، وفي حينها كان بغا في المدينة ، فأرسل له الوثائق وطلب منه المسير نحوهم ، وإنهاء حركتهم ، وبالفعل تم ذلك ، وأسر من رجالهم الكثير ، وحاصر مناطقهم وتم الاتفاق معهم على تسليم أنفسهم ، كما فعل مع الحركات السابقة ، إلا أنهم رفضوا العرض ، واستطاعوا هزيمة بغا وجنوده ، بعدما جمعوا كل رجالهم لقتاله . لكن في آخر الأحداث انضم إلى بغا عدد من الجنود الذين كانوا في مهمة أخرى ، وانقلبت الأمور لصالح بغا ، وتمكن من بني نمير ، وأسر أكثر رجالهم ، وواصل بغا ملاحقتهم بعدما أمده المعتصم بجيشه³⁵³.

بعدها رجع بغا الكبير إلى سامراء ، وقد حقق النصر في كل المعارك التي خاضها ، وفرض هيبة الخلافة العباسية في الجزيرة العربية ، وكان هذا سنة (232هـ / 847م) ، وفي نفس السنة توفي الوثائق³⁵⁴ وبوفاة الوثائق بالله انقضت حقبة من أهم حقبة التاريخ العباسي ، وأطلق عليها المؤرخون اسم (العصر العباسي الاول) أو ما يسمى بالعصر الذهبي ، وقد مرت الدولة العباسية خلاله بأقوى مراحلها وعصورها ، ومر

³⁵² ابن الاثير ، الكامل ، 86/6.

³⁵³ ابن الاثير ، الكامل ، 90/6.

³⁵⁴ الكتاجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، 150.

على الخلافة العباسية أقوى الخلفاء ، ودخلت الخلافة العباسية في مرحلتها الثانية التي كانت غير مستقرة تتأرجح فيها بين القوة والضعف أحيانا كثيرة³⁵⁵.

كان هذا أمرا طبيعيا نتيجة سوء تصرف السياسات المتتالية منذ مجيء المعتصم ، واستبعاد العرب من الدولة ، فكان من البديهي أن تضعف الدولة العباسية ، ولم يعهد الوثائق بالخلافة لأحد ، وذلك تخوفا منه على أمر المسلمين. ونتيجة لعدم وجود ولي للعهد حدث خلاف كبير في قصر الخلافة بعد وفاة الوثائق وسرعان ما وقع انقسام بين رجال الدولة ، فقد كان أبناء البيت العباسي ، ومعهم الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، والقاضي أحمد بن داود ، يرغبون بمحمد بن الوثائق خليفة للمسلمين ، والجهة الثانية كانت من القادة الأتراك ومنهم وصيف التركي ، الذين وقع اختيارهم على جعفر بن المعتصم.³⁵⁶

بعد هذه الحادثة أصبح القادة الأتراك هم أصحاب القرار ، وفي يدهم زمام الأمور ، يجلبون لكرسي الخلافة من يرتضونه للخلافة ، وفي المقابل لم يستسلم الخلفاء العباسيون لسياسة القادة الأتراك ، فصارعوا نفوذهم، وفي أكثر من مرة حاول الخلفاء التخلص من نفوذ الأتراك وتسلبهم ، لكن دون جدوى .

³⁵⁵ نصر عبد الرحمن ، تاريخ الدولة العباسية في العصر العباسي الاول ، 162.

³⁵⁶ الهاشمي ، الخلافة العباسية ، 357.

4. طبيعة العصر العباسي الثاني (233-333 هـ / 848-945م)

قسم المؤرخون العصر العباسي كما أسلفنا الى أربعة عصور رئيسية، وهي: عصر القوة والازدهار ، وعصر النفوذ التركي، وعصر النفوذ البويهى، وعصر النفوذ السلجوقي. في هذا المبحث نتناول العصر العباسي الثاني الذي كان على النقيض من العصر العباسي الأول، لقد تمتعت الدولة العباسية منذ بدايتها وفي عصرها الأول بالقوة، وحصر السلطة بيد الخلفاء وحدهم، وكان أولئك يتمتعون بشخصيات مميزة، وبدهاء في سياسة الأمور، وتمكنوا من صنع التوازن في العلاقات الخارجية مع الشعوب الاخرى، خصوصا تلك التي ساندتهم في أثناء تكوين الدولة العباسية، وكانوا على موقف حاسم مع أعدائهم ، وحاضرين بالمرصاد للطامعين بالسلطة ، باستثناء ما كان في بلاد الأندلس، وشمال إفريقيا³⁵⁷

وتمكن الخلفاء العباسيون الأوائل، وعلى رأسهم السفاح والمنصور، من مواجهة العقبات التي ظهرت في بداية تأسيس الدولة العباسية، بسبب صبرهم وعزائمهم العالية وإصرارهم على تكوين دولة قوية ، وكانت حياتهم على قدر كبير من البساطة وخشونة العيش، ولم يصبهم الكبر والغرور بما حققوه من بنیان قوي وإرساء لدعائم الدولة³⁵⁸

وفي العصر العباسي الثاني تطورت الأحداث وألوان الحياة في الدولة العباسية، من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية كافة ، واعتمدت الدولة على اللا مركزية في الحكم بعدما كانت مركزية في سياستها ، واستقل نتيجة ذلك كثير من الدويلات مع الإقرار بسلطان الخلافة، ووقع الخلفاء تحت وصاية الأشخاص الداخلين إلى المجتمع الاسلامي من قادة وعسكر ، مما أفقدهم هيبتهم ، وكانوا في ذلك على نقيض الخلفاء في العصر العباسي الأول وكان سبب هذا التبدل بين العصرين هو تغير الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدولة العباسية .

اعتاد خلفاء العصر العباسي الثاني على حياة الترف والبذخ لأنهم ولدوا في قصور الخلافة ، فكان من الطبيعي أن يتغير نمط حياتهم ويختلف عن حياة الخلفاء الأوائل مؤسسي الدولة العباسية، ولهذا نجد

³⁵⁷ طقوش، تاريخ الدولة العباسية ، 156.

³⁵⁸ ايوب، التاريخ العباسي السياسي، 101

الخلفاء المتأخرين يميلون إلى الترف في الحياة ، وإلى إحياء مجالس الشعر والشراب والطرب ، وأوكلوا أمور الدولة إلى القادة وكبار الموظفين والوزراء. وكان هذا مقدمة لانحلال الدولة العباسية برغم أن الضعف لم يظهر مباشرة عليها بسبب أن الدولة كانت فتية ذات تأسيس متين، فلم يظهر عليها عوامل الضعف ، وإنما استغرق ذلك سنين طويلة ، وهذا بالعموم حال الممالك والدول، وظلت مدة طويلة محافظة على شكلها وهيبتها، إلى أن بدأت بوادر الضعف تظهر عليها وتنخر فيها، وتمكن الأتراك حينها من السيطرة على مقدرات الخلافة ، وتمزقت وحدتها ، وانفصلت أطرافها.³⁵⁹

ونتيجة اتساع مناطق الدولة العباسية كان من غير الممكن إدارتها من المركز، وبسبب تنامي العنصرية عند هذه الشعوب كان من البديهي أن يستقل كثير من الولايات عن الخلافة العباسية، وقد عمل الخلفاء العباسيون خصوصا في عهد الأتراك على إيلاء القادة الأتراك حكم تلك الولايات، وتركوا لهم الأمر كله من غير مراقبة أو إشراف ، ونتيجة الاضطرابات الداخلية والخارجية التي حدثت في الدولة ، عمل القادة الأتراك على تعيين عمال نيابة عنهم يديرون شؤون الاقاليم، في حين أنهم بقوا هم في العاصمة يتمتعون بحياة الرفاهية.

وكان لهذا الانفصال الذي حدث في العصر العباسي الثاني محاسن؛ منها أن هذه الدول المستقلة أخذت على عاتقها حماية العالم الإسلامي، كما أنها توسعت إلى مناطق لم تكن الدولة المركزية قادرة على الوصول إليها، كما عملت حامياً للعالم الإسلامي، وبالمقابل كان لقيام هذه الدول واستقلالها أثر في إضعاف هيبة الخلافة، كما ذكرنا . وكذلك لم يعد الخليفة رأس لهرم النظام، وكان الخليفة في العصور المتأخرة يتحكم في بغداد فقط!³⁶⁰ ونتيجة الفتوحات الإسلامية دخل كثير من الأجnas والقوميات الدولة الإسلامية، لكن هذه القوميات، وبرغم أن أصحابها كانوا تحت راية الإسلام، إلا أن الاختلافات بينهم كانت كبيرة، فلم يتوحدوا أبدا ، وظلت كل قومية تنحاز لمصالحها الخاصة، فكان من الطبيعي أن يبحث كل إقليم عن مصالحه، فقامت دويلات مستقلة تركية وفارسية، ولكن كان الأتراك هم البارزين في

³⁵⁹ ايوب ، التاريخ العباسي السياسي ، 101.

³⁶⁰ طقوش ، تاريخ الدولة العباسية ، 157.

هذه الأحداث، وظهرت الدولة الطاهرية، الصفارية، والسامانية، والغزنوية، في المشرق، كما ظهرت الدولة الطولونية والإخشيدية في مصر والشام ، وكان لهذه الدويلات أهمية كبيرة في التقدم الثقافي، إلا أنها أنهكت الدولة العباسية. وفي هذا العصر ظهر أيضا كثير من الطوائف التي مزقت المسلمين نتيجة التناحر والمجادلات ، منها بدع الملاحدة والزنادقة والراوندية والخرمية.³⁶¹

ضم هذا العصر ما يقارب عشرين خليفة ، سنذكر من حكم منهم في الدولة ضمن النطاق الزمني للدراسة

- 1- المتوكل جعفر بن المعتصم (233-247هـ / 848-862م)
- 2- المنتصر بالله محمد بن المتوكل بن المعتصم (247-248هـ / 862-863م)
- 3- المستعين بالله أحمد بن المعتصم (248-252هـ / 863-866م)
- 4- المعتز بالله محمد بن المتوكل بن المعتصم (252-255هـ / 866-869م)
- 5- المهتدي بالله محمد بن الواثق بن المعتصم (255-256هـ / 869-870م)
- 6- المعتمد على الله أحمد بن المتوكل بن المعتصم (256-279هـ / 870-893م)
- 7- المعتضد بالله أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل (279-289هـ / 893-902م)
- 8- المكتفي بالله علي بن المعتضد بن الموفق (289-295هـ / 902-908م)
- 9- المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بن الموفق (295-320هـ / 908-932م)³⁶²

³⁶¹ ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي، 7/3.

³⁶² عبد العزيز محمد الميلم ، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية ، (بيروت: مؤسسة الرسالة ، 1991م)، 141/2.

1.4. الأتراك في خلافة المتوكل (233-247هـ/848-862م)

توفي الخليفة الواثق (232هـ/847م) ولم يكن له وريث للعرش ، وكانت هذه أول مرة تحدث في زمن الخلافة العباسية ، فاجتمع رجال الدولة من العرب والوزراء ومنهم ابن داود قاضي القضاة والوزير ابن الزيات ، إلى جانب القادة من الأتراك ، على رأسهم (وصيف ، وإيتاخ) وكان في بداية الأمر اسم محمد بن الواثق أول المرشحين ، لكن واجه هذا المرشح رفض كثير من الحاضرين بسبب صغر سنه ، ولا يجوز للأطفال الحكم ، وقد علّق وصيف التركي على تلك الفكرة بحسب رواية الطبري قائلا " ألا تخاف الله ؟ كيف تعطي هذا الطفل الخلافة ؟" ³⁶³. كذلك عارض أحمد بن داود خلافة محمد بن الواثق قائلا " لا يجوز للطفل الصغير أن يصبح خليفة ، من الناحية الدينية ، حيث لا يمكن أداء الصلاة خلفه " ³⁶⁴.

أجمع الحاضرون على تنصيب جعفر بن المعتصم شقيق الواثق على كرسي الخلافة ، وأطلق عليه لقب (المتوكل على الله) ³⁶⁵، وأمام هذا الاختيار لم يجد رجال الدولة الحاضرون ، إلا القسم بالولاء للمتوكل بسبب ضغط الأتراك ، ولم يكن تنصيب المتوكل نتيجة خطة مدروسة أو بتدبير سابق ، بل كان بمحض المصادفة ، وكذلك نتيجة ظروف معينة فرضت نفسها على واقع الأحداث .

ولد جعفر بن المعتصم سنة (206هـ/822م) من أم ولد تدعى شجاع ، خوارزمية الأصل ³⁶⁶ ، وقال بعضهم إنها تركية . وهي كان لها على كل حال دور مؤثر في تربيته وتهيئته للخلافة ، وهكذا جلس المتوكل على العرش بتأييد ودعم من الأتراك ، ومن هنا بدأ عهد جديد في تدخل القادة الأتراك في اختيار وتعيين الخلفاء ، وحُسم الصراع القائم في البلاط العباسي ، بين القادة العرب ويمثلهم الوزير ابن الزيات ، وبين

³⁶³ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 154/9. ابن الاثير، الكامل ، 84/6.

³⁶⁴ البغدادي، تاريخ بغداد ، 165/6.

³⁶⁵ Mahmut Kırkpınar, *Mütevekil- Alellah*, Gafer b.muhammed ,DiA(İstanbul:

2006), xxxll, 212.

³⁶⁶ ابن الاثير ، الكامل ، 85/6. المسعودي، مروج الذهب ، 70/4.

القادة الأتراك وصيف وبغا، وبعد تنصيب المتوكل تم التنكيل بابن الزيات ، حيث صادر المتوكل جميع أمواله وعذبه بحجة سوء أخلاقه مع العامة.³⁶⁷

وتضاعف إثر ذلك نفوذ الأتراك، وأصبحوا في مقدمة الإدارة، وسيطروا على الجيش، وبدأت فترة الاضطرابات تلوح على مسرح الأحداث، وأحس المتوكل حينها بخطر الأتراك وتدخلهم المباشر في السلطة. اعتبر كثير من المؤرخين نهاية عهد الواثق سنة (232هـ/847م) هي خاتمة العصر العباسي الأول، وذهب فريق آخر منهم إلى القول إن عهد المتوكل سنة (247هـ/862م) هو نهاية العصر الاول، حيث كان عهد المتوكل مكملًا للعصر العباسي الأول من كافة النواحي، كان عصر المتوكل يمتاز بالقوة نوعًا ما، لأن المتوكل كان حريصًا على جعل الخلافة عربية ، وتصدى لمواجهة عوامل الضعف التي حدثت ، وكان هذا سبب مقتله، وبعد خلافة المتوكل، قسمت الدولة الى ولايات متعددة أخذت كل واحدة منها حكمًا مستقلًا ، ومن هنا يجب أن يعتبر عصر المتوكل نهاية لعصر القوة³⁶⁸

تميز المتوكل بقوة الشخصية، وبحسن الخلق، وكان حليماً عند الغضب، وكان يشبه أجداده كثيراً ؛ الرشيد والمنصور، وأول من أطلق عليه لقب المتوكل على الله هو أحمد بن داود (قاضي القضاة).³⁶⁹

امتاز المتوكل بالعقل والإنصاف من الناحية الدينية، ولهذا أحبه الناس، وأنصف أهل السنة، ومنع العلماء من الجدال في الدين، ومنع القول بخلق القرآن، وأقال القاضي ابن أبي داود إمام المعتزلة وجعل مكانه العالم السني يحيى بن أكثم³⁷⁰، وعمل مجالس الضحك والترفيه، وترك أثراً جميلاً في نفوس الشعب ، ودام حكمه ما يقارب خمسة عشر سنة³⁷¹.

عمل المتوكل على كسب قلوب العامة، وأغدق كثيراً من الأموال على ذلك، وكانت سياسته مع الناس تعتمد على اللين والود، وبالرغم من أنه كان موفق من هذه الناحية، وكسب ود الشعب، إلا أنه أخفق

³⁶⁷ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 591/2.

³⁶⁸ شاكر مصطفى ، دولة بني العباس ، 409/2.

³⁶⁹ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 484/2.

³⁷⁰ Bernard, *Tarihite Araplar*, s.101.

³⁷¹ المسعودي، مروج الذهب ، 4-3/4.

من ناحية أخرى عندما استخدم العنف مع العلويين وهدم قبر الإمام الحسين (ع.س)، وحارب كل من يزور المكان³⁷².

سار المتوكل على نفس سياسة جده هارون الرشيد عندما أعطى ولاية العهد لأولاده الثلاثة : المنتصر، المعتز، المؤيد، سنة (235هـ/850م) ومنح كلا منهم لواءين : الأول أسود وهو لواء العهد، والثاني أبيض وهو لواء العمل ، كان المتوكل يحب زوجته (قبيحة) جدا، ولهذا قدم ابنها المعتز في الولاية على أخويه المؤيد والمنتصر ، ولما لم تجر الأمور على هوى المنتصر اشترك في المؤامرة على قتل أبيه³⁷³.

اعتبر عهد المتوكل عهدا جديدا بالنسبة للدولة العباسية ، حيث قام بأعمال مهمة وحدثت تطورات شاملة في الحكم ، وكان عصرا مجحفا للأتراك تقيدت فيه سلطاتهم في الجيش والحكومة والإدارة.³⁷⁴

قام المتوكل بوضع قائمة جديدة للوزراء، وعين أول وزير تركي في التاريخ العباسي ، وهو عبيد الله بن يحيى بن هاکان وبات شخصا لا يستغني عنه المتوكل ، فكان مستشاره وذراعه الأيمن³⁷⁵.

بعد تنصيب المتوكل بمساعدة الأتراك شعر الأتراك أن الدولة العباسية لا يمكن أن تستغني عنهم ، وأن الدولة بحاجة لهم مما زاد من غطرستهم وتسلطهم ، لقد شعر المعتصم من قبل بنواياهم ، وبضغطهم وتأثيرهم على مركز الخلافة ، وعلى الخليفة ، ورأى تجاوزاتهم المستمرة للقوانين والأنظمة، وفكر المتوكل بتقليص نفوذهم ، والاستغناء عنهم بشكل تدريجي ، وكان إبتاخ أول قائد تركي بدأ المتوكل به . فاستغنى عن خدماته وسجنه حتى توفي سنة (235هـ/850م) . أراد المتوكل تقليص دور الأتراك ، وجعل الطريق مسدودا أمام أحلامهم وطموحاتهم التي بدت بلا نهاية فعين أبناءه الثلاثة (ولاءً للعهد) وكذلك وزع عليهم البلاد ؛ فكان للمنتصر المغرب كله ، وأخذ المعتز المشرق ، وولي المؤيد حمص ودمشق وفلسطين ،

³⁷² الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 200-217.

³⁷³ ابن الطقطقي ، الفخري في الأداب السلطانية ، 237.

³⁷⁴ الكتاجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، 570.

³⁷⁵ Olga Pinto , "Feth b. Hakan" çev Hakkı Dursun Yıldız – Neire Milani, İstanbul üniv:Edebiyat Fak, Dergisi , sayı. 27,(İstanbul :1973), s.44.

وفي سنة (240هـ/ 854م) منح المتوكل ولده المعتز خزائن الدولة كلها. ودور الضرب ، وبدأت الدراهم يُضرب عليها اسمه³⁷⁶.

قضاء المتوكل على القائد التركي إيتاخ

ما كاد المتوكل يستقر على كرسي الخلافة حتى بدأ يعمل بجد للقضاء على معارضيه ، وخصوصا ممن كانوا يريدون انتخاب محمد بن الواثق . بدأ المتوكل بتصفية ابن الزيات ، كما ذكرنا ، وبعدها انتبه إلى خطر إيتاخ التركي ، فحاول القضاء عليه ، لم تكن المحاولة الأولى ناجحة ، عندما خرج في إحدى الايام المتوكل للنزهة في ناحية القاطول ، وكما يروي ابن الأثير أكثر المتوكل من الشراب، وهجم على إيتاخ في أثناء ذلك يريد قتله ، وعندما جاء الصباح أظهر ندمه وقدم أسفه إلى إيتاخ وقال له " أنت والدي مالك دولتي ورئيسي"³⁷⁷

وبالفعل لم يأخذ إيتاخ هذه الواقعة على محمل الجد ، وسرعان مانسي الحادث . كان إيتاخ قد جاء من بلاد الخزر ، حيث ظل زمناً عبداً مملوكاً لسلام الأبرش ، وعمل مدةً طباحاً ، وفي سنة (199هـ/ 815م) اشتراه المعتصم مع كثير ممن جعلهم في صفوف الجنود الأتراك ، وألف بهم الجيش العباسي في سامراء ، كان إيتاخ يتمتع بصفات شخصية عالية من الشجاعة والقوة والحزم ، فقربه المعتصم كثيراً ، وكذلك فعل الواثق الذي أوكّل إليه كثيراً من مسؤوليات الخليفة نفسه ، وكان الذراع التي يستخدمها المعتصم والواثق لقتل أعداء الدولة والقضاء على المعارضين³⁷⁸.

عندما تسلم المتوكل الخلافة كان إيتاخ مسؤولاً عن الجيش والبريد ودار الخلافة والحجابة ، وقد منحه هذه الصلاحيات الخليفة الواثق ، خشي المتوكل على نفسه من قوة إيتاخ وتسلطه ، وكما ذكرنا حاول التخلص منه في القاطول فلم ينجح في ذلك ، ففكر بطريقة فيها شيء من المكر والدهاء ، وتقوم على تقليص نفوذ إيتاخ، وسحب صلاحياته بالتدريج ، ومن ثم القضاء عليه ، ففكر المتوكل بإرساله إلى الحج

³⁷⁶ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 175/9-180.

³⁷⁷ ابن الأثير ، الكامل ، 6/103.

³⁷⁸ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، 2/332.

ليكون بعيدا عن نفوذه وسلطاته ، وأرسل له رجلا يطرح عليه هذه الفكرة ، ورَّحَّب إيتاخ بهذا الاقتراح دون أن يخطر في باله أن هناك مؤامرةً ضده من طرف المتوكل ، وعندما ذهب إلى الحج ولَّاه المتوكل على كل منطقة يدخل لها³⁷⁹ ، ولما رجع إيتاخ من الحج ، أرسل المتوكل إلى إسحاق بن إبراهيم في بغداد ، يأمره بالقبض على إيتاخ وسجنه ، ولما صار إيتاخ على طريق بغداد ، خرج له إسحاق بن إبراهيم ، وكان نية إيتاخ الرجوع إلى سامراء فأرسل إليه إسحاق أن أمير المؤمنين أمر أن تعود إلى بغداد حيث يستقبلك هناك بنو هاشم والأعيان ، وتعطي للناس الهبات والهدايا ، وبالفعل تم ما أراده المتوكل ، فقد دخل إيتاخ بغداد ومعة ثلاثمئة من غلمانهم ورجاله ، وكان الاتفاق أن يدخل إيتاخ دار خزيمة بن خازم. فدخل وحجب رجاله من الدخول معه ، وكان الحرس على الأبواب ، وهنا أحس إيتاخ بالخطر فقال: "قد فعلوها ، ولو لم يفعلوا ذلك في بغداد ماقدروا عليه" . فسُجِنَ في بغداد³⁸⁰.

حُبِسَ إيتاخ وحُمِّلَ في عنقه ثمانين رطلا ، فمات سنة (235هـ / 850م) ، وشهد الناس أنه لا ضُرب ولا عُذْبَ أما أبناء إيتاخ فقد ظلوا في السجن طول خلافة المتوكل ، ولما تولى المنتصر العرش أخرجهم ، فظل الأول وهو المظفر ثلاثة أشهر بعد خروجه من الحبس ثم توفي ، وظل الثاني وهو المنصور بدون أن يشغل أي منصب في الدولة³⁸¹ . كانت بغداد المكان الأنسب للقضاء على إيتاخ ، وذلك لأن أهل بغداد كانوا ينفرون من السيطرة التركية ويعارضون الوجود التركي في الدولة ، وهكذا لم يجد إيتاخ من ينصره، أدت هذه السياسة التي اتبعها المتوكل في القضاء على القادة الأتراك إلى ظهور المشكلات والفتن لم يكن في نية المتوكل قتل إيتاخ فحسب ، بل أراد أن يقضي على النفوذ التركي في الدولة ، لكن المتوكل لم يخطط لعواقب هذا التصرف ، ولم يستطع المتوكل القضاء على نفوذهم بالفعل وحلَّ وصيف مكان إيتاخ ومنحه المتوكل صلاحيات إيتاخ كلها ، لكن حصل الذي لم يتوقعه المتوكل ، عندما تأمر الأتراك لإزاحته بل لقتله³⁸².

³⁷⁹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 33/11.

³⁸⁰ ابن الاثير ، الكامل ، 103/6.

³⁸¹ ابن الاثير ، الكامل ، 103/6 .

³⁸² الكتاجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، 154.

فهم الأتراك ما يدور في فكر المتوكل من خلال تصرفاته معهم ، ومن أوامره الإدارية العامة ، فزاد بغضهم له ، وقرروا القضاء عليه بعد أن بدأ بإقصائهم من الدولة ، وبدؤوا بحكّ المؤامرات ضده ، وحين أحس المتوكل بالضيق ، بسبب وجود الأتراك حوله في كل مكان ، حاول التخلص منهم والابتعاد عنهم بالانتقال إلى دمشق سنة (242هـ / 857م) ، ونقل معه كل دفاتر الدولة ودواوينها، ومؤسستها.

كان هدفه من نقل مركز الخلافة هو اصطناع الحماية والتقوي بالعنصر العربي ، لكن الظروف العامة لم تساعد المتوكل على البقاء فيها ، وعاد إلى سامراء بعد ثلاثة شهور . كانت بلاد الشام معروفة بأنها أموية الهوى والولاء ، فلم يجد المتوكل مساندة من أهلها³⁸³ ، والواقع أن ما ذكرته المصادر التاريخية عن سبب عودة المتوكل إلى سامراء من سوء المناخ هو غير مقنع ، خصوصا أن المتوكل لا تخفى عليه ظروف دمشق المناخية ، لكن خفي السبب المباشر من وراء عودته ، وفور عودته إلى العراق أمر بإنشاء مدينة المتوكلية عام (245هـ / 859م) بالقرب من سامراء ، وبعد اكتمال بنائها تمّ نقل مؤسسات الدولة إليها³⁸⁴ .

بالمقابل رأى القادة الأتراك في نقل الخلافة إلى دمشق عملا مقصودا ضدهم ، فجمعوا قاداتهم ووقفوا للمتوكل موقف رجل واحد ، مطالبين بإنفاق الأموال ، وعندما رفض المتوكل الخضوع لما يريدون شهبوا السلاح بوجهه ، وكان رأي عبيد الله ابن يحيى أن يلي الخليفة حاجات الأتراك وأن يأخذهم بسياسة الرفق واللين، خشية أن يتطور الحال إلى أسوأ مما هو عليه وعلى الرغم من نقل المتوكل لمركز الخلافة ، إلا أنه لم ينجو من مؤامرات الأتراك ، إذ خططوا لقتله لكن خطتهم أخفقت بسبب وجود بغا الكبير إلى جانب المتوكل ، الذي كان تربطه به صلة قرابة من جهة الأم.³⁸⁵

شعر الأتراك بمدى خطورة قرب بغا الكبير من الخليفة ، فخططوا لزرع الفرقة بينهما ، ولجؤوا إلى زعزعة ثقة الخليفة بقائده بغا حين تركوا رسالة خطية فيها كلام منسوب لبغا يخطط فيها لقتل المتوكل .

³⁸³ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 209/9. المسعودي، مروج الذهب، 114/4.

³⁸⁴ ابن مسكويه ، تجارب الأمم ، 131/4.

³⁸⁵ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 210/9 . المسعودي، مروج الذهب، 94/4.

شك الخليفة بهذه الرسالة فاستشار أقرب رجاله وهو الفتح بن خاقان ، وكان رأي ابن خاقان أنه يجب ألا يعجل في الحكم على بغا ، فالظن قائم بأن تكون هذه مؤامرة ضده ، ولكن الشك استقر في قلب الخليفة المتوكل ، وقرر استبعاد بغا الكبير عن مركز الخلافة ، فبعثه في رحلة صيفية إلى بيزنطة ، وبهذا فقد المتوكل الحماية بدون أن ينتبه إلى نتيجة ما فعل ، فقد خسر أهم حامٍ له³⁸⁶.

حاول المتوكل البدء من جديد بعد أن عاد إلى العراق ، فسعى لتكوين جيش يضم عناصر عربية ومغاربة وراح يستبعد الجنود الأتراك عن الوحدات العسكرية الجديدة الخاصة به ، وكان هذا تحت إشراف عبيد الله بن يحيى، فكوّن وحدة عسكرية مكونة من اثني عشر ألف عنصر من العرب وجنسيات أخرى تحت قيادة ابنه المعتز ، وكانت الغاية الحقيقية التي تقف خلف إنشاء هذا الجيش هي القضاء على النفوذ التركي في الجيش ومحاربتهم إذا اقتضى الأمر³⁸⁷.

وجاء دور هذا الجيش فيما بعد ، عند مقتل المتوكل عام (247هـ/ 862م) حيث خرج عشرة آلاف جندي للتأثر للمتوكل ، وكانوا من العرب والعجم الأرمن وغيرهم من العناصر التي لم ترغب بالمنتصر خليفة وقالوا لعبيد الله بن يحيى وزير المتوكل " لقد جهزتنا لهذا اليوم ، دعونا نلبي طلب النظام ، دعونا نقتل المنتصر ومن حوله من الأتراك " ³⁸⁸

³⁸⁶ المسعودي، مروج الذهب، 4/94.

³⁸⁷ عمرفوزي، عصر القوة والازدهار ، 1/291.

³⁸⁸ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 9/229.

1.1.4. مقتل الخليفة المتوكل على ايدي الأتراك

وصل حلّ الخلافات بين الخليفة المتوكل والأتراك إلى طريق مسدود ، وبات وجود هؤلاء معا أمرا مستحيلا ، فكان لابد أن يقضي أحد الطرفين على الآخر ، فسارع الأتراك إلى القضاء على المتوكل بمساعدة ابنه المنتصر الذي كان على خلاف سياسي مع أبيه ، مستغلين انزعاج المنتصر من تنصيب المعتز على كرسي الخلافة قبله ، يذكر ابن الأثير أن قتل المتوكل كان بسبب أنه كان يخشى من وصيف وقوته كثيرا ، فأراد إضعافه ثم القضاء عليه ، كما فعل مع إيتاخ التركي من قبله ، فقام بإنشاء الكتب بقبض ضياع وصيف بأصبهان والجبل وأعطاهما الفتح بن خاقان ، فكتب وصارت إلى الخاتم فبلغ ذلك وصيفا³⁸⁹ . ولم يقف المتوكل عند هذا الحد ، بل خطط مع الفتح بن خاقان لقتل المنتصر ابنه ، ومعه وصيفا وبغا .

كان المتوكل يكره المنتصر ويعاملة بقسوة شديدة ، وكان يظهر الميل والتأييد للمعتز كثيرا ، وكذلك فعل الفتح بن خاقان ، وكان يحتقره ويهينه أمام الناس ، وفي آخر أيام المتوكل قال للفتح بن خاقان " اشهدوا عليّ جميعا أنني قد خلعت المستعجل - أي المنتصر - ، ثم التفت إليه فقال : سميتك المنتصر فسّمّاك الناس لحملك المنتظر ، ثم صرت الآن المستعجل ، فقال المنتصر: لو أمرت بضرب عنقي لكان أسهل عليّ مما تفعله بي " .³⁹⁰

كان المتوكل ظاهر التدبير للتخلص من نفوذ ولده المنتصر ، ومن كان معه من رجال البلاط ، وهذا عجل في نهايته ، وعندما أحس المنتصر بمكائد أبيه اتفق مع الأتراك عليه ، وقرروا قتله قبل أن يقضي عليهم جميعا ، لم تكن حكمة سياسة المتوكل المعادية بشكل مكشوف للقادة الأتراك ولابنه ، فقد عجلت من نهايته ، وذلك بعد أن استعمل المتوكل التنكيل والتشهير بالأتراك وأمات إيتاخ في سجنه ، وأنكر خدمات وصيف وبغا.³⁹¹

³⁸⁹ ابن الأثير، الكامل ، 6/136.

³⁹⁰ ابن الأثير، الكامل ، 6/136 .

³⁹¹ الكتابي، الترك في مؤلفات الجاحظ، 156-157.

واجه المتوكل في أثناء خلافته محاولتي اغتيال من الأتراك، وقعت الأولى في دمشق سنة (243هـ/858م) ولم تنجح بسبب تدخل بغا الكبير والفتح بن خاقان فأنقذاه³⁹²، وجرت المحاولة الثانية عندما تأمر ابنه المنتصر مع القادة الأتراك ، وباغتوه في غفلة منه مما ينتظره ، وفي هذه المرة قُتل المتوكل ومعه الفتح بن خاقان³⁹³.

كانت من أخطاء المتوكل التي لا تغتفر هدمه لقبر الإمام الحسين ، وقد كان لدى المنتصر حب كبير لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي سنة (236هـ/850م) أمر المتوكل بإزالة قبر الحسين وهدم ماحوله من منازل الشعب ، وحرثها وزراعتها³⁹⁴ هذا العمل أحدث أذىً كبيراً وشرخاً في المجتمع العباسي ، ويقال إن المنتصر نفر من والده وابتعد عنه بعد هذه الواقعة، ويتفق ابن الأثير مع الطبري أن هذا كان أحد الأسباب التي جعلت المنتصر يشرع في قتل والده، وأن بعض فقهاء الدين أفتوا بقتل المتوكل بسبب أعمال له خالف فيها الشرع. ومن الأعمال التي أثارت الحنق عليه أنه صادر أملاك وصيف التركي كلها حين غضب عليه ، وكان منها أمواله في أصفهان وجبل ، وكان هذا في أثناء التنافس على السلطة بين الأتراك والخليفة³⁹⁵.

وذكر ابن الأثير كيف قتل المتوكل ، حيث كان المتوكل في ذلك اليوم قد أقام مأدبة ، والمنتصر خارج القصر ، وكان المجلس يضم بغا الصغير - المشهور بالشرابي - وذلك في يوم حراسة بغا الصغير، قام بغا بدخول المجلس ، فأمر الحاضرين بالمغادرة إلى أماكنهم، فرد الفتح قائلاً: "ليس هذا وقت الانصراف ، ولم يقيم أمير المؤمنين من موضعه". فرد بغا إن الخليفة طلب مني ذلك فغادر الجميع إلا الفتح بن خاقان وأربعة من الخدم ، وترك بغا الشرابي باب الشط مفتوحاً ليدخل منه قتلة المتوكل، دخل بغا الصغير بصحبة رجاله على المتوكل ، وكان باغر التركي معهم ، فقال لهم الفتح بن خاقان : ويلكم هذا أمير المؤمنين . ثم قام فدافع عن المتوكل فقتلوه ، وكان معهم أولاد وصيف الخمسة ، فقتلوا المتوكل ومعه الفتح بن خاقان

³⁹² المسعودي، مروج الذهب، 4/122.

³⁹³ شاعر مصطفى ، دولة بني العباس، 2/426.

³⁹⁴ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 9/175.

³⁹⁵ الطبري، تاريخ الرسل، 9/222. ابن الأثير، الكامل، 6/109.

، وخرجوا إلى المنتصر وقالوا : إن أمير المؤمنين قد مات وقال المنتصر إن الفتح بن خاقان قتل أبي فقتلته وبايعوه³⁹⁶.

ذكر المسعودي حادثة مقتل المتوكل بطريقة مختلفة ، حيث كان هناك ائتمار بين بغا الصغير والمنتصر واستدعى بغا الصغير أحد رجاله الأتراك الذين يثق بهم ، وكلفه في كتمان بمهام صعبة تتصل باغتيال الخليفة ، وكان باغر عند حسن ظن بغا ، فقام بما أوكل إليه على أتم وجه ، فقد كان لدى الخليفة المتوكل سيف ثمين قاطع مصنوع في الهند ، وأمر الفتح ابن خاقان أن يعطي هذا السيف أشجع رجاله وأقواهم ، وبعد التحري وقع الخيار على باغر التركي ، فأعطاه الفتح السيف وجعله حارسا شخصا للخليفة ومسؤولا عن حمايته ، ولم يكن يدري أنه سيتم قتل المتوكل بهذا السيف الهندي ، بيد باغر التركي³⁹⁷.

في نتيجة تلك الحادثة المشؤومة تبين أنها ستكون بداية لعهد أسود في تاريخ الدولة ، ومنذ ذلك الوقت راح الأتراك يتدخلون في تعيين الخلفاء وعزلهم ، وكانت هذه المرحلة بداية لتجذر نفوذ الأتراك في أعمق مستوى ، وقد نتج عما جرى شيوع التذمر والنقمة بين صفوف الشعب. ومع مقتل المتوكل ضعف التأثير الروحي والسياسي للخلفاء ، واتسمت المرحلة بعد وفاة المتوكل بأنها مرحلة صراعات شديدة وتمردات كثيرة على القادة الأتراك انطلقت ، لم تكن تنطفئ إلا لتشتعل في جميع أنحاء البلاد³⁹⁸.

استمر النفوذ التركي قرونا بعد هذه الحادثة ، وأصبح العصر الذي تلا موت المتوكل هو عصر الاتراك بمميزاتهم وأعمالهم التي قاموا بها ، وعاش الخليفة العباسي في عهد تسلط الأتراك أسيرا داخل قصر الخلافة مسلوب الصلاحيات وتراجعت البنى التحتية للدولة الإسلامية ، وهذا ما نتطرق إليه في المبحث القادم.

³⁹⁶ ابن الاثير، الكامل، 138/6.

³⁹⁷ المسعودي، مروج الذهب، 98/4.

³⁹⁸ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 256/9. ابن الاثير، الكامل، 140/6.

2.4. عصر سيطرة القادة الأتراك (232-334هـ / 847-946م)

يرى عامة المؤرخين أن تفاقم النفوذ التركي واستبدادهم يعود إلى عهد المتوكل ، ويرى آخرون أن هذا يعود الى عهد المعتصم ، لقد أكد المؤرخون أن المتوكل نصبه الأتراك ، وهذا بحسب ما نرى هو جزء من الحقيقة وليس صلبها ، فالحقيقة هي اشتراك العرب مع الأتراك في سبب ما جرى ، وكان هؤلاء العرب من أهل العقد والحل وكبار قادة الدولة ، كما تم مبايعة المتوكل من قبل ولاية الأقاليم وقاضي القضاة ، وكبار رجال البيت العباسي ، فلم يكن الأمر مقتصرًا على القادة الأتراك فقط ، أما عن حقيقة تفاقم نفوذ الأتراك وتأثيرهم في الحكم ، واستيلائهم على زمام الأمور ، فيعود إلى نهاية عهد المتوكل وما بعده³⁹⁹.

ابتداءً من تلك الفترة بدأ انهيار الدولة العباسية وصولاً إلى الغزو المغولي لبغداد سنة (656هـ / 1258م) ويعود هذا الانهيار لأسباب منها ثقة الخلفاء العباسيين المفرطة بالأتراك ومن قبلهم الفرس ، وإعطاؤهم المناصب العليا في الدولة ، واستبعاد العرب كلياً أحياناً عن الدولة ، فسقطت منزلتهم وقيمتهم بين باقي الاجناس ، وانصرفوا عن تأييد الدولة⁴⁰⁰ يقول ابن خلدون " ربما يحدث في الدولة إذ طرقها هذا الهرم بالترف والراحة أن يتخير صاحب الدولة أنصاراً وشيعة من غير جلدتهم ممن تعود الخشونة ، فيتخذهم جنداً يكون أصبر على الحرب ، وأقدر على معاناة الشدائد من الجوع والشظف ، ويكون ذلك دواءً للدولة من الهرم الذي عساه أن يطرقها حتى يأذن الله فيها بأمره " .⁴⁰¹

ومن العوامل التي ساهمت في إضعاف الدولة العباسية وتسلب الأتراك أكثر فأكثر ، أن خلفاء العصر العباسي الثاني يختلفون كثيراً عن خلفاء العصر العباسي الأول ، فقد عاشوا حياة الترف والرفاهية على خلاف طبيعة حياة خلفاء العصر العباسي الأول ، التي كانت تتميز بالتقشف و خشونة العيش ، كذلك يعتبر عامل طبقة الأجناد من العوامل التي جعلت الأتراك يزداد نفوذهم ، وصار منهم رجال الدولة أيضاً. وهنا دخلت الدولة العباسية في مرحلة الحكم العسكري ، وهي مرحلة خطيرة لكل الدول عبر

³⁹⁹ اللملم ، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية ، 11/2.

⁴⁰⁰ ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، 8-7/3.

⁴⁰¹ ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، 169/1.

التاريخ⁴⁰² ومع الزمن تمكن الأتراك من التغلغل في مجريات الأحداث في الدولة ، واعتلاء مناصب مهمة فيها ، وساعد على ذلك مجيء خلفاء ضعفاء ومنهم صغار في السن إلى عرش الخلافة ، وعمل الأتراك على التدخل في تولية الخلفاء وولادة العهد ، والخليفة الذي ينصبونه سيحفظ لهم هذا الجميل ، ويقربهم منه ويغدق عليهم الأموال والمناصب ، وإذا خالف هواهم وأوامرهم كان مصيره الخلع أو سمل العينين وغير ذلك من مظاهر الإهانة وانعدام القيمة.⁴⁰³

لعب الأتراك بالمؤسسات الإدارية للدولة في حدود قصر الخليفة فهناك كان أكثر وجودهم ونفوذهم ولم يكن لهم ظهور كبير في مرافق الدولة الأخرى ، كالنظام المالي والتعليم والسياسة والعبادات، كان النفوذ التركي في الدولة العباسية منحصرا في أيدي بعض الأشخاص الذين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد أحيانا ولم يشمل العرق التركي المنتشر في صفوف الناس أو العسكر الذي تتألف منه الوحدات العسكرية ، وكان الأتراك حالمهم كحال باقي الأمم فيهم الصالح وفيهم الطالح ، فلا يمكن تعميم حكم أو رأي على جميع الأتراك ، وهناك أمر آخر لابد من التطرق إليه ، وهو أن الخلفاء العباسيين وظفوا الأتراك في الجيش فوجدوا منهم الطاعة والخدمة والانصياع للأوامر ، وكانوا دروعا حامية للدولة ضد المتآمرين والطامعين ، من الفرس والعرب والروم ، مما دفعهم إلى الاستكثار منهم⁴⁰⁴.

امتاز هذا العصر بكثير من المميزات الحضارية، وبالرغم من وجود خلفاء ضعفاء إلا أننا لا نعدم خلفاء أقوياء ظهروا بين وقت وآخر، حاولوا إعادة هيكلة الخلافة إلى ماكانت عليه من بروز ، كما ظهرت الدويلات التي ساهمت في تطور الحضارة الإسلامية ، كالسامانية ، والغزنوية ، والحمدانية ، والسلجوقية وغيرها ، برغم أنه في المقابل كان لها أثر في إضعاف الدولة العباسية⁴⁰⁵.

⁴⁰² الهامي، العباسيون الضعفاء، (القاهرة: مؤسسة اقرأ، 2013م)، 7/2.

⁴⁰³ مسامح يوسف حجو ، ولأية العهد في العصر العباسي الثاني، (فلسطين: كلية الاداب، قسم التاريخ، بحث ماجستير،

2012م)، 98.

⁴⁰⁴ اللميلم ، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية ، 13/2 .

⁴⁰⁵ ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي، 8/3.

امتازت الفترة بين سنة (247-256هـ/ 862-870م) ، وهي التي امتدت من عهد المنتصر إلى نهاية عهد المهتدي ، بالاضطراب والقلق ، وحكم فيها أربعة خلفاء هم المنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي في مدة تسع سنوات ، وكانت فترة سيطر فيها العنصر التركي على مجريات الأحداث . ولا يمكن القول إن خلفاء هذه الفترة استسلموا تماما للأتراك وانصاعوا لأوامرهم ، ومما تذكره المصادر التاريخية أن الخليفة المنتصر فرض على القائد وصيف التركي البقاء في الثغور مدة أربع سنوات لمحاربة الروم ، وكثيرا ما كان المنتصر يهدد ويقول إن الأتراك هم قتلة أبيه ، وإنه سوف ينتقم منهم، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن الخلفاء لم يكونوا ضعفاء بالمعنى المطلق .

وكذلك ما قام به المستعين ، حيث ترك سامراء وعاد الى بغداد ، وذلك عندما انزعج من القادة الأتراك وتدخلاتهم ، وكان يريد القضاء عليهم ، لكن سبقوه في ذلك ، كذلك المعتز الذي قضى على بغا الصغير وقرب له المغاربة على حساب الأتراك ، وذلك للتقليل من نفوذهم ، لكن الأتراك كالعادة كانوا يسبقون الخليفة فيبادرون للقضاء عليه⁴⁰⁶.

لقد حاول الخلفاء والقادة العباسيون إيجاد توازن من خلال اصطناع حضور ديني واجتماعي ، ومن خلال تقريبهم من الشعب ، ولقد حاولوا من جانب آخر استغلال انقسام الترك فيما بينهم ، وراحوا يشجعون أمراء الدويلات أحيانا على الانفصال ، خصوصا في مصر وإيران . لقد قاوموا خلفاء هذه المرحلة النفوذ التركي الطاعى ، وكان لكل خليفة طريقته ، وانتهت محاولاتهم بالانكسار ، وانتصار الأتراك عليهم برغم وجود الانشقاقات في صفوفهم.⁴⁰⁷

⁴⁰⁶ الململم ، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية ، 14-15/2.

⁴⁰⁷ عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، (بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية، 2007م) ، 52.

1.2.4. الدور الذي لعبه الأتراك في عهد المنتصر

بعد اغتيال المتوكل في (4 شوال من سنة 247هـ / 862م) احتشد القادة الأتراك مع أبرز رجال الدولة من العرب في قصر الجعفرية ، وتم الإعلان عن مقتل المتوكل ، وعن قتل قاتله وهو الفتح بن خاقان وأعلن أبو جعفر المنتصر وريثا للعرش، كان المنتصر أمه رومية اسمها حبشية، وُلد سنة (222هـ / 837م) وهو أول خليفة عباسي عُرف قبره⁴⁰⁸.

حكم المنتصر مدة لا تتجاوز ستة أشهر ، وكان مطيعا للأتراك منفذا لرغباتهم ، ولم يكن له سوى اسم الخليفة وسك النقود باسمه والخطبة. جاء في وصف المنتصر على لسان ابن الأثير " كان المنتصر عظيم الحلم راجح العقل راغبا للخير جوادا كثير الإنصاف حسن العشرة "⁴⁰⁹.

ولما قتل المتوكل قال الشعب عنه إنه لا يجلس على الكرسي طويلا ، وشبهوه بشيروية بن كسرى عندما قتل والده وجلس محله ، ولما بويع المنتصر بالخلافة جلس على بساط غريب لم يكن له مثيل ، ومكتوب عليه كتابة فارسية ، ولما استحسناها المنتصر طلب من بعض الجالسين من يقرؤها بمعناها بالعربية ، فامتنعوا عن قراءتها ، وأتى المنتصر برجل غريب وأمره أن يقرأها ، فامتنع ، فقال له المنتصر: " اقرأ وماعليك من بأس ، فقال الرجل : مكتوب على هذا السجاد ، أنا بشرويه بن كسرى قتلت أبي فلم أتمتع بالملك من بعده إلا ستة أشهر! " فنهض المنتصر من مكانه غاضبا ، وبالفعل توفي بعد ستة أشهر في سنة (248هـ / 863م)⁴¹⁰

كان المنتصر في حياة أبيه على علاقة طيبة بالأتراك ، ولكن ساءت الأحوال بعد مقتل المتوكل ، وغضب المنتصر عليهم . تشير بعض المصادر إلى وجود احتمالين في حادثة مقتل المتوكل ، الاحتمال الاول أنه كان للمنتصر دور فيما حدث ، حيث تأمر على قتل أبيه مع القادة الأتراك ، والاحتمال الثاني أن قتل المتوكل كان نتيجة تأمر بغا الصغير وجنوده بمساعدة باغر التركي ، خصوصا أن المتوكل في آخر

⁴⁰⁸ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 9/234. ابن الاثير، الكامل ، 6/146.

⁴⁰⁹ ابن الاثير، الكامل ، 6/147.

⁴¹⁰ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 554.

عهده عادى القادة الأتراك ، وصادر أملاك بعضهم ، وكان في نيته التخلص منهم ، فسبقوه قبل أن يسبقهم ، وأنه لا علاقة بالمنتصر بما جرى ، وكلا الاحتمالين وارد الوقوع⁴¹¹.

عين المنتصر أحمد بن الخصيب وزيرا له ، وكان من قبل يعمل كاتباً لديه ، وبعد فترة من الزمن ندم المنتصر على ذلك ، وأسف على استبعاد عبد الله بن خاقان وزير أبيه من هذا المنصب ، برغم ما كان يتميز به أحمد بن الخصيب من شجاعة ، ومروءة⁴¹².

وقد حدث ارتباك كبير في سامراء بعد إعلان المنتصر وريثا للعرش ، وكاد أن تحدث فتنة تطير فيها الرؤوس وتسفك فيها دماء كثير من الناس ، لولا تدخل القادة الأتراك لإخماد أي فتنة يمكن أن تقع وتجر البلاد إلى أسوأ حال⁴¹³.

لم يقف القادة الأتراك عند هذا الحد ، بل أرغموا الخليفة المنتصر على عزل إخوته المعتز والمؤيد من ولاية العهد ، لأنهم خشوا نفوذهم وقوتهم إذا ما تسلموا أمر الخلافة ، وكان صاحب هذه الفكرة هو الوزير أحمد بن الخصيب ، وهو من نقلها إلى القادة الأتراك وقال لوصيف وبغا إذا مات المنتصر ولي العهد بعده المعتز فيقضي علينا جميعا ، وبالفعل ألح وصيف وبغا على المنتصر فخلعهما⁴¹⁴ . وقد حدث ما كان متوقعا حيث توفي المنتصر بعد فترة قصيرة من خلع إخوته.

أحضر المنتصر أخويه المعتز والمهتدي ، وطلب منهما الانسحاب من ولاية العرش أمام القادة الأتراك ورجال الدولة ، مبررا فعله هذه بأنه ليس له نية في تنصيب أحد ابنائه وريثا للعرش ، بل خوفا عليهما من الهلاك ، وكان مما قال " أترياني خلعتكما طمعا في أن أعيش حتى يكبر ولدي وأبايع له ؟! والله ما طمعت في ذلك ساعة قط ، لكن هؤلاء ألخوا علي في خلعتكما ، فخفت إن لم أفعل أن يعترضكما بعضهم بحديدة فيأتي عليكما " ⁴¹⁵

⁴¹¹ اللملم ، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية ، 23/2.

⁴¹² الخضرى بك ، تاريخ الأمم الإسلامية للدولة العباسية ، 302.

⁴¹³ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 234 . ابن الاثير ، الكامل ، 6/ 143.

⁴¹⁴ ابن الاثير ، الكامل ، 6/ 147.

⁴¹⁵ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 245.

دل كلام الخليفة على أنه مغلوب على أمره ، ودلّ على مدى نفوذ القادة الأتراك ، وبالرغم من أن المنتصر شارك القادة الأتراك في قتل أبيه ، وجلس على كرسي الخلافة بمساعدتهم ، إلا أنه لم يتمكن من الوثوق بهم مرة أخرى ، وبنفس الوقت لم يكن في جيش المنتصر قوة غير الأتراك يحاربهم بها ، مما جعله يقف مكتوف اليدين أمام قوتهم.

حاول المنتصر أكثر من مرة إضعاف قوة القادة الأتراك ، وتشيت شملهم ، حيث قام بإرسال أكبر قادتهم وهو وصيف التركي إلى بلاد الروم ، ويقول الطبري إن السبب وراء ذلك هو التخلص منه أولاً ، وغاية أخرى هي حلّ النزاع القائم بينه وبين الوزير أحمد الخصيب وإقصاء أحدهما عن الآخر ، وكان هذا بناءً على طلب الوزير أحمد الخصيب. طلب المنتصر من وصيف الخروج إلى الثغور والبقاء عندها لحمايتها وفي بداية الأمر حاول وصيف أن يمتنع ، ثم استسلم للأمر نتيجة تزايد الخطر البيزنطي في الثغور من جهة ، ومن جهة أخرى هدد المنتصر بخروجه هو ان لم يخرج وصيف. فوجد وصيف نفسه في موقف محرج ، بعد أن وضعه المنتصر أمام أمر واقع ، فخرج⁴¹⁶ . وقد امتد بقاءه هناك أربع سنوات . توفي المنتصر في (5 ربيع الأول من سنة 248هـ / 863م) عن عمر 25 سنة ، وتذكر لنا المصادر احتمالين عن سبب الوفاة، الأول أن المنتصر توفي نتيجة مرض السل الرئوي وأمراض القلب⁴¹⁷ ، وذكر سبب أو احتمال آخر للوفاة وهو أن القادة الأتراك أرسلوا طبيب المنتصر طيفور لقتله ، عن طريق دس السم له في العلاج⁴¹⁸ . والسبب وراء هذا العمل أن الثقة بين الطرفين كانت منعقدة تقريبا وكان هؤلاء يشعرون بنقمة المنتصر عليهم وأنه لن يزول خطر وتهديده إلا بالتخلص منه.

⁴¹⁶ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 240/9. ابن الجوزي، المنتظم ، 239 / 15.

⁴¹⁷ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 252/9. ابن الاثير، الكامل ، 148/6.

⁴¹⁸ شمس الدين محمد بن احمد الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات الأعيان ، (بيروت: 2003م) ، 43/12.

2.2.4. عهد المستعين وتدخل الأتراك المباشر بالسلطة (247-252هـ / 862-866م)

توفي المنتصر فخاف القادة الأتراك على أنفسهم من أولاد الخليفة المتوكل ، وقلقوا من فكرة وقوع الانتقام منهم ، فانفق قادتهم على الاجتماع ، وهم بغا الكبير ، وبغا الصغير ، وأوتامش التركي ، وهناك أعطى هؤلاء العهد ومعهم المغاربة والأشروسنية، على القبول بمن يختاره بغا الكبير وبغا الصغير وأوتامش⁴¹⁹ وكان هذا الاجتماع تحت إشراف وزير المنتصر أحمد بن الخصيب الذي كان يعمل لصالح القادة الأتراك ، وقرر الحاضرون في هذا الاجتماع أنه إذا تسلم الحكم أحد أولاد المتوكل فسوف يطلب وإخوته الثأر لأبيهم ، وسوف يقضى عليهم، وعلى هذا الأساس تم اختيار المستعين ومبايعته⁴²⁰ . وكان هذا التصريح دليلاً على أن القادة الأتراك هم وراء مقتل المتوكل ، وكذلك وراء مقتل المنتصر أيضاً. تمت البيعة من بعد مقتل المنتصر بالخلافة ، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المعتصم ، الملقب بالمستعين ، وهو من أم ولد اسمها مخارق من صقلية⁴²¹ لم يكن المستعين مهيباً للخلافة ، بسبب ضعف شخصيته ولين طباعه ، وقد اختاره الأتراك لعدم رغبتهم بتولي أحد أولاد المتوكل.

وقد أطمأنوا إلى أحمد بن المعتصم وبايعوه، وذلك بعد لغط وخلاف بين القادة الأتراك والأبناء خلافت دام ثلاثة أيام ، حيث أقرّ الأبناء وبايعوا أحمد بن المعتصم⁴²² . وفور استلامه الخلافة عين القائد التركي أوتامش وزيرا له ، وأعطاه ولاية مصر والمغرب ، واستولى أوتامش وكاتبه شجاع بن القاسم على كل مقاليد السلطة ، وأخذ مكانة وصيف وبغا ، بالرغم من أنهما أيداه ووافقاه على اعتلاء المستعين لكرسي الخلافة⁴²³ .

وحين وقع الخلاف قبيل تولى المستعين الخلافة كان بعضهم يصرخون: يا معتز يامنصور ، يريدون بيعة المعتز ، وكانت هذه مواجهات بين أنصار المعتز والجيش التركي الذي أراد تولية المستعين ، ووقعت خسائر

⁴¹⁹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 256/9 .

⁴²⁰ ابن الطقطقي ، الفخري في الأداب السلطانية ، 240.

⁴²¹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9 / 256.

⁴²² الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9 / 256. الذهبي ، تاريخ الإسلام ، 12 / 47.

⁴²³ ابن الجوزي ، المنتظم ، 15 / 244.

عامّة ، وتعرضت بغداد للنهب والسلب خلال ذلك . وتم عزل رجال الدولة المناصرين للمعتز من مناصبهم ، واتخذ أهل بغداد موقفا معاديا من القادة الأتراك ، وكان هذا أول موقف يحدث بين أهل بغداد والأتراك.

حاول المستعين جاهدا كسب ود القادة الأتراك واسترضاءهم ، لأنهم هم من أوصلوه إلى منصب الخلافة فعمل على المحافظة على نسلهم ومنعهم من الزواج من الأجانب ، كما فعل المعتصم من قبل ، وحتى لا يفقد الجيل المولود في سامراء صفاته الأصلية⁴²⁴

ظروف مقتل أوتامش التركي

كان أوتامش موجودا في البلاط العباسي منذ أيام الواثق ، وكان أحد غلمانة ، وكان المتوكل يغيظه لأنه من المقربين للمنتصر ، وكان أوتامش هو من جعل المنتصر يجلس على كرسي الخلافة بمساعدته كما روى المسعودي⁴²⁵ . كما عمل على مساعدة المستعين على تولي عرش الخلافة ، فقرّبه المستعين كثيرا وجعله وزيرا له ، وأوكل اليه تربية ابنه العباس⁴²⁶ . لم يحظ أوتامش بحب الأتراك بل كان محسودا منهم ، وأعطاه المستعين صلاحيات كبيرة ، ومنها حرية التصرف في بيت المال ، وصلاحيات مفتوحة في ولايتي مصر والمغرب ، في حين تم تهميش القادة الأتراك الآخرين مثل وصيف وبغا التركي⁴²⁷ ، حتى تمكنوا من الالتفاف عليه وقتله ، ومما يلاحظ أن أوتامش لم يجعل عداء القادة الأتراك في حساباته ، ولم يهتم بأن يتقي شرهم أبدا ، خصوصا أنه كان ذا سلطان واسع ، وعمل أوتامش على أن يكون نداء لهم وعمل على الإيقاع بهم ، فاتفقوا على قتله⁴²⁸ .

عمل أوتامش على إضعاف نفوذ الأتراك من خلال اقترابه من الخليفة ، ومن خلال ذلك تم استبعاد وصيف وبغا الصغير ، وجميع القادة الأتراك.

⁴²⁴ الطبري ، تاريخ الرسل ، 257/9 .

⁴²⁵ المسعودي ، مروج الذهب ، 2/ 417 .

⁴²⁶ ابن مسكويه ، تجارب الأمم ، 4/ 151 . اللملم ، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية ، 2/ 45 .

⁴²⁷ ابن خلدون ، العبر ، 3/ 356 .

⁴²⁸ اللملم ، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية ، 2/ 45 .

دبّ خلاف بين القادة الأتراك بسبب استئثار أوتامش بالنفوذ ، وفي ربيع الأول من سنة (249هـ/ 864م) حيث كان أوتامش داخل قصر الخلافة مع الخليفة المستعين ، قام القادة الأتراك وعلى رأسهم بغا الصغير ووصيف ، بمحاصرة القصر ومعهم الفراغنة ، وطالبوا المستعين بأن يسلمهم أوتامش ، ويروي الطبري أنه كان بالجوسق حين هاجمه الأتراك ، فطلب الحماية من المستعين فلم يُجره ، فدخلوا عليه في الجوسق وقتلوه وكان برفقته شجاع ابن القاسم فقتل معه ، وتم نهب داره وممتلكاته على يد الأتراك⁴²⁹.

أرجع المؤرخون عدم إغاثة الخليفة المستعين لوزيره أوتامش إلى سببين هما :

الأول : كان المستعين نفسه تحت سلطة أوتامش لا يستطيع الخلاص منه ، فجاء طلب القادة الأتراك بتسليمهم أوتامش ، موافقا لهوى لدى المستعين.

الثاني : كان المستعين يعلم تماما ما سيفعله القادة الأتراك بأوتامش ، ولو أراد حمايته للقي المصير نفسه وحاول في الوقت نفسه إرضاء وصيف وبغا الصغير ، بإعطائهم امتيازات في مقاطعة الأهواز⁴³⁰.

انتقل المستعين إلى نفوذ وصيف التركي وبغا الصغير ، بدلا من أوتامش ، وصار مطيعا لهما ، مستسلما لهواهما ، وقد وصف السيوطي حالة المستعين بقوله " بين وصيف وبغا يوجد خليفة في القفص .. يقول ما يقوله هذان ، مثل البغاء "⁴³¹

كانت تلك أول مرة في تاريخ الوجود التركي في الدولة العباسية يجري فيها خلاف بين القادة الأتراك بسبب الأطماع على السلطة ، بعد أن كانوا من قبل يدا واحدة تحمي مصالحهم ، فيتمكنون مجتمعين من تحقيق أهدافهم ، وفي عهد المستعين حدث ذلك الخلاف بينهم ، وراح ضحية هذا الخلاف القادة أوتامش ، وبسبب أن المستعين كان ضعيف الشخصية لين الجانب استطاعوا القضاء عليه بسهولة ، ومنذ ذلك الوقت وبعد هذه الحادثة ، بدأ القادة الأتراك يبحثون عن مصالحهم بشكل منفرد.

⁴²⁹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 264/9.

⁴³⁰ ابن الجوزي ، المنتظم ، 21/12.

⁴³¹ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 358.

باغر التركي ودوره في عهد المستعين

هو أبو محمد باغر التركي ، كان من قادة جيش بغا الصغير ، وشجاعا معروفا بقوته وبطولته ، محبوبا مسموع الكلمة في معسكر الجنود الأتراك ، ومرارا أوكّل بغا الصغير إليه مهام صعبة وشاقة بسبب ثقته بقدراته كان باغر من القادة الذين تأمروا على الخليفة المتوكل وقتلوه ، وكافأه المنتصر فأقطعته أراضي في مدينة الكوفة⁴³² .

وبعد تولي الخليفة المستعين لم يمض زمن طويل حتى دب الخلاف بين القادة الأتراك الثلاثة (باغر التركي ، وصيف ، وبغا الصغير) بسبب التنافس على السلطة ، مما أفقد الثقة بينهم ، ودخل بينهم الحساد والمنافقون فزادت رقعة المشكلة ، وتشكلت من أنصار كل منهم فرق تقاتل بعضها ضد بعض أحيانا⁴³³ بدأ الخلاف وتطور بين باغر وبغا الشرايبي عندما قام أحد رجال باغر البارزين ، وهو ابن مارمه بالاعتراض على طريقة أخذ الجباية من الناس ، فحبسه باغر ، لكنه استطاع الهرب من سجنه وفرّ مباشرة الى سامراء ، وهناك التقى بدليل بن يعقوب النصراي ، وهو كاتب بغا الصغير ومن رجاله المقربين ، وكان ابن مارمه على علاقة جيدة سابقة بدليل ، فحمّاه من باغر وبطشه ، ويقال إن هذه الحادثة تركت أثرا في نفس باغر ، ووسعت الفجوة مع بغا الصغير⁴³⁴ . أراد باغر من بغا الصغير سحب دعمه عن دليل بن يعقوب النصراي ليعاقبه ، لكن بغا رفض وطلب من باغر ان يترث حتى يحين الوقت المناسب لذلك وتجريده من كافة الامتيازات التي يمتلكها وبعدها افعل ماشئت.⁴³⁵

اتبع الخليفة المستعين سياسة مختلفة مع القادة الأتراك ، وهي السعي إلى خلق نوع من الفتنة والتنافس فيما بينهم ، وجعلهم يتقاتل بعضهم مع بعض ، فقرب إليه وصيفا وبغا بعد مقتل أوتامش ، وقام الخليفة المستعين بتكليف باغر التركي بمنصب عسكري رفيع ، فاغتاز وصيف وبغا الشرايبي منه وقررا التخلص

⁴³² الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 278/9.

⁴³³ الكتانجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، 161.

⁴³⁴ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 278/9.

⁴³⁵ ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 163 . ابن خلدون ، العبر ، 358/3.

منه . أحس باغر بأن أعداءه لن يسكتوا عليه ، وفكر بأنهم سيكسبون الخليفة المستعين إلى جانبهم بكل سهولة⁴³⁶ .

قام باغر بمؤامرة سرية لقتل الخليفة المستعين مع قاداته المقربين من الأتراك ، وجمع لأجل هذا الأمر القادة الذين ساهموا في قتل المتوكل ، فتضامنوا وأظهروا الاتفاق معه ، كما فعلوا عند مقتل المتوكل⁴³⁷ . وعندما علم الخليفة المستعين بهذه المؤامرة أرسل إلى بغا ووصيف خطاب يقول لهم " أنتم من جعلني خليفة مع أنني لم أكن أريد الخلافة ، والآن تريدان قتلي ؟ " فأقسم له بغا ووصيف أنه ليس لهما علم أو صلة بهذه المؤامرة⁴³⁸ .

فأخبرهم المستعين بحقيقة هذه المؤامرة ، واتفقوا على إلقاء القبض على باغر واثنين من رجاله وحبسهم في القصر تمهيدا لقتلهم . دعا الخليفة المستعين باغر التركي إلى القصر وأمر به في ذلك اللقاء فسيق إلى السجن بتهمة الخيانة ، وتقول بعض المصادر إن باغر تم حبسه في قصر بغا الصغير⁴³⁹ . وصار الحال في سامراء ينذر بفوضى وانفجار بين جهتين جبهتين متعاديتين ، جبهة المستعين وبغا ووصيف ، وجبهة باغر التركي ورجاله .

لم تمض الأمور هينة بدون مفاجآت ومخاطر كما ارادها الخليفة المستعين ، فقد هاج العسكر من أتباع باغر عندما علموا باعتقال قائدهم ، وطوّقوا قصر الخلافة ، ونادوا بإطلاق سراح قائدهم ، فهجموا على الجوسق ، واستباحوا اصطبل السلطان ونهبوا دوابه ، وفي لحظة تالية قتل الخليفة باغر ، ورمى جثته أمام جنوده ، وقد شجعه على هذا وصيف وبغا ، واشتعلت نيران الغضب ونذر الحرب والفتنة بين الجانبين ، وشعر المستعين بأن الجيش أصبح ضده ، فطلب دعم الجيش من غير الأتراك لمساندته ، فأبطأت عته

⁴³⁶ ابن الجوزي ، المنتظم ، 278/15.

⁴³⁷ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 280/9.

⁴³⁸ ابن الجوزي ، المنتظم ، 278/15.

⁴³⁹ الكتابجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، 162.

النجدة والنصرة، فقرر الخروج من سامراء ، بعد أن أيقن أنها لم تعد مكاناً آمناً فانتهاز فرصة مواتية وانطلق متجهاً إلى بغداد في (5محرم 251هـ/ 6شباط 865م)⁴⁴⁰ .

هرب الخليفة المستعين مع بغا ووصيف عن طريق النهر إلى بغداد ، بعد أن أخذوا سفينة من صاحبها ولما علم القادة الأتراك بهرب الخليفة خلعوه ونصبوا ابن عمه المعتز بن المتوكل بعدما أخرجوه من سجنه وهنا بدأت حرب جديدة من نوع آخر بين المعتز في سامراء والمستعين في بغداد ، واستغرقت عدة شهور وكان هذا سنة (251هـ/ 865م)⁴⁴¹ .



⁴⁴⁰ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 280/9. ابن الأثير ، الكامل ، 6 / 164.

⁴⁴¹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 280/9.

3.2.4. الصراع بين المستعين والمعتز على السلطة

هرب المستعين مع بغا ووصيف الى بغداد ، وسكن هناك في دار محمد بن عبدالله بن طاهر . أراد بعض الأتراك استرجاع الخليفة المستعين إلى سامراء ليكونوا في مأمن منه ، فذهب إليه مجموعة من قادتهم ومعهم بايكباك ، يعرضون عليه العودة ، وقدموا له الاعتذار ، لكنه رفض طلبهم ، ورجعوا الى سامراء وهم يخططون لحماية أنفسهم مما آلت اليه الأمور فنصبوا المعتز خليفة ، وكانت أول مرة يصبح فيها للدولة العباسية خليفتان!⁴⁴² ، استغل أهل بغداد قدوم المستعين لصالحهم من أجل إعادة مركز الخلافة الى بغداد، وساندوه مطالبين باحترام الخليفة وقراراته ، وظن المستعين وأهل بغداد أنه بهذا يستعيد هيبة الخلافة وسلطته . بعث المستعين رسالة إلى القادة الأتراك يخبرهم بضرورة الولاء والطاعة له وعزل المعتز فرفض القادة الأتراك طلبه⁴⁴³

سعى المستعين لاتخاذ احتياطات يحمي بها نفسه ومدينة بغداد ، فقطع الإمدادات عن سامراء ، وسد ممر دجلة لمنع نقل المؤن إليها، وقام بتخريب الجسور بين بغداد وسامراء ، وسد قنوات المياه ، وعمل خنادق حول مدينة بغداد ، كذلك قوى الأسوار التي تحيط بمدينة بغداد.

في الجهة المقابلة أرسل المعتز إلى والي بغداد عبد الله بن طاهر يطالبه بإعلان الولاء له ، وشرح له أن الملك حقه من أيام المتوكل ، فقد نصبه وريثا للعرش ، وكان رد عبد الله على عرضه بالرفض ، وطلب منه مبايعة المستعين، وكان من استعدادات الحرب أن حاول كلا الطرفين استمالة القادة الأقوياء الى جيشهم وكان من بين هؤلاء القادة موسى ابن بغا الكبير ، وقد نجح المعتز بادئ الأمر في ضمه إلى جيشه⁴⁴⁴ وصار عبد الله بن بغا الصغير إلى جانب المستعين ، وكان هذا بطلب من والده ، فجاء إلى بغداد وانضم الى جيش المستعين ، وعندما مالت الامور إلى جانب المعتز عاد إلى سامراء وقدم الاعتذار للمعتز وقال له " ذهبت إلى بغداد لأحضر لك معلومات عن المستعين " ، وسامحه المعتز ، فانضم الى جيشه⁴⁴⁵ .

⁴⁴² ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 168.

⁴⁴³ ابن مسكويه ، تجارب الأمم، 4/ 165.

⁴⁴⁴ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 289 - 290. ابن مسكويه ، تجارب الأمم ، 4/ 166.

⁴⁴⁵ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 290 .

كذلك كان الحسن ابن القائد التركي الأفشين من القادة البارزين في حينها ، جاء والتحقيق بجيش المستعين وأصبح مسؤولاً عن عدة فرق عسكرية في الجيش ، وكان المستعين قد أطلق سراحه بعد أن طال بقاءه في محبسه منذ أيام المعتصم⁴⁴⁶

صارت جبهة المعتز أكثر قوة عندما انضم له موسى بن بغا الكبير ، واستطاع أن يستولي على الخلافة بالتعاون أخيراً مع شقيقه أبي أحمد الموفق . وبالرغم من انقسام القادة الأتراك بين طرفي المعتز والمستعين إلا أنه بصورة عامة كان الإيرانيون المتمثلون ب (الطاهرين) أكثر ولاءً للمستعين من الأتراك ، في حين دعم الأتراك المعتز في سامراء ، كان الصراع بين المعتز والمستعين هو صراع بين الإيرانيين والأتراك على السلطة.

تمكن المعتز من محاصرة بغداد سنة كاملة ، وعاشت بغداد تحت هذا الحصار ظروفًا صعبة ، وهلك خلق كثير من الجانبين ، ووقعت أحداث روعت أهالي بغداد ، منها عمل الأتراك على قتل الأسرى الذين يقعون في أيديهم من أهل بغداد ، وكانوا يقطعون رؤوسهم ، وعندما شاهد أهالي سامراء هذا الموقف ، اعتراضوا وفزعوا منه ، وشعر المعتز بأن هذه الأعمال ستفقده سند أهل سامراء له ، فعمل على إخراج الأسرى من سجنهم ، بمقابل دينار من كل واحد ، ودفن الرؤوس المقطوعة⁴⁴⁷ .

استمر حصار بغداد ، وامتدت الاشتباكات إلى مدينة الأنبار التي كانت في محيط بغداد ، وتمدها بالماء ومتصلة بها في شبكات الطرق والنقل ، وكانت هذه المدينة ذات أثر كبير وحاسم في ترجيح كفة الصراع بين الجانبين ، ولهذا عمد المعتز إلى السيطرة عليها ، وعن طريقها كان يتم نقل السلاح والمواد الغذائية إلى بغداد ، فبعث المعتز بقوات إلى مدينة الأنبار ، وكذلك فعل عبد الله ، وحدثت اشتباكات خارج المدينة تمكن فيها المعتز من الاستيلاء على الأنبار ، وأعلن المعتز أنه لن يقبل بجنود غير شرعيين في حال

⁴⁴⁶ ابن مسكويه ، تجارب الأمم ، 4/ 169. ابن الاثير ، الكامل ، 6/ 167.

⁴⁴⁷ ابن الاثير ، الكامل ، 6/ 167 .

دخوله بغداد ، وإذا تم القبض على أحدهم فسوف يجلد 300 جلدة ، ويطرد من الجيش ، وهذا القرار كان سببا لهرب كثير من جنود عبدالله والتحاقهم بجيش المعتز⁴⁴⁸

بعد استيلاء جيش المعتز على مدينة الأنبار تم فرض حصار على بغداد ، ومنع دخول المواد الغذائية والأسلحة ، فأهلك الحصار أهل بغداد وانفضوا عن المستعين ، فازداد ضعفا على ضعف ، وساءت الأحوال كلها في بغداد ، استمر الحصار عاما كاملا فأدى إلى نفاذ المخازن من المؤن ، وإلى ارتفاع الاسعار وكان سببا في فقد المستعين لبعض من أهم رجاله وأقربهم ، ومنهم عبيد الله بن يحيى الذي لعله كان أقربهم إليه ، وبدأ يعمل ضد الخليفة المستعين ويثير الفتنة بينه وبين محمد بن عبدالله. أرسل أبو أحمد خمس سفن من الخنطة والقمح والشعير إلى ابن طاهر في بغداد ، وكان رد ابن طاهر أن أرسل رجاله لإعلان البيعة للمعتز ، وسرى اعتقاد بين الناس في بغداد أنه تم الاتفاق بين الخليفين⁴⁴⁹ .

كان المستعين في ذلك الوقت قد اشتد ضعفه ، وفكر في عقد مصالحة مع المعتز بوساطة محمد بن عبد الله ، وأراد الاعتماد على وصيف وبغا ، لكنهما لم يستطيعا عمل شيء.

استجاب المستعين أخيرا لرغبة المحاصرين ، وأظهر خلع نفسه بعد مناظرة جرت بينه وبين وصيف وبغا الصغير وابن طاهر ، وفيها واجهه وصيف بقوله: أنت من امرت بقتل باغر ، وكذلك أوتامش ، وادعيت أن محمدا ليس أمينا ولا ناصحا ، حتى صارت الأمور الى ما وصلنا إليه . فلما اجتمعوا عليه هؤلاء بالعتاب استسلم لهم ، وكتب على نفسه شروطهم. ولما بان الضعف في أمره ، وفقد مناصريه من الأتراك والعرب اذعن للخلع ، على أن يبقى هو في المدينة المنورة ، في إقامة شبه جبرية ، فيكون تنقله محدودا بين المدينة ومكة ، ويتم منح بغا ووصيف منطقة الحجاز ، والجبل وما يحيط بهما ، وكذلك تم تخصيص ثلث ممتلكات بغداد لمحمد بن عبدالله بن طاهر ، والثلثين الآخرين للأتراك والمغاربة ، وذلك فمقابل تنازل المستعين عن العرش⁴⁵⁰ .

⁴⁴⁸ ابن الاثير ، الكامل ، 6/ 173.

⁴⁴⁹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 337.

⁴⁵⁰ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 337 .

وفي 12 ذي الحجة من سنة (252هـ / 866م) خلع المستعين نفسه ، وكان محمد بن عبد الله شاهدا على ذلك مع عدد من قضاة الدولة والفقهاء ، ومنح المستعين كل صلاحياته إلى محمد بن عبد الله ، وبعث محمد بن عبد الله مرسوم الخلع إلى المعتز في سامراء ، وفي 4 محرم يوم الجمعة من نفس السنة الميلادية عملت أجريت مراسيم المبايعه أمام العامة للمعتز . وتم فيها المبايعه من جميع المسلمين في سامراء وبغداد وكانت تلك نهاية الصراع على السلطة بين سامراء وبغداد⁴⁵¹ .

إذن كان للأتراك كما لا حظنا دور كبير في الصراع على السلطة ، حيث كان لهم حضور في سامراء وفي بغداد إلى جانب كلا الخليفين ، وكان القادة الأتراك الأقوياء إلى جانب المستعين ، بينما كان الجنود والقادة الأقل كفاءة إلى جانب المعتز ، وكان أهل بغداد يؤيدون المستعين بقيادة والي بغداد محمد بن عبد الله ، ولكن الحصار المفروض الطويل على بغداد ، وأسلوب التجويع الذي استخدمه الأتراك على بغداد قلب الأمور ونقل الانتصار إلى طرف المعتز في تلك المعركة⁴⁵² .

نُفي المستعين المخلوع إلى مدينة واسط ، وهي مدينة أو منطقة بين البصرة والكوفة ، وكان واليها أحمد بن طولون ، فعامله معاملة حسنة ، وأعطاه حرية من الحركة والاتصال بما حوله ، وسمح له بممارسة الصيد والسفر ، وهنا فكر الأتراك بأن بقاء المستعين حيا قد يكون فيه خطر على وجودهم ، فجاؤوا إلى المعتز وحاولوا إقناعه بضرورة التخلص من المستعين ليستقيم ملكه ، واقتنع المعتز بذلك . وكاتب أحمد بن طولون وطلب منه السعي لقتل المستعين . في بادئ الأمر وعد بن طولون بالانصياع لتلك الأوامر ، لكنه بعد ذلك لم يفعل واعتذر بأنه لا يخلف القسم الذي أقسم به أمام المستعين بالولاء له⁴⁵³ .

⁴⁵¹ المسعودي ، مروج الذهب ، 4/ 132.

⁴⁵² المسعودي ، مروج الذهب ، 4/ 133. ابن الاثير ، الكامل ، 6/ 182.

⁴⁵³ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 556.

فكان بنتيجة ذلك أن أرسل المعتز بنفسه مجموعة صغيرة من الرجال المدربين إلى واسط لقتل المستعين الذي لم يكن قد تجاوز الخامسة والثلاثين من العمر ، فقتلوه⁴⁵⁴ ويذكر بعض المؤرخين أن المستعين تم قتله على أيدي رجال أرسلتهم قبيحة أم المعتز⁴⁵⁵

وقد تناول بعض شعراء تلك الفترة وصف الحالة التي كانت ودور الأتراك ، وامتعاض الشعب منها فقالوا:

وسيقتل التالي له أو يخلع	خلع الخلافة أحمد بن محمد
أحد تملك منهم يستمتع	ويزول ملك بني أبيه ولا يرى
في قتل أعبدكم طريق مهيع	إيه بني العباس إنه سبيلكم
بكم الحياة تمزقا لا يرفع. ⁴⁵⁶	رفعتم دنياكم فتمزقت

ويقول أحمد أمين في خلع المستعين كان من حظ الترك أن غلبوا أخيرا ودخلوا بغداد منتصرين ، حيث كانت هذه الخطوة إلى جانب الأتراك وزادت من سيادتهم⁴⁵⁷

⁴⁵⁴ ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 186 ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 363.

⁴⁵⁵ كحالة ، أعلام النساء ، 5/ 185.

⁴⁵⁶ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 350.

⁴⁵⁷ أمين ، ظهر الإسلام ، 1/ 21.

4.2.4. الأتراك في عهد المعتز بالله (252-255 هـ / 866-869م)

وهو أبو عبد الله محمد المعتز بن جعفر المتوكل بن محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد ، ولد في سامراء في (232هـ / 846م) من أم جارية رومية تدعى قبيصة⁴⁵⁸ ، ومنذ عهد والده المتوكل نُصّب وليا للعهد إلا أنه تخلّى عن الولاية بسبب إصرار الأتراك على ذلك حيث أجبروا المنتصر على عزله . تولى بعدها المعتز الخلافة حين أُجبر المستعين على خلع نفسه من الخلافة بضغط من الأتراك أنفسهم وبعد حرب وحصار استمر سنة كاملة ، وبرغم أن الأتراك هم من نصبوا المعتز على الخلافة ، إلا أن المعتز لم يكن على ود معهم ، وكان دائم التفكير في التخلص من ضغطهم وتحكمهم ، خصوصا أنه لم ينس أنهم أجبروا المنتصر من قبل على عزله ، كما أنهم من قضاوا على والده وأخيه المنتصر ، ولا يستبعد أن يفعلوا به كما فعلوا بهم ، وهذا كله ما دفعه إلى محاولة القضاء عليهم تحسبا لأن يفكروا بالتخلص منه!⁴⁵⁹

وقد تجسد قلق المعتز ببعضه للأتراك ووصفهم بالفضاضة والوحشية وقسوة القلب ، وكما يذكر ابن الأثير فقد بدأ المعتز يعي أن جيشه بحاجة إلى قائد شجاع يقوده ويحمي حدوده ويقف في وجه المخاطر التي تواجه الدولة ، وأن يكون على علم ومعرفة يستطيع بها تخطي الأزمات ، وأن يكون لديه رجال جيدون وكرماء حوله ، وأن يواجهوا المصاعب بسرعة وبلطف ، إلى جانب ذلك لا يخاف الظروف الصعبة.⁴⁶⁰

ما وصفه المعتز من صفات هو دلالة على أن المعتز كان يريد كسر السلطة التركية في الدولة ، وكان يبحث عن قائد ذي صفات مميزة ذكرها المعتز منها أنه شجاع قوي ذو صبر، يحبه الناس ، وهو قريب منهم⁴⁶¹ . كان المعتز في بداية تسلمه عرش الخلافة منصورا بالأسرة الطاهرية بقيادة محمد بن عبد الله بن طاهر ، وهو الذي نصبه المعتز قائدا لجيشه ولكن هذا لم يصبر على تسلط الأتراك وتحكمهم ، وبعد مشاحنات ومخاصمات تمكنوا من إقصائه وإبعاده عن قيادة الجيش ، ولم يبق أمام المعتز سوى الاستسلام

⁴⁵⁸ ابن مسكويه ، تجارب الامم، 4/193. السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 558.

⁴⁵⁹ عمرفوزي ، الخلافة العباسية عصر السقوط والانهيار، (عمان : دار الشروق، 2009م) ، 2/28.

⁴⁶⁰ ابن الأثير ، الكامل ، 7/196.

⁴⁶¹ Güzel , *Kafesteki Halifeler*, s. 94.

لمجريات الأمور فاضطر لتسليم زمام القيادة إلى القادة الأتراك ، فسلم بغا الصغير قيادة الجيش ، على الرغم من العداوة الكبيرة الذي يضمهرها المعتز له⁴⁶²

بقى المعتز في السلطة مدة ثلاث سنوات أو أكثر بقليل ، كان يؤدي شكل الخليفة وصورته فقط ولم تكن له أي مهام أخرى لها قيمة ، وكان الأتراك ييدهم كل شيء ، ومنهم الأمر والنهي ، والأخذ والعطاء كان الخليفة المعتز يتمنى ويريد إنقاذ الدولة العباسية من نفوذ الأتراك المتزايد ، لكن هذا كان هذا صعبا جدا بسبب غوصهم أكثر فأكثر في إدارة الأمور والإمساك بها منذ عهد المتوكل ، واستضعافهم الخلفاء ، فكان الخليفة كالعبد عندهم إن رضوا عنه بقي ، وإن لم يرضوا خلع. وصار المعتز وحيدا ، ولم تكن له قوة في جيشه تدافع عنه ، ويستطيع أن يتقوى بها في وجه خصومه ، ويذكر لنا الفخري أنه " لما جلس المعتز على سرير الخلافة ، قعد خواصه وأحضروا المنجمين وقال لهم : انظروا كم يعيش وكم يبقى في الخلافة ، وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال : " مهما أراد الأتراك . فلم يبق في المجلس إلا من ضحك " ⁴⁶³

وقد قال هذا الرجل الحق إذ كانت نهاية المعتز على أيدي الأتراك ، تميزت علاقة المعتز بالقيادة الأتراك بأنها وصلت إلى أسوأ ما تكون بين خليفة عباسي وقواده ، وتضعضع الأمن والاستقرار في بغداد وبدأت تظهر الفتن في البلاد الإسلامية ، وذلك بسبب ضعف مركز الخلافة ، ورغم وجود الأتراك واستمرار خدمتهم للدولة العباسية⁴⁶⁴ .

استعان المعتز بهم للقضاء على الفتن التي ظهرت في البلاد الإسلامية ، حيث أرسل المعتز محمد بن المولد التركي إلى عيسى بن شيخ الذي أشعل فتنة في فلسطين ، وتمكن من القضاء عليها ، وكذلك أرسل مزاحم بن خاقان إلى ملطية عندما حدثت قلاقل هناك ، ووقعت أعمال سلب ونهب كان سببها الروم⁴⁶⁵ ، وأرسل المعتز أيضا موسى بن بغا الذي كان يسكن في همدان للقضاء على الفتن في مدينة

⁴⁶² السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 558.

⁴⁶³ ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، 197. المصري ، صلات بين العرب والفرس والترك ، 217.

⁴⁶⁴ الكتاجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، 165.

⁴⁶⁵ يعقوبي ، تاريخ يعقوبي ، 2 / 500.

الكوكبي بن الأرقط ، وقضى عليه بعد عدة اشتباكات⁴⁶⁶ ونتيجة محاولات المعتز المستمرة للإيقاع بالأتراك ، حدث بين الطرفين فقد للثقة ، ولم يتمكن المعتز من القضاء عليهم ، فكان لا يطيب له عيش ولا يترك سلاحه في ليل ولا نهار ، ويظل قلقا على نفسه من الغدر ، خصوصا من قائده بغا الصغير وقد قال مرة " إني لأخاف أن ينزل عليّ بغا من السماء أو يخرج على الأرض .. لا أزال على هذه الحال حتى أعلم لبغا رأسي أم رأسه لي " ⁴⁶⁷.

عمل المعتز على خلع أخيه إبراهيم المؤيد من وراثة العرش ، وكان سبب ذلك أن عامل أرمينية أرسل إلى إبراهيم المؤيد خمسة آلاف دينار ، فأرسل المعتز ابن فرخان شاه إليه فصادرها منه ، وأمر باقتياد أخويه المؤيد وأبي أحمد لئسجنا في الجوسق ، وعزل المؤيد في غرفة صغيرة ، وأغدق المال على الأتراك والمغاربة وتم اعتقال كنجور حاجب المؤيد ، وجلده خمسين سوطا ، وكذلك جلد المؤيد أربعين مثلها ، وأخذ منه تنازل عن ولاية العرش بسامراء⁴⁶⁸

عمل الأتراك على زرع أفكار سيئة في فكر المعتز ، وذهب المؤيد ضحية هذا الصراع الذي كان جوهره على السلطة ، وقُتل المؤيد في (22 رجب 252هـ / 11 آب 866م) بتعاون المعتز مع الأتراك وعيسى بن فرخان شاه ⁴⁶⁹.

وبالرغم من أن المعتز كان يعلم أن المؤيد لا يهدد عرشه ، بقدر ما كان أبو أحمد شقيق المعتز يهدده ، وذلك بسبب ميل الجيش إليه وحب العسكر له ، ومع هذا فقد قتل المعتز أخاه المؤيد ، ثم خشي المعتز من الأتراك ، أن يحاسبوه ويضغطوا عليه لأنه قتل أخاه ، فقال إن القضاة والفقهاء شهود عيان على سلامة المؤيد من آثار الضرب ، وجَهَّز شهودا على موته موتا طبيعيا ⁴⁷⁰

⁴⁶⁶ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 500/2 .

⁴⁶⁷ المسعودي ، مروج الذهب ، 177/4 . غرايبة ، العرب والأتراك ، 26.

⁴⁶⁸ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 362/9 .

⁴⁶⁹ ابن الأثير ، الكامل ، 6 / 185 .

⁴⁷⁰ ابن مسكويه ، تجارب الأمم ، 196/4 .

وتذكر مصادر أخرى أن المؤيد لُف في لحاف وأُغلق من الطرفين حتى توفي ، ورواية أخرى تقول إنه أُجلس في الثلج ، ووضع على رأسه كمية كبيرة منه حتى تجمد ومات ، ولما توفي المؤيد صار أخوه أبو أحمد مكانه في محبسه⁴⁷¹

فتنة المغاربة والأتراك

المغاربة جند شكّلهم المعتصم في جيشه مثلما شكّل الأتراك ، واصطنعهم وكبّرهم ، وكان بين الطرفين عداوة ونفور ، حيث كان كل واحد منهما يسعى للحصول على نفوذ أكبر وينافس نظيره في ذلك ، وهكذا تفاقم الخلافات بين فرق الجيش والخليفة المعتز مكتوف اليدين ، ووقفت المغاربة مع محمد بن راشد ونصر بن سعيد فغلبوا الأتراك في الجوسق ، وطردوهم منه⁴⁷² وهجموا على عيسى بن فرخان شاه وضربوه واستولوا على دوابه ، وسيطروا على بيت المال ، وسرقوا خمسين دابة من الأتراك . ملمم الأتراك شملهم ، وجمعوا الأتراك من الكرخ والدور ، وتلاقوا مع المغاربة ، ووقف إلى جانب المغاربة الغوغاء والشاكرية ، فبان ضعف الأتراك ، وتدخل جعفر بن عبد الواحد بينهم للصلح ، طالب الجند الأتراك بتسليم محمد بن راشد ، ونصر بن سعيد لهم ، وعندما علم هذان بسعي الترك في طلبهما اختبأ في منزل (محمد بن غرون) ، لكن هذا غدر بهما وسلمهما إلى الأتراك فقتلوهما ، ولما وصل الخبر إلى المعتز عزم على قتل ابن غرون لكنه بعد ذلك لم يقتله بل نفاه إلى بغداد⁴⁷³ .

⁴⁷¹ ابن الأثير ، الكامل ، 6/185. السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 559.

⁴⁷² الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/369.

⁴⁷³ ابن الأثير ، الكامل ، 6/185. الخضري بك ، تاريخ الامم الاسلامية ، 284.

مقتل وصيف التركي وبغا الصغير

يعتبر وصيف التركي من أوائل القادة الذين دخلوا إلى الجيش العباسي في أيام المعتصم ، وقدموا خدمات جليلة للدولة العباسية ، وقد جاء في سن العاشرة أسيرا تم بيعه في مدينة قزوين الإيرانية ، واشتراه أحد الأشخاص البارزين في مدينة قم الإيرانية ، وقد تحدث وصيف بنفسه عن هذا وقال إن مالكة لم يفرق بالمعاملة بينه وبين أولاده ، وكان يتقن مهنة الحدادة ، ولديه تعليم جيد ، انخرط وصيف في صفوف الجيش العباسي دون علم مالكة ، واعتمد على مواهبه الشخصية ، وصنع لنفسه سمعة استطاع من خلالها الفوز بمناصب كبيرة في الجيش ، بعد مدة من الزمن عاد وصيف إلى مالكة وطلب منه أن يعتقه بشكل رسمي⁴⁷⁴ وهناك رواية أخرى يسردها اليعقوبي فيقول إن وصيفا قامت ببيعه أسرة من بغداد⁴⁷⁵ ولم يلبث وصيف أن حاز على منزلة لدى المعتصم حيث صار حاجبه الشخصي ، ثم تولى مناصب مهمة في عهد المعتصم ومن جاء بعده من الخلفاء⁴⁷⁶ كما برز في عهد المتوكل ، وكذلك في عهد المستعين حيث سيطر على زمام أمور الخلافة مع بغا الصغير .

مال وصيف وبغا الصغير إلى جانب المستعين في حربه مع المعتز ، وبعد انتصار المعتز وتسلمه العرش التمس وصيف من المعتز العفو عنه ، عن طريق أخته التي كانت مربية للمؤيد شقيق المعتز ، وتوسط المؤيد في الأمر فعفا المعتز عن وصيف ، وبالإضافة إلى هذه الوساطة ، أنفق وصيف مليون دينار رشاً وأعطيات على رجال الدولة المقربين للمعتز في سبيل إتمام الصلح⁴⁷⁷ .

كذلك سعى بغا الصغير في طلب العفو من المعتز ، عن طريق أبي أحمد شقيق المعتز ، وحصل وصيف وبغا الصغير على مساندة ودعم من القادة الأتراك والجيش ، وعملوا على الضغط على المعتز لإصلاح ما فسد من العلاقة مع وصيف وبغا ، وخضع المعتز لذلك لأنه لم يكن يرغب في إزعاج الأتراك ، خصوصا

⁴⁷⁴ ابن الجوزي ، المنتظم ، 329/15.

⁴⁷⁵ اليعقوبي ، البلدان ، 55.

⁴⁷⁶ ابن الجوزي ، المنتظم ، 386 / 14.

⁴⁷⁷ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 355 / 9.

في بداية تسلمه عرش الخلافة⁴⁷⁸. رضي المعتز بالصلح مع بغا ووصيف بالرغم من كرهه لهما حيث كانا ألد خصومه ، وكان في حسابه التخلص منهم قبل ان يسبقوه هم في ذلك .

افصح المعتز عن سروره ورضاه بتنحية القائدين عن أماكن النفوذ في مركز الخلافة في بغداد ، خصوصا أنهما من المسؤولين عن الحرب الأهلية السابقة مع المستعين ، وعن مقتل المتوكل وأخيه المنتصر .

عمل القائدان خلال حكم المعتز بما يشاءان ، وكانا على سلطة ونفوذ واسعين ، وكان المعتز كما أسلفنا في نيته دائما التخلص من الأتراك وتأثيرهم ، فأرسل إلى محمد بن طاهر والي بغداد رسالة بشكل سري ، أمره فيها بقتل القائدين⁴⁷⁹ تسرب خبر هذه المؤامرة إلى أسمع بغا ووصيف من خلال جواسيسهما ، فقررا الرجوع إلى سامراء ، إذ لم تعد بغداد آمنة لهما ، فلم يأذن لهما الخليفة بالرجوع ، لكنهما أصرا ، على العودة بمساندة العساكر الأتراك ، حيث خرج بايكباك إلى بغداد ومعه 300 جندي لتأمين سلامة مغادرتهم إلى سامراء، وكانت النتيجة أن أعادها الخليفة المعتز مضطرا تحت الضغوط إلى مناصبهما في رمضان (253هـ / 867م) ، وثبتت استسلامه لنفوذهما من غير قصد أو رضا منه⁴⁸⁰.

مع وصول بغا ووصيف إلى سامراء زاد تسلط الأتراك على المعتز ، مما دفعه للجوء إلى الطاهريين ، وهؤلاء من أصل إيراني ، وبرغم وقوف محمد بن طاهر مع المستعين ضد المعتز سابقا ، فهذا لم يمنع المعتز من طلب مساعدته ، وذلك لأن الطاهريين وقفوا إلى جانب الخلفاء العباسيين على مدار كل السنين السابقة ، وأسسوا دولة في خراسان شبه منفصلة. أرسل المعتز إلى محمد بن طاهر سرا ، وطلب عونه على الأتراك ، وبناء على ذلك طلب محمد بن الطاهر إلى عمه سليمان بن عبدالله ، يأمره بتجهيز جيش متمكن وإرساله إلى سامراء ، وبالفعل تحرك الجيش من خراسان متجها إلى سامراء ، وهنا تدخل الأتراك ومارسوا نفوذهم على المعتز من أجل تغيير سير جيش سليمان إلى بغداد وعدم السماح له بدخول سامراء

⁴⁷⁸ الطبري، تاريخ الرسل، 355/9.

⁴⁷⁹ ابن مسكويه ، تجارب الأمم، 194/4. ابن الجوزي ، المنتظم ، 15 / 295.

⁴⁸⁰ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، 355/9. ابن الاثير، الكامل، 183/6.

وكما بات معتادا لم يستطع المعتز مقاومة الأتراك ، وتخلّى عن خطته في التخلص منهم وأمر جيش سليمان بالعودة إلى بغداد في (16 ربيع الاول 254هـ/18 آذار 868م) ⁴⁸¹.

سار المعتز على طريقة الخليفة المستعين ، للتقليص من النفوذ التركي ، حيث استغل المشكلات الداخلية التي تحدث أحيانا بينهم نتيجة ضعف هيبة الخلافة وسلطانها عليهم ، وقد حدث أن كثرت الاضطرابات في الجيش في سامراء ، وفقد القادة الأتراك السيطرة والسلطة على العسكر ، وأخفق بغا الصغير ووصيف التركي من السيطرة على مجرى الأمور ، وأثناء ذلك قام مثيرو الشغب والمعارضون في الجيش بقتل وصيف التركي في (27 شوال 253هـ/2 تشرين الثاني 867م) مطالبين بأرزاقهم المتأخرة منذ أربعة شهور، ولما وصلت أصوات وصيف إلى المعتز وهو يصارع الموت على أيدي المتمردين من العسكر لبس المعتز حزامين على خصره ، وتاجا وحلّة، وبعد مقتل وصيف عين المعتز ابنه صالحا ، وتولى هذا مهام والده في الجيش، واجتمع حوله رجال ابيه فصار في منزلته ، وضعف أمر المعتز كثيرا ⁴⁸² أراد المعتز بتعيين صالح ان يبعد الشبهة عن نفسه في مقتل وصيف الذي جاء مقتله على هوى المعتز، حيث تخلص من أخطر خصومه.

كان في الجيش العباسي قائدان تركيان يحملان الاسم نفسه وهما بغا الكبير ، وبغا الصغير ⁴⁸³ . كان لبغا الصغير دور مهم في اغتيال الخليفة المتوكل ، وكذلك لعب دورا في جلوس الخليفة المستعين على عرش الخلافة ، وكان بغا الصغير من المساندين للمستعين في حربه مع المعتز ، وكان المعتز يخاف من بغا الصغير ⁴⁸⁴ أدار المعتز عدة محاولات للتخلص من بغا الصغير خصوصا بعد ما فرغ وارتاح باله من وصيف ، وكان شديد الحذر في مؤامراته لأن الإخفاق فيها قد تكون عاقبته هلاكه ، وكان يعلم أن القضاء على بغا لا يكون إلا بمساعدة العسكر الأتراك . استغل المعتز المشاحنات بين بغا الصغير وبايكبك بعد مشكلة

⁴⁸¹ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 2/ 468. ابن خلدون ، العبر ، 3/ 359.

⁴⁸² اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 2/ 468-503.

⁴⁸³ Mesut Abdullah Ağır- Mehmet Emin Şen, *Abbasi Dönemi önemle Türk Komutanlarından Boğ'a es-Sağır* , (Turkish Studies :2012),7/3 s. 13.

⁴⁸⁴ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، 2/ 410.

وقعت بينهما بينما كانا تحت تأثير الخمر ، وتوارى بايكباك عن الأنظار خوفا من بغا الصغير ، واتفق مع المعتز ضد بغا الصغير⁴⁸⁵.

أدار بايكباك عدة أعمال تخريبية ضد بغا في الجيش ، وبنتيجة الفتن التي أحدثها بايكباك خرج العساكر ، ورفعوا أصواتهم مطالبين بموت بغا في شوارع سامراء ، وراحوا يهتفون بموته⁴⁸⁶. اضطر سوء الحال الذي وصل له بغا الصغير في سامراء إلى اختلاس مبلغ كبير من خزينة الدولة ، وهرب به إلى الموصل مع عدد من أصحابه عددهم (500) جندي، وكان لهذا الإجراء المفاجيء الذي قام به أصداء وخيمة عليه ، فأرسل المعتز قوات فيها من القادة الأتراك ومعهم ساتكين القائد التركي ، بحجة إقناعه بالعودة إلى سامراء ، باعتبار أن القلاقل ضده في سامراء قد انتهت ، ولاداعي لأن يهرب منها . قُتل بغا الصغير بأمر من الخليفة المعتز ، بعد أن أخبر المغاربة ساتكين عن مكانه فأخبر به المعتز ، وكان ذلك في سنة (254هـ/ 868م) ، وكأفا المعتز قاتل بغا بعشرة آلاف دينار ، وأحرقت جثته ، وعلق رأسه في سامراء وطيف به في بغداد أمام الناس⁴⁸⁷.

تم القضاء على بغا الصغير ثاني أكبر القادة الأتراك ، وأمر المعتز بسجن أولاده الهاربين في بغداد⁴⁸⁸. وقد أورد الذهبي خبر مقتل بغا الصغير ، وذكر أنه بعد أن سرق (200 ألف دينار) من الخزينة ، وخرج من سامراء ، تخلّى عنه أصحابه ، وتمكن رجال المعتز من الإمساك بهم⁴⁸⁹.

وتذكر بعض المصادر رواية أخرى ، وهي أن المعتز بعث بغا الصغير للقضاء على تمرد (مسافر الخرجي) ، وكان هدف المعتز هو استبعاد بغا عن مركز الخلافة ، وتم القضاء عليه بخطة محكمة دبرها المعتز مع الأتراك والمغاربة⁴⁹⁰.

⁴⁸⁵ شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب، (القاهرة: 1985)، 231/22.

⁴⁸⁶ ابن الجوزي ، المنتظم، 333/ 15.

⁴⁸⁷ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 379. السيوطي، تاريخ الخلفاء ، 558.

⁴⁸⁸ ابن الجوزي ، المنتظم ، 333/ 15. ابن خلدون ، العبر ، 322/ 3.

⁴⁸⁹ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، 6/ 58.

⁴⁹⁰ ابن الجوزي ، المنتظم ، 333/15.

5.2.4. نهاية الخليفة المعتز على أيدي الأتراك

لم تكن الأوضاع مستقرة في عهد المعتز ، ففي الوقت الذي كان فيه الخليفة المعتز واقعا تحت التسلط التركي ، كثرت أيضا المشاحنات بين القادة الأتراك أنفسهم ، وقد استبدوا بالنفوذ واشتد طلبهم للمال ، وكان المعتز عاجزا عن إرضائهم برغم انصياعه لرغباتهم ، أحس الأتراك بنوايا المعتز للتخلص من نفوذهم بعد مقتل وصيف وبغا الصغير ، فسبقوه قبل ان يسبقهم. وبالرغم من أن المعتز اعتلى العرش بمساعدتهم، إلا أنه لم يكن على وفاق معهم لأنهم قتلوا والده المتوكل وأخاه المنتصر ، ولم يكن لدى المعتز القوة الضاربة التي يمكن أن يدفع بها نفوذ الأتراك ، فعمل على كسر شوكتهم عن طريق احداث الفتن بينهم ، ومن جهة أخرى عمل على تقوية المغاربة لأنهم بمنزلة قوة موازنة لقوة الأتراك .

كانت قبيحة والددة المعتز تطلب من المعتز أن يأخذ بثأر ابيه ، وتعرض عليه قميص والده الملطخ بالدم وكان المعتز يطلب منها أن تكف عن هذا العمل والتحريض ، لكيلا يتحول القميص إلى قميصين⁴⁹¹.

بعد مقتل وصيف وبغا الصغير ساءت الأمور بين الأتراك والخليفة ، ولم يخفف مقتلهما من تسلط الأتراك وضغطهم، حيث برز بعد هذه الأحداث صالح بن وصيف ، وبايكباك ، وأبو نصر محمد بن بغا الكبير ، وتمرّد معهم العسكر الأتراك ، بسبب تأخر أرزاقهم ، وطوقوا قصر المعتز ، وكان صالح بن وصيف على قناعة تامة بأن والده ذهب ضحية لأفعال المعتز بسبب عدم دفعه استحقاقات الجنود ، فكان يضمّر في نفسه الحقد على الخليفة.اجتمع صالح ، ومعه وزيره أحمد بن إسرائيل ، وأبو نوح عيسى بن إبراهيم⁴⁹² وأخبر صالح بن وصيف الخليفة بأن الجنود ينتظرون رواتبهم ، وبيت المال فارغ بعد أن انتهبه وأفرغه ابن إسرائيل ، وتطور الشجار بينهم حتى وقع صالح مغمى عليه ، ورموا عليه الماء . تحرك رجال صالح بن وصيف إلى قصر المعتز ، خوفا من وقوع خطر على قائدهم، وكان المعتز يراقب ماجرى عن بعد ولم يتدخل⁴⁹³.

⁴⁹¹ الليليم ، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية ، 2/77.

⁴⁹² الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/387. يعقوبي ، تاريخ يعقوبي ، 2/470. ابن الجوزي ، المنتظم ، 15/79.

⁴⁹³ ابن مسكويه ، تجارب الامم ، 4/212.

حجز صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل وعيسى بن إبراهيم وربطهم بالحديد ، وسجنهم في منزله ، فطلب منه المعتز أن يترك ابن إسرائيل ، لانه عزيز عليه وقام بتربيته ، فرفض صالح ، وضرب ابن إسرائيل حتى كُسرت أسنانه ⁴⁹⁴ كان المعتز وصالح بن وصيف ، يضم كل واحد منهما الرغبة والنية بالتخلص من نظيره ، وعرض بعض القادة الأتراك على المعتز اتفاقا يقتلون بموجبه صالحا مقابل منحهم الأموال ، وافق المعتز على العرض ، ولكن لم يكن في خزينة الدولة ما يقدمه للأتراك ، برغم أنهم خففوا المبلغ إلى خمسين ألف دينار ، وقد طلب من والدته قبيحة أن تعطيه هذا المبلغ لكنها رفضت ⁴⁹⁵

يقال إنها كانت غنية جدا ، وملكت مالا يقل عن مليون وثلاثمائة ألف قطعة من الألماس وجواهر الياقوت والمرجان والزمرد ، ثم إنه اجتمع قادة الأتراك والمغاربة والفراغنة ، فتوحد رأيهم ضد المعتز ، وقرروا خلعه ، وجاء صالح بن وصيف وبايكباك ومحمد بن بغا المشهور بأبي نصر ، فوقفوا أمام منزل الخليفة المعتز ، وطلبوا منه الخروج إليهم ، فرفض بحجة انه مريض ، فإذا كان هناك أمر مهم فليأتني بعض منكم فدخل عليه أهل الكرخ والدور ، وقاموا بضربه ، فخرج وقميصه محرق في مواضع ، وأثار الدم على وجهه ووضعوه في الشمس في وقت الحر ، فكان يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر ، وراحوا يلطمونه وهو يتقي بيده ، وطالبوه ان يخلع نفسه وخرم من الطعام والشراب عدة أيام ، وأدخلوه سردابا فتركوه فيه حتى مات ⁴⁹⁶ وكان يومذاك في الرابعة والعشرين من عمره ، ودفن بجوار المنتصر في سامراء ، دامت خلافته قريبا من ثلاث سنوات ، وأحدث موته الجدل والغضب بين الناس ⁴⁹⁷ .

برغم قصر المدة التي حكم بها المعتز فقد حاول جاهدا أن يتخلص من سطوة الأتراك ، مثلما حاول والده من قبل ، فسعى لإيجاد قوة موازنة لهم في الجيش ، واعتمد حيناً على الطاهريين في ضربهم ، ونجح في ضعضة صفوفهم ، وإيجاد الفرقة بينهم لكن كل هذا لم ينفع في الوصول إلى ما يريد ، فصحيح أنه نجح في تصفية بعض كبار القادة الاتراك ، إلا أن نفوذ الأتراك لم يكن يمثل أشخاص معينون وحدهم ،

⁴⁹⁴ ابن مسكويه ، تجارب الأمم، 4/ 212 .

⁴⁹⁵ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 387.

⁴⁹⁶ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 558. ابن مسكويه ، تجارب الامم، 4/ 214.

⁴⁹⁷ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 387 .

فكان يتم استبدال قائد مكان آخر ، ويستمر النفوذ التركي على الخلافة.راح المعتز ضحية للصراع التركي وترك وحيدا حتى من والدته .

وبعد وفاة المعتز توارت قبيحة والدته عن الأنظار واختبأت خوفا من قتلها ، وبعد فترة من الزمن عرضت قبيحة على صالح بن وصيف مقدارا كبيرا من المال مقابل حمايتها ، وكان المبلغ ثلاثة ملايين دينار ، وعندما علم صالح بهذا المبلغ قال " لعنك الله هل تركت ولدك يموت من أجل خمسين ألفا وفي خزينتك هذا المال الكبير " ⁴⁹⁸ ويروي المسعودي أن قبيحة فرت من سامراء إلى مكة لحماية نفسها ودخلت المسجد الحرام ودعت على صالح بن وصيف بالخزي والعار لانه سرقها وقتل ابنها. ⁴⁹⁹

هكذا كان حال الخلفاء في نهاية العصر العباسي الثاني ، ضعفاء ، تحت سيطرة القادة الأتراك ، يسرون كما يريد الأتراك ، ليس لهم كلمة ولا رأي ولا سلطة على الجيش ولا على الدولة ، وذلك منذ عهد المتوكل إلى آخر هذا العصر ، وكانت الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ ، وقد تم قتل الخليفة المتوكل وكل من جاء بعده .

⁴⁹⁸ السيوطي، تاريخ الخلفاء ، 559.

⁴⁹⁹ المسعودي ، مروج الذهب ، 4 / 186. ابن مسكويه ، تجارب الأمم ، 4 / 219. غرايبة ، العرب والأتراك ، 28.

6.2.4. تولي المهتدي بالله العرش (255-256هـ/869-870م)

كان المهتدي كما يذكر المؤرخين ورعا ، ملتزما بتعاليم الدين ، حافظا للقرآن ، كثير الصوم ، عادلا بين الرعية ، يعيش في كفاف مستغنيا عن الترف والبذخ ، لم يسبقه أحد من الخلفاء العباسيين بهذه الصفات وكان الناس يشبهونه بعمر بن عبد العزيز ، وكان يردد أحيانا إنه يستحيي أن يكون في بني أمية مثله ، ولا يكون في بني العباس⁵⁰⁰

قرر القادة الأتراك وكبار رجال الدولة اختيار محمد بن الواثق المهتدي ، وهو كان مرشحا للخلافة بعد وفاة والده المعتصم إلا أنه بسبب صغر سنه لم يتم توليته في حينها ، وتم اختيار عمه المتوكل . عاش المهتدي طول الفترة التي تلت وفاة والده بعيدا عن السياسة ، مشغولا بالعبادات ، قريبا من الناس ، وعند اختياره لمنصب الخلافة أراد أن يتسلمها بشكل مباشر من المعتز وتم ذلك في (29 رجب 255هـ/ تموز 869) ⁵⁰¹ . وكانت هذه خطوة جديدة من المهتدي تدل على الرغبة في إعادة الهيبة للخلافة ، وعلى اهتمامه بتحقيق شرعية الحكم ، كما أراد المهتدي بهذا إبعاد الأتراك ولو شكليا عن مهمة اختياره وتنصيبه ، حتى لا يكون واقعا مباشرة تحت نفوذهم .

لم تخل المصادر كالعادة من تضارب الروايات والأقوال ، حيث روى ابن الجوزي أن المهتدي أرغم المعتز على التنحي عن الخلافة وأنه قال له " سأقوم بعمل أمور لم تستطع أنت القيام بها مع الموالي " فرد عليه المعتز " أنا لم أتمكن من عمل ذلك ، وأظن أنك لن تستطيع عملها " ⁵⁰² .

برز صالح بن وصيف في عهد المهتدي ، وكان له دور فعال في أمور الدولة ، وفي اختيار المهتدي نفسه ، وكان المهتدي عند توليه العرش في مأزق كبير ، ما بين رغبته في إنقاذ الدولة العباسية من النفوذ التركي ، وإعادة هيبة الخلافة ، وما بين ضرورة مساية الأتراك من أجل الحفاظ على حياته وقد رأى مصير سابقه وما حلّ بهم ⁵⁰³ . تعددت الروايات ، فمنها ما ورد فيه أن المهتدي أرسل في طلب موسى بن

⁵⁰⁰ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 594. يعقوبي ، تاريخ يعقوبي ، 505/2.

⁵⁰¹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 319. ابن الأثير ، الكامل ، 7/ 198.

⁵⁰² ابن الجوزي ، المنتظم ، 15/ 345.

⁵⁰³ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 402. ابن الأثير ، الكامل ، 7/ 204.

بغا ودعاه للحضور الى سامراء . وهناك خلاف هذه الرواية وهو أن موسى ابن بغا لم يبايع المهتدي ، لانه كان من رجال المعتز ، وأنه أراد الرجوع إلى سامراء للانتقام فقط.⁵⁰⁴ تتضارب هذه الرواية مع ما أشيع من أن محمداً شقيق موسى بن بغا ، هو من الرجال الذين شاركوا في قتل المعتز⁵⁰⁵. ويبدو أن جميع الروايات تحتل الصواب والخطأ ، فالقاسم المشترك أن القادة الأتراك كانوا ولاؤهم لأنفسهم ومصالحهم فقط .

كان موسى بن بغا الكبير في طبرستان في مدينة الري ، عند مقتل المعتز ، حيث أرسله المعتز للقضاء على تمرد علوي قام به (الحسن بن زيد) ، وقبل مقتل المعتز وصلت رسالة من قبيحة أم المعتز إلى موسى تطلب منه العودة فورا إلى سامراء بسبب تطور الأحداث هناك ، وكانت في نيتها أن يرجع موسى بن بغا لمساندة المعتز ، بعدما استولى صالح بن وصيف على مقاليد الأمور ، فلبى طلبها بعد استلامه الرسالة ، وقبل ان يخرج موسى بن بغا من مدينة الري متوجها إلى سامراء علم بمقتل المعتز ، ونتيجة لتطور الأحداث في سامراء ، وجد موسى نفسه ورجاله مفروضا عليهم إعلان الولاء للخليفة الجديد المهتدي⁵⁰⁶.

استولى صالح بن وصيف على أموال الكتاب وممتلكات المعتز وأموال أمه قبيحة، وأصبح لديه قوة اقتصادية كبيرة الى جانب قوة العسكرية. وكان تفرد صالح بن وصيف بالقيادة في سامراء ، وابتعاد موسى بن بغا عن الساحة ، سببا لتفرده بالأموال والنفوذ . وكان هذا التفرد سببا في نهايته حيث جذبت له الحسد والحقد من قادة الترك الآخرين ، وهو أيضا ما جعل موسى يرجع إلى سامراء لاسترجاع مكاسبه⁵⁰⁷.

عندما علم موسى بن بغا بما يملكه صالح بن وصيف من أموال تم الاستيلاء عليها من أملاك المعتز وأمه أراد لنفسه نصيبا منها ، وأراد الاستفادة من الحال الجديد ، وفي الوقت نفسه شعر صالح بأن من الخطر أن يسمح لأحد قوي أن يكون قريبا من الخليفة بما يعني محاولة منازعته في ما لديه من سلطات

⁵⁰⁴ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 562.

⁵⁰⁵ النويري ، نهاية الأرب ، 232/22.

⁵⁰⁶ ابن مسكويه ، تجارب الامم ، 4/ 221. ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 205.

⁵⁰⁷ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، 31/3. ابن مسكويه ، تجارب الامم ، 4/ 221.

وأموال ، وكان خروج موسى بن بغا من الري يمثل أكبر خطر عليه ، وكان عليه أن يمنع رجوعه إلى سامراء ويرى المؤرخون أن موسى بن بغا هو من أقوى صانعي القرار السياسي في عهد المهتدي⁵⁰⁸ .

أحس الخليفة المهتدي أن عودة موسى بن بغا إلى سامراء تمثل أكبر خطر على الدولة وعلى حدودها فأرسل له أبناء هاشم لإخباره بأوامر الخليفة ، وتذكيره بضرورة المحافظة على الثغور من الأعداء ، لكن موسى أصر على الخروج إلى سامراء وقال لن أعود أبدا حتى أصل إلى باب أمير المؤمنين. استغل صالح بن وصيف هذا الجدل بين الخليفة وموسى ، وحاول أن يحرك النفور في نفس المهتدي ضد موسى بن بغا وقال إن موسى لم يلبث أوامر الخليفة وأعلن تمرده⁵⁰⁹

وهنا بلغت الأمور أسوأ ما تكون ، حيث لم يستطع المهتدي الإمساك بزمام الأمور بسياسة الحسنة وأخلاقه الطيبة ، وهنا رفع الخليفة المهتدي يديه للسماح ودعى على موسى بن بغا ودعى للمسلمين ان يثبت الله اقدامهم على طريق الحق ويثبتهم معهم وبكى.⁵¹⁰ وهذا الدعاء يدل على مدى تمادي نفوذ الأتراك في الدولة وعدم سيطرة الخليفة عليهم .

عرف المهتدي منذ بداية خلافته أن ضعف الدولة جاء من سيطرة مجموعة من القادة الأتراك الذين لديهم طموح كبير في السلطة على مجريات الأحداث ، وكان في مخيلته التفكير في التخلص من هذه المجموعة ومما ساعد الخليفة على هذه المحاولة والتفكير بها هو الانشقاق الذي حدث في الجيش بين الجنود والقادة الصغار وبين القادة الكبار الذين استولوا على كل شيء في الدولة ، من أموال ونفوذ ، من دون إعطاء الجنود الصغار حقوقهم أو حتى رواتبهم ، مما أثار غضبهم واشتكوا للخليفة ، مما أعطى للمهتدي فرصة لضرب الأتراك فيما بينهم، لكن المهتدي لم يستغل الجنود الصغار ، وإنما أرد إيقاع النزاع بين القادة الكبار عن طريق التحريض.

⁵⁰⁸ Halil Şakir Hüseyin , *Cuhudü l-Abbasi el-Mühtedi fi l-Tesaddi li Saytarati –Türk h.255-256*, mecelle Adabi l-Mustansırıyye, 1987, sayı. 15, s498.

⁵⁰⁹ ابن مسكويه ، تجارب الامم ، 4 / 221.

⁵¹⁰ ابن مسكويه ، تجارب الامم . 4 / 222.

تمادت سلطة الأتراك في عهد المهتدي ، ولم تكن بعيدة إخفاقات الخلفاء السابقين من القضاء على أكبر القواد الأتراك من أمثال إيتاخ وباجر ، وفي عهد المهتدي ذاع صيت موسى بن بغا ، وبايكباك ، وصالح بن وصيف ، واستولى هؤلاء على مرافق الدولة ، وأخضعوا الخليفة لهم⁵¹¹ .



⁵¹¹ الكتاجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، 168. عمرفوزي، الخلافة العباسية السقوط والانحيار، 28/2-29.

القضاء على صالح بن وصيف التركي

في (12 محرم 256هـ/ 24 كانون الأول 870م) وصل موسى بن بغا سامراء ، وعندما علم صالح بن وصيف بمجيء موسى سامراء هرب واختبأ ، وأراد موسى بن بغا مقابلة الخليفة فذهب الى قصره ، لكن الخليفة المهتدي تأخر عليه طويلا ، فاعتقد موسى أن هناك مؤامرة ضده من قبل الخليفة وصالح ، فدخل على الخليفة مع رجاله وقيده ، وتم نهب جميع الأموال التي كانت في القصر ، وشاركت في ذلك مجموعة الشاكرية العسكرية. غضب المهتدي الذي أخرج بالقوة من قصر الخلافة إلى بيت ياجور من فعل موسى بن بغا ، وبرر موسى موقفه أنه لم ينوِ السوء أو الغدر بالخليفة ، وأنه جاء لحماية الخليفة فقط . وجدد موسى بن بغا ورجاله البيعة للمهتدي ، بعد أن أكد للمهتدي على عدم الغدر به ، ونبذ صالح بن وصيف من السلطة . وطلب موسى من الخليفة محاسبة صالح بن وصيف ، ووافق المهتدي⁵¹²

وأرسلوا لصالح بأن يظهر ، وطلبوا منه دماء الكتاب وإخراج أموال المعتز وأمه قبيصة ، قال صالح : إن الخليفة راسل موسى بن بغا في الخفاء من أجل العودة إلى سامراء ، وفي العلن من أجل عدم المجيء⁵¹³.

أراد صالح كسب القادة الأتراك إلى جانبه ، محاولا إخراجهم من السجن ، إلا أنه فشل في ذلك، وعلى العكس اتجه رجال صالح بن وصيف إلى الجانب القوي المسيطر من المعركة ، وهو موسى بن بغا مما دفع صالح أكثر إلى الاختباء⁵¹⁴ ، شعر موسى بن بغا أن اختفاء صالح وراءه الخليفة المهتدي ، فاجتمع القادة الأتراك بقيادة موسى بن بغا ، وأراد عزل الخليفة المهتدي ، ولما وصل الخبر الى المهتدي لبس سيفه، وأمر بدخولهم عليه ، وهددهم بأنه لا يخرج من القصر الا وهو متحنط ولا يعلم بمكان صالح بن وصيف⁵¹⁵

كان الخليفة المهتدي على علم بمصيره من خلال من سبقه من الخلفاء ، وقد بلغ بهم الامر إلى أن يستحلفوا الخليفة ، وكأنه متهم ، على عدم تستره على صالح بن وصيف . وقف القائد التركي بايكباك إلى جانب المهتدي معترضا على عمل موسى بن بغا وهدد بايكباك موسى قائلا له إذا قتلته فسأرحل

⁵¹² ابن الأثير ، الكامل، 6/214. ابن خلدون ، العبر، 3/372.

⁵¹³ المسعودي ، مروج الذهب ، 2/462.

⁵¹⁴ ابن مسكويه ، تجارب الامم، 4/236.

⁵¹⁵ ابن الأثير ، الكامل، 6/215.

إلى خراسان وأخبر المسلمين بما تقوم به هنا " 516 . وهذا دليل على أن قدوم موسى بن بغا إلى سامراء لم يكن بنية الثأر للمعتز ، بل لتقوية نفوذه في سامراء . وبرغم أن المهتدي كان حازما في رده ، ووقوف بايكباك إلى جانبه ، إلا أن موسى بن بغا ورجاله أصروا على خلع الخليفة ، ولم يجد المهتدي مساندا له من الجيش ، فقرر أخذ الدعم من الشعب في سامراء ضد موسى ورجاله ، وتمت كتابة الرقاع وتوزيعها في المساجد والطرق ، وكان ملخصها ان دعا الشعب الى الوقوف الى جانبه ومساندته ضد اعداء الدولة للتخلص ممن اراد السوء بالامة الاسلامية⁵¹⁷

خرج الموالي بالكرخ والدور ، وساروا إلى المهتدي مع عامة الناس ، حيث كان أثر الرقاع التي رماها للناس كبيرا في تضامن الشعب معه ، فوصلوا إلى القصر وأرادوا لقاء أمير المؤمنين ، فأرسل المهتدي أخاه أبا القاسم ، فسألهم عن سبب قدومهم ، فقالوا إنهم سمعوا أن موسى وبايكباك ورجلها يريدون عزل الخليفة ، وإنهم قد قرؤوا رقاعا بذلك كانت موجودة في المساجد والشوارع ، وإنهم على استعداد لحماية الخليفة بدمائهم . واستغل الموالي فرصة قريهم من أمير المؤمنين ، فشكوا تردي أحوالهم وتأخر رواتبهم ، وأن كبار قوادهم استولوا على كل شي من الأموال والأراضي ، فقال لهم أبو القاسم: اكتبوا ماتريدون في كتاب أنا أنقله للخليفة.

وكان رد الخليفة المهتدي عليهم بالشكر والامتنان لموقفهم المساند له ووعدهم بتلبية جميع طلباتهم حتى وان اقتضى الامر ان يقصر على اولاده ويعطي لهم جميع مستحقاتهم المالية . فرح الموالي بجواب الخليفة ، وأنهم قدموا إلى باب الخليفة لطاعته ، فإذا لبي حاجاتهم فسوف يدافعون عنه ويقطعون رأس من يعترضه وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا به موسى بن بغا وبايكباك وباقي القادة ، هكذا كان جوابهم على رسالة الخليفة التي حملها أبو القاسم⁵¹⁸ .

⁵¹⁶ ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 215. ابن خلدون ، العبر ، 3/ 373.

⁵¹⁷ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 444. ابن مسكويه ، تجارب الامم ، 4/ 234.

⁵¹⁸ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 444-446.

دامت المراسلات واللقاءات بين رجال الخليفة والجنود الموالي عدة أيام وحدث خلاف ونزاع بين الجنود الموالي مما أدى الى شقاق في صفوفهم ، فاستغل موسى بن بغا هذا الخلاف والفوضى ، وأدخل أربعة آلاف جندي إلى سامراء . وخصّصت مكافأة قدرها عشرة آلاف قطعة ذهبية لمن يخبر عن مكانه وأخيرا استطاع رجال موسى القبض على صالح ، بعد أن دلّ على مكانه صبي صغير ، فقطعوا رأسه ، وحمل جسمه مقطوع الرأس على ظهر حمار ، وكان هذا في سنة (256هـ / 870م) ، وقد تم تعذيبه قبل قتله وأبلغ عن مكان الأموال التي خبأها ، وطيفَ برأس صالح شوارع سامراء ومنادٍ ينادي " ها هو مصير من يعارض سيده " ⁵¹⁹ .



⁵¹⁹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 454/9. ابن الاثير ، الكامل ، 6/ 219. السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 563.

7.2.4. مقتل القائد التركي بايكباك ونهاية عهد المهدي

يعتبر بايكباك من القادة الأتراك الأقوياء ، وكان له دور كبير في الصراع بين المعتز والمستعين على الحكم وساهم في تنصيب المعتز على كرسي الخلافة ، وعندما تولى المعتز الخلافة قربه منه ، وبعد فترة من الزمن اتفق بايكباك مع صالح بن وصيف على عزل المعتز والتنكيل به ، وبعد تولي المهدي الخلافة وقف الى جانبه مدة قصيرة ، ثم انحاز الى موسى ورجاله ، واتفقا على خلع المهدي ، وأحس الخليفة المهدي بخطر القادة الأتراك ومن محاولة الالتفاف عليه ، وعمل على الإيقاع بينهم ، فبعث برسائل إلى كلا القائدين بايكباك وموسى يأمر كل واحد بقتل صاحبه وتولي قيادة الجيش ، وكما يروي المسعودي عندما وصل المكتوب إلى بايكباك قرأه أمام موسى⁵²⁰

ويقال أن المهدي بعث بالمكتوب إلى بايكباك عندما كان مع موسى بن بغا لقتال مساور الشاري ، لكن بايكباك لم يكن متأكدا من صدق الخليفة وبدأ الشك يدخل قلبه ، وأخبر موسى بن بغا بذلك وقال له ان هذا الأمر مدير لهم وان المهدي يريد الإيقاع بينهم . وعرف الاثنان بخطة المهدي للتخلص منهما ، فاقترح موسى على بايكباك الذهاب إلى سامراء وتقديم ولاء الطاعة له وإقناعه بأنه جاء ليوقف معه ضد موسى ورجاله حتى يتم ترتيب موعد قتله⁵²¹ .

وبالفعل تم العمل على هذا الاتفاق ، ولما وقف بايكباك أمام المهدي غضب المهدي غضبا شديدا لأنه لم ينفذ أوامره وترك العساكر هناك وجاء ، وكان تبرير بايكباك لما فعل أن عسكر موسى بن بغا أكثر من جيشه ، ولا يستطيع التمكن منهم ، وأنه عاد ليسانده ومن معه ، فأمره الخليفة بترك سلاحه ، ودخوله دارا ومنعه من الاتصال بأحد من رجاله أو أهله ، ولما قلق الأتراك على سلامته حاصروا الجوسق لتحريره ، فطرح أحد المستشارين المقربين للمهدي وهو صالح بين يعقوب فكرة وهي إن مكانة أبي مسلم الخراساني أكبر من مكانة هذا التركي عند أهله ورجاله ، ومع هذا فقد رمى أبو جعفر المنصور رأسه على

⁵²⁰ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 454/9. المسعودي ، مروج الذهب ، 4 / 150.

⁵²¹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9 / 456 ، ابن مسكويه ، تجارب الامم ، 4 / 245.

رجاله ، فلو عملت هكذا لخضع الجميع وسكتوا ، وأنت أشجع من المنصور وأهل لها ، ففعل المهتدي كما قال وأمر بضرب رأسه ، ورمى الرأس على الأتراك⁵²² .

لم يمر قتل بايكباك بهذه الطريقة بسلام ، إذ نشبت حرب بين المهتدي والأتراك ، وكان من الطبيعي أن يزيد غضب الأتراك على المهتدي ، وكان هو ينوي قتالهم ، وضمّ إلى جانبه جنودا من المغاربة والأشروسنية وغيرهم⁵²³

وخرج المهتدي إلى الجنود وهو معلق في رقبته مصحفا ، وكان على يمينه مسرور البلخي ، وعلى يساره ياركوج ، وكان المهتدي في الوسط ومعه عدد من الجنود الأتراك ، منهم سارتكين وطبايغو وغيرهم وكان مع المهتدي من الجنود ستة آلاف جندي ومن بينهم أترك ، وألف منهم من أصحاب صالح بن وصيف ، وبالمقابل كان عدد الجنود الأتراك عشرة آلاف جندي تقريبا ، وبعد القتال فرّ الجنود الذين كانوا مع المهتدي ، وترك الخليفة وحده ، فخرج المهتدي بيده سيفه واستنجد بالعامّة والشعب فلم يناصره أحد من الناس ، واتجه صوب السجن ، وكان يظن أن السجناء يقفون إلى جانبه ، لكنهم هربوا فدخل إلى بيت صاحب الشرطة " أحمد بن جميل " ولحق به الأتراك وأخرجوه ، وذهبوا به إلى الجوسق ، وتم حبسه عند أحمد بن خاقان ، ودعوه إلى خلع نفسه فرفض ، وكان هذا في (14 رجب 256هـ / 17 حزيران 870م)⁵²⁴ . وهناك رواية تقول إن الخليفة المهتدي قتل على يد ابن بايكباك⁵²⁵ . ورواية أخرى تقول إنه تم قتل الخليفة المهتدي على يد الأتراك ، بحجة أنه كان قد كتب بخط يده تعهدا إلى موسى بن بغا ، أنه لا يغدر بهم ولا ينقلب عليهم ، وبخلاف ذلك يكون ولاؤهم له باطلا ، ولهم الحق في اختيار خليفة بدّل عنه ، ومن هذا العهد استحلوا دم المهتدي وقتلوه ، وشهد شهود أنه لم يتعرض للتعذيب⁵²⁶ ظل

⁵²² الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 456 . الكتاجي ، اترك في نولفات الجاحظ ، 169.

⁵²³ الليلم ، نفوذ الاتراك في الخلافة العباسية ، 2/ 94.

⁵²⁴ ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 223.

⁵²⁵ ابن الجوزي ، المنتظم ، 15/ 383.

⁵²⁶ ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 221.

المهتدي في الحكم سنة إلا خمسة عشر يوما ، وكان في مدة حكمه في صراع مستمر مع القادة الأتراك صالح بن وصيف ، وبايكباك ، ومحمد بن بغا الكبير .

جاهد المهتدي في سبيل إرجاع هيبة الدولة العباسية إلى سابق عهدها ، والحد من تسلط الأتراك في الدولة ، واستعادة القيادة السياسية والدينية للخليفة ، حتى وصل الأمر به إلى أن قاتل بسيفه ، لكنه دفع ثمن ذلك حياته. وكان يرغب في نشر العدل بين الناس ومنع الظلم ، وكان في نيّته نقل مركز الخلافة إلى بغداد ، حيث تم نقل القطع والمواد الغالية من قصر الخلافة في سامراء إلى بغداد ، وتم بيع كثير منها بمبلغ ستة ملايين دينار ، ويذكر ابن الجوزي أنه أراد بهذا المبلغ تكوين جيش جديد يكون ولاؤه له ، أو توزيعه على الجيش من أجل كسبهم الى صفه⁵²⁷ .

بعد وفاة المهتدي تضاءل نفوذ الأتراك تدريجيا ، وقل نفوذهم في الدولة العباسية ، ويرجع ذلك لعدة أسباب ، منها أنه تم تصفية عدد من القادة الأتراك بسبب الحسد والغيرة مما يحدث في العادة بين القادة بسبب الصراع على السلطة ، وأدى هذا الى ضعف في كيان الدولة ، وكذلك فقدان العديد من رجال الدولة الأقوياء سواء كانوا عرب أو أتراك وعدم تعويضهم بقيادة مثلهم مثل وصيف وإيتاخ وأشناس وغيرهم وظل نفوذ الأتراك في تراجع حتى ظهور الأتراك السلاجقة من جديد إلى الساحة السياسية .

⁵²⁷ ابن الجوزي ، المنتظم ، 15 / 366.

3.4. خلافة المعتمد بالله (256-279هـ/870-893م) وانحسار نفوذ القادة الأتراك

نصب الأتراك أكبر أبناء الخليفة المتوكل ، أبا العباس أحمد بن المتوكل ، على عرش الخلافة قبل وفاة المهتدي بيومين في (16 رجب 256هـ/23 حزيران 870) ولقب بالمعتمد⁵²⁸ اجتمع الأتراك في بيت يارجوه التركي واتفقوا على تنصيب المعتمد الذي كان في السجن ، فأخرجوه وبايعوه بالخلافة ، وكان عمره خمسة وعشرين سنة⁵²⁹. وصف المؤرخون المعتمد ودولته بصورة واضحة ومركزة ، حيث اتفق ابن الطقطقي مع اليعقوبي في سياسة المعتمد وأخيه الموفق : كان المعتمد مستضعفا ، وكان أخوه الموفق بن طلحة هو المسيطر على أمور الدولة ، وتميزت دولته بأنها دولة عجيبة ، فيها شريكان للخلافة كان للمعتمد الخطبة والسكة والتسمي بأمير المؤمنين ، ولأخيه الموفق الأمر والنهي وقيادة الجيش ، وحماية الثغور ، وترتيب الوزراء والأمراء ، وكان المعتمد منصرفا للمذاة⁵³⁰ .

كانت خلافة المعتمد في بدايتها لا تختلف كثيرا عما سبقها من قبل ، حيث استمر تسلط الأتراك في الدولة فكان الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاكان في المركز ، وموسى بن بغا كان مائزلا ممسكا بأمور الجيش وأغلب الجيش تابع له في هذا الوقت ، إلا أنها لم تكن عنصر ضغط على الدولة مثل العهود السابقة⁵³¹ كان عهد المعتمد ثلاثة وعشرون عاما ويعتبر عهدا طويلا مقارنة بمن سبقه من الخلفاء ، ومما يميز عهد المعتمد أنه لم تذكر المصادر التاريخية أي صدام بين الخليفة والقادة الأتراك ، ولعل إمساك أبي أحمد قيادة الجيش هو السبب في ذلك الهدوء .

عندما أتى الأتراك بالمعتضد إلى الخلافة لم تكن لديه ميزة تذكر ، وكان الأتراك قاصدين بهذا الاختيار فقد كان ضعيفا ، يحب اللهو واللعب ، بعيدا عن مؤهلات القيادة ، لكن جرت الأحداث بما ليس على هوى الأتراك ، عندما أحس المعتمد بعجزه في إدارة البلاد ، ووقوفه مكتوف حيال ثورة الزنج التي أخفق الأتراك في القضاء عليها ، فبعث إلى أخيه الموفق الذي كان قد وقف الى جانب المعتز ضد المستعين

⁵²⁸ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9 / 474 . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 563 .

⁵²⁹ ابن الجوزي ، المنتظم ، 15 / 368 .

⁵³⁰ ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، 250 . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 2 / 481 .

⁵³¹ Ali Aktan, *Mutemid- Alellah*, Ahmed b. Cafer DİA , (İstanbul : 2006), XXI, 388.

وحاصر بغداد ، واستدعاه من مكة إلى سامراء وقلده إمرة الجيش العباسي ، وجعله يحارب الزنج بعد أن عجز الأتراك عن محاربتهم⁵³²

اشتهر الموفق بالشجاعة والعزم ، وكان الأتراك يهابونه ويخافون منه ، وكانوا هم السبب في إبعاده إلى عدة بلدان لأنهم خبروه في الحرب ضد المستعين ، ورأوا ما أظهره من شجاعة وعزم في الحرب فخشوا منه وحرصوا المعتز على إبعاده ففعل لهم ما أرادوا ، وكذلك في زمن المهتدي أُبعد أيضا إلى بغداد والبصرة ومكة المكرمة⁵³³ . خلال فترة المعتمد استمر القادة الأتراك في أنشطتهم وعملوا مع الموفق في وئام واتفاق ، وكان من قادتهم في تلك الفترة موسى بن بغا ، وموسى بن أوتامش ، وجولان التركي ، وإسحاق بن قنداجق ، وفيصل بن موسى بن بغا ، وكان لشخصية الموفق الدبلوماسية أثر سياسي كبير⁵³⁴ .

أعطى المعتمد أخاه الموفق كثيرا من الولايات ، كالكوفة ، وطريق مكة ، والحرمين ، واليمن ، وبغداد وواسط ، وكور دجلة ، والبصرة ، والأهواز ، وفارس ، وجعله ولي العهد بعد ابنه جعفر بن المفوض ، وقسم الدولة بينه وبين ابنه هذا⁵³⁵ كان ابن المعتمد المفوض ضعيف الشخصية متخاذلا ، ولهذا عزله المعتمد عن ولايه العهد في سنة (279هـ / 893م) وكان هذا بحضور القادة الأتراك والقضاة وكبار رجال المجتمع ، وعين ابن أخيه المعتز وريثا . وأعلن المفوض تنازله عن العرش⁵³⁶ ، وكان لشخصية الموفق الاستبدادية أثر بالغ في الحد من أثر القادة الأتراك ، ومن استغلالهم ، وتطاوهم على الخلفاء ، كما بدأ صراع الدولة العباسية في جهة أخرى مع أحمد بن طولون الذي استغل ضعف خلافة المعتمد.

⁵³² الملميم، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية ، 2/ 110 .

⁵³³ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9 / 492 .

⁵³⁴ Mustafa Demirci, *Siyah Ötke*, (Konya: 2005), s. 141.

⁵³⁵ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9 / 514 . المسعودي ، مروج الذهب ، 4 / 211 .

⁵³⁶ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 10 / 28 . ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية ، 256 .

1.3.4. الخلاف بين القائد الموفق وأحمد بن طولون

يعتبر أحمد بن طولون من القادة الأتراك الذين دخلوا في خدمة الدولة العباسية ،لقد عمل الخلفاء العباسيون على تعيين رجال يثقون بهم في الولايات البعيدة عن مركز الخلافة . فعين المعتز بايكباك واليا على مصر ، وجعل أحمد بن طولون مساعدا وخلفا له بعد ان كان أحمد بن المدبر متحكما في ولاية مصر فلما وصل ابن طولون مصر أمسك بزمام الأمور بقوة وبراعة ، وقد تميز ابن طولون بحسن السلوك والأخلاق والاستقامة ، ولما قتل بايكباك على يد المهتدي صارت مصر الى (ياركوج التركي) وكانت تربطة علاقة وطيدة بابن طولون ، مما جعل مركزه يكبر. أسندت ولاية مصر إلى ابن طولون ، وكان من أتقى ولاة الأتراك وأحسنهم ، وعمل على نمو الحضارة في مصر ، أحبه الناس وكان قريبا من الشعب والعلماء ، وتخير عن أعماله الشواهد التاريخية التي بناها ، ومنها الجامع الذي بناه في القاهرة . وكان أعظم والٍ حكم اعظم المدن التاريخية التي تنافس جميع القادة الاتراك على ولايتها⁵³⁷ .

بدأ العداء يطفو على السطح بين الموفق وابن طولون في عام (262هـ / 876م) وأراد الموفق عزل ابن طولون وإبعاده عن ولاية مصر لكن لم يكن لديه بديل عنه، حيث كان ابن طولون متحكما بإدارة مصر ، وله علاقات طيبة مع الحكام وأهل المناصب ، فلم يجزؤ أحد على منافسته ، أو الطمع بالاستحواذ على مكانه ، ويرجع سبب النفور الذي وقع بينهما ، هو قلة الموارد التي يبعث بها ابن طولون الى العاصمة حيث لم يقتنع الموفق بها ، فأرسل إليه الموفق رسالة يهدده بالعزل، وكان رد ابن طولون عليه بالزجر ، وقال إنه غير مؤتمر بأمره وليس له عليه سلطان ، لأن ولاية مصر تابعة لجعفر المفوض بن المعتمد الذي كان القسم الغربي من البلاد تابعا له⁵³⁸ .

لما بلغ الموفق ردُّ ابن طولون عليه غضب غضبا شديدا ، وأمر موسى بن بغا بسحب ولاية مصر منه بالقوة وأعطاها الى ماجور التركي ، ولما عجز ماجور عن ذلك ، خرج موسى بن بغا برفقة جيش كبير

⁵³⁷ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 173/1 .

⁵³⁸ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/ 501، ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 238.

الى الرقة ، وعندما علم ابن طولون بذلك اتخذ التدابير الحصينة لحماية ولاية مصر ، وبقي موسى في الرقة عشرة أشهر ، ثم رجع إلى العراق لقلة الإمدادات والأموال⁵³⁹ .

ويذكر البلوي من الأسباب المهمة التي استدعت هذا العداء ، أنه عندما كان الموفق يحارب صاحب الزنج أرسل الى ابن طولون في طلب المال لمساعدته في حربه ، وكان قد وصل ابن طولون في الوقت نفسه كتاب من المعتمد يأمره بعدم إرسال الأموال إلى الموفق ، وتحويلها إليه ، حتى لا يقوى أمر الموفق ولئلا يتمكن سلطانه أكثر ، فأرسل ابن طولون ألف ألف ومئتي ألف دينار إلى الموفق ، ولما وصل المبلغ إلى الموفق استهان به واعتبره قليلا جدا ، ولما وصل كتاب الموفق إلى ابن طولون غضب واستنكر تصرف الموفق⁵⁴⁰ . كان المعتمد حبيس القصر في سامراء ، حيث حجر عليه أخوه الموفق ، وقلص سلطاته ، ولم يعد يملك من أمره شيئا ، وبحسب ما يروي ابن الاثير والسيوطي : أن المعتمد ضجر من معاملة أخيه له فكاتب ابن طولون وطلب حمايته واللجوء الى مصر ، وكان رد ابن طولون على المعتمد بالترحيب والقبول وتعهده له بالحماية ، ولما علم الموفق بهذا أرسل إلى الخليفة إسحق ابن كنداج ، وأمره بإرجاع الخليفة المعتمد إلى سامراء ، ومنعه من الوصول الى مصر ، وإقناعه بالعودة إلى سامراء والوقوف إلى جانب أخيه الموفق وهو يحارب الأعداء ، وأن سفره إلى مصر سوف يُشْمِتَ بهما أعداء الدولة ، ويُضعف موقف الموفق ، وأنه إذا استمر في هذا العمل فسوف تزول الدولة⁵⁴¹ .

يروى البلوي القصة بدقة أكبر ، ويقول إن ابن طولون هو من بعث الى المعتمد وعرض عليه القدوم إلى مصر وتعهده بحمايته ، بعد أن علم بالظروف التي يعيشها الخليفة المعتمد ، ولما وصل الكتاب إلى المعتمد لم يخبر به أحد ، وقال إنه يريد الخروج للتنزه ، وخرج عليه إسحق لمنعه من الوصول الى مصر ، وكان المعتمد قد وصل بين الموصل وحديثة فأمسك بالمعتمد وجاء به إلى سامراء بعد الوعود التي قطعها له بحمايته ، وكان هذا في (شعبان 269هـ / شباط 883م)⁵⁴² ومهما يكن من الأمر فإن ابن طولون

⁵³⁹ الكندي ، الولاية والقضاة ، 217. ابن الأثير ، الكامل ، 6 / 269.

⁵⁴⁰ البلوي ، سيرة أحمد بن طولون ، 83 .

⁵⁴¹ ابن الأثير ، الكامل ، 6 / 328. السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 377.

⁵⁴² البلوي ، سيرة بن طولون ، 290 - 293.

أراد نقل مركز الخلافة الى مصر ، لما فيه من فائدة عليه ولإعلاء شأن دولته ، ومن محاسن هذا الأمر لو تم التحرر من دفع الضرائب والجبايات إلى العاصمة كل سنة ، ثم إن وجود الخليفة المعتمد في مصر سوف يدعم حكم ابن طولون ويعطيه الشرعية ضد أحمد الموفق⁵⁴³ .

ولما علم ابن طولون بما حلّ بالمعتمد استشار القضاة في إعلان الخلع في الموفق ، وأمر بلعنة على المنابر في خطب الجمعة في المناطق التابعة لابن طولون، في المقابل أعلن الموفق تمرد أحمد بن طولون ، ووقع عصيانه لسلطان الدولة. توفي أحمد بن طولون سنة (270هـ/884م) وقد ناهز الخمسين ، ودام حكمه ستة عشر عاما ، ودفن بمصر في المقطم⁵⁴⁴ وتمتعت مصر في حكمه بكل أنواع الحضارة والترف والعيش الكريم .

أما أبو أحمد الموفق فعلى الرغم من قوته وشجاعته ، وتمكنه من القضاء على ثورة الزنج في جنوب العراق ، والتي عجز جميع القادة الأتراك عن القضاء عليها ودامت قرابة خمسة عشر سنة ، إلا أنه عجز أمام الصفاريين والطولانيين ، وأدت الحملات الفاشلة التي قادها ضدهم ، إلى خسائر مادية كبيرة للدولة العباسية⁵⁴⁵.

⁵⁴³ العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، 133.

⁵⁴⁴ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 627/9. البلوي ، سيرة بن طولون ، 296-334.

⁵⁴⁵ Güzel , *Kafesteki Halifeler*, s.130.

2.3.4. انحسار النفوذ التركي ونهاية الخلافة في سامراء

بعد أن انبسط النفوذ التركي على الخلافة العباسية سنوات من العصر العباسي الثاني ، واستُضعف الخلفاء والوزراء ورجال الدولة ، وأمسك الترك بزمام الامور في أيديهم ، بدؤوا في عهد المعتمد بالتراجع والانحسار خصوصا بعد أن نقلت الخلافة من سامراء إلى بغداد سنة (276هـ / 890م).

ويمكن هنا أن نلخص أهم أسباب تقلص النفوذ التركي :

أولها ظهور حركات داخلية وخارجية مناهضة للدولة العباسية ، وكان لهذه الحركات دور في استنزاف الوجود التركي في الجيش ، حيث تراجع عددهم إلى عشرات الآلاف فقط ، ومن أهم هذه الحركات الحاسمة حركة صاحب الزنج في جنوب العراق . عملت هذه الحركة في اتجاهين ؛ أولهما إضعاف النفوذ التركي في الجيش العباسي ، لأن القادة الأتراك لم يتمكنوا من القضاء عليها ومواجهتها ، والثاني أنها أعادت السيطرة والقوة للقادة العرب ، متمثلة بأبي أحمد الموفق ، وكان قد أصبح القائد العام للجيش العباسي ، وكذلك الثورة الصفارية التي ألحقت بالأتراك خسائر كبيرة ، لكن ظلت الثورة السوداء في مستنقعات البصرة من أهم عوامل تقلص الهيمنة التركية.⁵⁴⁶

كان للصراع على السلطة بين خلفاء البيت العباسي، وكذلك منافسة القادة الأتراك لهم على السلطة آثار سيئة على الدولة وعلى الخلفاء وعلى القادة الأتراك على حد سواء ، كانت السنوات التسع التي سبقت عهد المعتمد من (247-256هـ / 862-870م) ، من أقسى الفترات التي مرت في تاريخ الخلافة العباسية ، بسبب تصاعد نفوذ القادة الأتراك ، وعزلهم وقتلهم للخلفاء ، حيث فقد الأتراك دعم الشعب وكثر أعداؤهم والمتربصون بهم ، لكن سعي الخلفاء الذين جاؤوا بعد هذه الحقبة للتقليل من هذا النفوذ والحد منه ، بمنزلة حجر الأساس للتخلص من هذا النفوذ التركي⁵⁴⁷.

⁵⁴⁶ المليم ، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية ، 2 / 135.

⁵⁴⁷ Muhammed Feyyaz İzzi ,el – Hilaf beyne I- Ceyş ve d- Devle fi Zilli I-Abbasi hilale Fetra h. 247- 334/ 861- 945, Ürdün Yermük Üniv. Basılmamış Yüksek Lisans Tezi 2001, s.95.

كذلك من الأسباب غير مباشرة في انحسار النفوذ التركي التنافس الذي حدث بين القادة الأتراك الصغار حيث تمتع كبار القادة بالثروة والأموال ، وعاني الصغار منهم والجنود من عدم سداد رواتبهم عدة أشهر مما ولد حالة من الحسد والاستياء ، وجعلهم يقفون إلى جانب الخليفة العباسي ضد رؤسائهم من الأتراك.⁵⁴⁸ خلت الساحة السياسية والعسكرية من قادة أتراك بارزين يقودون الجيش والدولة ، حيث تم تصفية كثير منهم إما بالتنكيل فيما بينهم كما فعل وصيف وبغا بأوتامش وباغر ، وإما بتصفية الخلفاء العباسيين لهم كما فعل المعتز ببغا الصغير ، والمهتدي ببايكباك ، والمتوكل بإيتاخ ، فقد تم التخلص من كبار القادة الأتراك ، ولم يبق في الساحة أحد ظاهر منهم. انتقل زمام أمور الجيش العباسي إلى أبناء البيت العباسي متمثلاً بأبي أحمد الموفق ، وبسبب شجاعته واستبداده بسلطة تمكن من إرجاع هيبة الخلافة ، وإيقاف النفوذ التركي عند حده ، كذلك قيام الخلفاء العباسيين ومنذ عهد المتوكل بإنشاء فرق عسكرية إضافية من غير الأتراك ، لصنع توازن في الجيش ، والوقوف بوجه النفوذ التركي.⁵⁴⁹

⁵⁴⁸ الطبري ، تاريخ الرسل ، 446/9.

⁵⁴⁹ الملميم ، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية ، 139/2-140.

3.3.4. فترة خلافة المعتضد (279 - 289 هـ / 893 - 902 م)

كان المعتضد من الخلفاء الأقوياء الذين يتمتعون بالشجاعة ورجاحة العقل والتصرف ، على عكس من جاء قبله من خلفاء هذه الفترة ، وقد اتبع سياسة إنعاش الدولة العباسية ، وعمل على إرجاع هيبتها ونفوذها ، واتبع سياسة داخلية وخارجية حكيمة ، برغم وجود القلاقل والتمردات في عهده ⁵⁵⁰ . كسب المعتضد حب الناس والعامه والجيش، بسبب الإنجازات والانتصارات التي حققها في حربه ضد صاحب الزنج ، وأصبح لديه قاعدة شعبية كبيرة ، في وقت كانت تمر الدولة العباسية فيه في أعسر أوقاتها، ولعل أهم الإنجازات التي قام بها المعتضد ضد الأتراك هو حبس القائد التركي (بكتمر بن طاشتمر) وهو مقيد ، وأخذ كل أمواله وممتلكاته ، وقد وقف الأتراك حيال ذلك دون أي ردة فعل خوفا منه . كانت مدة خلافة المعتضد قصيرة ، وبرغم ذلك عمل على مزيد من الإصلاح في إدارة الدولة وعمل على نقل مركز الخلافة من سامراء إلى بغداد ، وكان هذا بداية زوال سر من رأى . توفي المعتضد في (ربيع الآخر 289 هـ / نيسان 902 م) وانتقلت الخلافة إلى ابنه المكتفي بالله ⁵⁵¹ .

4.3.4. خلافة المكتفي بالله (289 - 295 هـ / 902 - 908 م)

تولى المكتفي الخلافة بعد والده ، وزادت في عهده التمردات ، وظهرت الحركات التي تسعى للانفصال مثل القرامطة والإسماعيلية والعبيدية ، فعمل المكتفي على قمعها وإزالة خطرهما ، وحافظ على هيبة الخلافة وكان عهده يتميز بالقوة ، وكذلك انحسار النفوذ التركي . دام حكمه ست سنوات ، وبعد وفاته دخلت الدولة العباسية من جديد تحت هيمنة النفوذ التركي حيث جاء المقتدر الذي اتصف بالضعف ، مما أتاح للأتراك استرجاع نفوهم ، وعادوا إلى طريقتهم في اختيار خلفاء ضعاف ، ليستمروا في تسلطهم على الدولة ⁵⁵² .

⁵⁵⁰ ابن الطقطقي ، افخري في الاداب السلطانية ، 256.

⁵⁵¹ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 40/10 .

⁵⁵² الطبري، تاريخ الرسل ، 40/10 . طقوش ، تاريخ الدولة العباسية ، 167.

اختار الأتراك صبيا لم يتجاوز الثالثة عشرة لكرسي الخلافة ، وهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد ولقبوه ب (المقتدر) ، وكلن يأتى بأمر مؤنس الخادم . كان مؤنس قائدا عسكريا من الطراز الأول ، وكان له تأثير كبير في إدارة الدولة، ولم يكن للمقتدر أي نفوذ أو سلطة ، حتى في تعيين الموظفين والوزراء ، إلا بموافقة مؤنس ورضاه ، وخلال فترة حكم المقتدر التي استمرت أربعة وعشرين سنة تم عزل مؤنس مرتين من الحكم ، وتمكن من العوده مرة أخرى ، إلى أن قتل المقتدر على يد رجال مؤنس في (27 شوال 320 هـ / 4 تشرين الثاني 932م) بعد صراع بينهما على السلطة⁵⁵³ .



⁵⁵³ ابن الأثير ، الكامل ، 74 / 7.

5. دور الأتراك في الحياة العسكرية في الدولة العباسية

قامت الدولة العباسية منذ بدايتها على أسس قوية ، ومقومات متينة ، وكان شعارها (دولة السيف والقلم) وقد اختصرت هاتان الكلمتان سياستها القوية ، فقد اعتمدت على مؤسستين مهمتين لقيام أي دولة ذات سلطان كبير ، وهي المؤسسة العسكرية رمز القوة من جهة ، ومؤسسة الكتاب والدواوين والوزير والجباية والمالية من جهة أخرى ، وكان عمل هاتين المؤسستين إلى جانب مؤسسة القضاء كلها تحت إمرة الخليفة العباسي الذي يملك السلطة الدنيوية ، والسلطة الدينية في آن واحد.⁵⁵⁴

وبمجيء الأتراك وانخراطهم في المؤسسة العسكرية والسياسية للدولة العباسية ، في عهد المعتصم أدى في بادئ الأمر إلى زيادة قوة الجيش ، فأوكل إليهم حمايته الشخصية ، وحماية قصره ، وفضلهم على باقي القوميات من الفرس والعرب ، وأسقط الجنود العرب من السجلات الرسمية للجيش ، وأدخل الكثير من الأتراك إلى الجيش حتى بلغ عددهم سبعين ألفاً ، مما زاد نفوذهم فيما بعد ، حيث ذهب ضحية تسلطهم كثير من الخلفاء ، وأولهم المتوكل الذي تأمر القادة الأتراك عليه وقتلوه.⁵⁵⁵

وكان لشجاعتهم وقوتهم البدنية التي امتازوا بها عن باقي الشعوب دور في تفضيل اختيارهم دون غيرهم فأكثر من شرائهم في سبيل تكوين جيش قوي أغلبه من العنصر التركي. كذلك كانت الدولة العباسية في عهد المعتصم بحاجة إلى تدعيم نفوذها العسكري وتقويته ، لأنه كان يجب أن تخوض الكثير من الحروب لمواجهة التمردات الداخلية والخارجية⁵⁵⁶. وكذلك دفعت قلة ثقة المعتصم بالفرس والعرب ، ومحاولته لإيجاد عنصر جديد لبناء جيشه ، وبطبيعة الحال كان المعتصم يميل للأتراك بسبب جذوره المتأصلة بينهم وتقاربه الفكري وحبه للقتال .

كان للجنود الأتراك دور مهم في الجيش العباسي لا يمكن إنكاره ، فقد كانوا اليد الضاربة للمعتصم ، يضرب بهم ومن خلالهم أعداء الدولة ، وشاركوا في الكثير من الحروب ، وحققوا انتصارات كبيرة كان من

⁵⁵⁴ الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، 59.

⁵⁵⁵ إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، 297/3.

⁵⁵⁶ شلي ، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، 120.

الصعب تحقيقها لولا وجود العنصر التركي ، وبرز منهم كثير من القادة الشجعان الذين أضافوا إلى الجيش العباسي الكثير ، ومنهم الأفشين الذي أصبح من المقربين للمعتصم خصوصا بعد انتصاره على بابك الخرمي ، وكذلك إيتاخ التركي الذي لا يقل أهمية عن الأفشين في شجاعته ، وأخذ مكانه مهمة في عهد المعتصم ، بالإضافة إلى القائد أشناس⁵⁵⁷ .

أحس المعتصم بشيء من الندم لإدخاله الأتراك إلى جيشه ، بسبب تمكنهم من الجيش ومن الدولة واعتُبر عهد المعتصم عهد الأتراك ، إلا أن الحقيقة التي لا تقبل النقاش أن جيش المعتصم حقق انتصارات لا مثيل لها بسبب الجنود الأتراك ، وأخضع له ملوك البيزنطيين وأذربيجان وتركستان وفرغانة وكابول ، الذين وقفوا على بابه طالبين الرضى⁵⁵⁸ .

شارك الأتراك قادةً وجنوداً في القضاء على حركة الزط بقيادة عجيف بن عنيسة ، والقضاء على حركة بابك الخرمي بقيادة الأفشين بن حيدر بن كاوس وجيشه ، وقد جعله فيما بعد أمير على الجبال وشارك معه الحرب إيتاخ التركي . وعندما فتح المعتصم عمورية بلاد الروم كان على رأس جيش كبير ، جعل فيه أشناس التركي في مقدمته ، وإيتاخ قائدا للميمنة ، وجعفر بن دينار على الميسرة ، وعجيف بن عنيسة في القلب . وكان الأفشين على رأس فرقة عسكرية كبيرة كتب عليه (عمورية) . زاد نفوذ الأتراك وتسلطهم في عهد الواثق ، وأعطى الواثق لقب (السلطان) للقائد أشناس التركي معترفاً له بجميع حقوقه العسكرية والإدارية ، وأعطاه ولاية الجزيرة وبلاد الشام ومصر ، وأعطى إيتاخ ولاية خراسان والسند ونتيجة هذه الصلاحيات المطلقة زادت سيطرت الأتراك على الدولة⁵⁵⁹ .

وفي عهد الواثق برز دور بغا الكبير ووصيف وأشناس في الجيش العباسي ، وخاض بغا حروبا ضد المتمردين من عرب الجزيرة العربية من بني نمير وبني فزارة ، وحقق انتصاراته عليهم ، وأخمدت هذه الحركات وبوفاة الخليفة الواثق سنة (232هـ / 847م) انتهت حقبة من أهم حقبة التاريخ العباسي وهو ما

⁵⁵⁷ الكتاجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، 123-135.

⁵⁵⁸ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 523.

⁵⁵⁹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9 / 124. ابن الاثير ، الكامل ، 18/6.

أطلق عليه المؤرخون العصر العباسي الأول. وكانت فيه الدولة العباسية في أقوى مراحلها ، ومر عليها أفضل الخلفاء العباسيين وأقواهم ، وبعدها دخلت الدولة العباسية مرحلتها الثانية وهي مرحلة متأرجحة بين الضعف والقوة. وكان رفض الوثائق لتسمية ولي العهد سببا أتاح الفرصة للقادة الأتراك تقوية نفوذهم وأصبحوا هم أصحاب القرار ، في تعيين الخلفاء وعزلهم بحسب ما يرونه مناسبا.⁵⁶⁰

تغيرت إدارة الدولة كثيرا ، وأصبحت تحكمها معايير مختلفة عن السابق ، وأصبحت السلطة السياسية للخليفة وإدارة الدولة تحت سيطرة القادة الأتراك ، وتفاقم هذا الحال بعد مقتل الخليفة المتوكل . يوضح الدوري حقيقة الوضع الذي كان حيث كان لمقتل المتوكل نقلة كبيرة في مجرى الأحداث في الدولة العباسية حيث عم الخلافة الفوضى والقلق ، وكان للأتراك دور في إحداث هذه الاضطرابات وسقوط مكانة الخلافة وهيبتها ، مما فسح المجال للأمراء للانفصال عن الدولة العباسية ، ومنها إيران ومصر ، وكانت الوزارة قد فقدت دورها الفعال في الدولة ، وبرزت في هذه الفترة التيارات الانفصالية الثورية.⁵⁶¹

وفي العصر العباسي الثاني الذي بدأ مع تولي المتوكل الخلافة سنة (232هـ / 847م) برز من القواد الأتراك وصيف ، وبغا ، وأشناس ، وصالح بن وصيف ، وبايكباك ، وسيما الدمشقي ، وباغر ، وأوتامش وموسى بن بغا ، وتفرد هؤلاء بالقرارات التي تخدم مصالحهم ، وبسطوا نفوذهم على الجيش والدولة ، ولم يكن اختيارهم للخلفاء بحسب ميزاتهم العالية والملائمة ، وإنما بما يضمن مكتسباتهم الشخصية ، ويبعد معارضتهم وييسر لهم التفرد بالسلطة⁵⁶²

وصار مركز الخلافة ضعيفا جدا ، وبات شكليا فقط ، ولا يمثل الرعية ، ووقف الشعب عاجزا أمام تسلط الأتراك وضعف الخليفة ، وكتب كثير من الشعراء يصفون هذا الحال ، حيث أهدرت حرمة الدولة والخلافة الإسلامية ، والسلطة الدينية⁵⁶³

⁵⁶⁰ طقوش ، تاريخ الدولة العباسية ، 162. ايوب ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، 99

⁵⁶¹ الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، 59.

⁵⁶² صلاح عبد الهادي الحيدري ، الادارة العباسية في فترة التسع سنوات ، (العراق:مجلة كلية الاداب ، جامعة البصرة

1981م)ع:43/19.

⁵⁶³ حسن أحمد محمود — أحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، (القاهرة: 1966م) ، 333.

علاقة العباسيين بالبيزنطيين

كان سوء حال الدولة العباسية في عصرها الثاني ، واستبداد القادة الأتراك وتسلطهم على الجيش والدولة وضعف هبة الخلفاء ، سببا في محاولة البيزنطيين الهجوم على بلاد المسلمين متخذين من ضعف الدولة فرصة لهم ، وفي سنة (238هـ / 853م) أغار البيزنطيون على سواحل مصر ، وغزوا (دمياط ، وتيس) واستباحوها وقتلوا وأسروا من أهلها ، ولم يستطع والي البلاد عنبسة بن إسحاق صداهم والوقوف في وجههم كذلك شن البيزنطيون غارات على شمال العراق ، وأسروا الكثير من المسلمين ، وخربوا المدن ، فقرّر الخليفة المتوكل إعداد العدة لأخذ الثأر منهم ، وكان دور القادة الأتراك بارزا جدا في هذه الحروب ، وكذلك الفتح بن خاقان ، وتمكنوا من الاستيلاء على مدينة لؤلؤة البيزنطية⁵⁶⁴ ولقد عمل بعض الخلفاء العباسيين في حروبهم مع البيزنطيين على استخدام سياسة مزدوجة ، وهي ضرب البيزنطيين والتخلص من القادة الأتراك في آن واحد ، للتقليل من ضغطهم على الدولة وتسلطهم ، فبعث الخليفة المنتصر وصيفا التركي إلى الثغور لمحاربة البيزنطيين ولإبعاده عن مركز الخلافة ، وكان هذا بوشاية من وزير المنتصر أحمد بن الخصيب ، وقد اصطحب وصيف جيشا كبيرا وكان معه مزاحم بن خاقان أخو الفتح⁵⁶⁵.

توغل وصيف التركي في بلاد الروم ، وبعد وفاة المنتصر والمستعين استلم المعتمد الخلافة سنة (256-279 هـ / 870-893م) وفي هذه الفترة تقلصت حدود الدولة العباسية إلى حدود الجزيرة والعراق ، وقوي البيزنطيون وتجددت الغارات على بلاد المسلمين⁵⁶⁶.

كان أحمد بن طولون مصدر قلق للبيزنطيين ، وقد عينه المعتمد على الثغور ، وكان البيزنطيون يهابونه ويتوددون له ويقدمون له الهدايا والهبات خوفا منه ، ويتحينون الفرص في الوقت نفسه من أجل الهجوم على البلاد الإسلامية ، فأغاروا على ديار ربيعة ، وواجههم أهل الموصل فأرجعوه على أدبارهم خاسرين وقام نائب ابن طولون بالرد عليهم وهجم على الثغور الشامية ، وعلى الأراضي القريبة من هرقل⁵⁶⁷.

⁵⁶⁴ لؤلؤة : وهي قلعة قرب طرطوس غزاها الملك المأمون وفتحها . الحموي ، معجم البلدان ، 26/4.

⁵⁶⁵ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 240/9.

⁵⁶⁶ إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، 240/3.

⁵⁶⁷ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9 / 250-255.

كذلك أعطت حروب العباسيين مع صاحب الزنج ، والقرامطة الفرصة للبيزنطيين للتوغل ولشن غاراتهم على بلاد المسلمين ، وتصدى لهم المسلمون بمساعدة القادة الأتراك ، وخسر البيزنطيون جميع حروبهم مع المسلمين وكانت خسائهم كبيرة ، وكان الروم دائما يطلبون الصلح والهدنة مع المسلمين ، وكان هذا في عهد المقتدر.⁵⁶⁸

كان أحمد بن طولون وابنه خمارويه أمراء على مصر ، ومصدر قلق للبيزنطيين ، إذ كان لهم دور مهم في رد الهجمات البيزنطية ، وتكبيدهم خسائر ملموسة ، وكذلك الأمير محمد بن طغج الإخشيد الذي واجه التغلغل البيزنطي ، ولم يكن الإخشيدون على نفس القدر من قوة الطولونيين.

عمل ابن طولون عند تسلمه ولاية مصر على تقوية جيشه ، وأعد السفن الحربية ، وبنى مدينة القطائع وعمل على الدفاع وتحصين الحدود الشمالية ، وكان يريد ضم بلاد الشام له ، وحماية ثغورها ، واعتبر أحمد بن طولون نفسه هو من حمى الدولة من الهجمات البيزنطية ، وكانت الظروف الى جانبه ، بعد وفاة موسى بن بغا ، وأماجور ، وفرغت الساحة له ، فتمكن من استحصال موافقة من الخليفة العباسي المتوكل على ولاية الشام . وفي عهده توحدت مصر والشام بما فيها الثغور ، وبدأ أحمد ابن طولون في حماية البلاد الإسلامية من الخطر البيزنطي.⁵⁶⁹

⁵⁶⁸ ابن الأثير ، الكامل، 7/ 147.

⁵⁶⁹ البيطار ، تاريخ العصر العباسي ، 292. حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي، 242/3.

الجيش العباسي ودور الجنود الأتراك فيه

عندما ألف المعتصم جيشه جعل فرقة من الجنود الأتراك فيه، واهتم بها اهتماما كبيرا ، ووفر لهم الاموال واستقطع لهم الأراضي ، لهم ولأسرهم ولأولادهم ، وأجرى لهم رواتب ثابتة ، بل لنسائهم أيضا ، وبالمقابل كان هؤلاء الجنود مخلصين له ولم يحدث خرق منهم في عهده ولا في عهد الواثق ، لكن بعد وفاة الواثق وبسبب عدم تعيين وريث للعرش ، اعتز الأتراك بأنفسهم وأحسوا بأهميتهم في الدولة ، ومن هذا العهد بدؤوا بالتمرد والاعتراض على أوامر الخلفاء ، وكان عهد المتوكل عهد صراع صامت بينه وبين الجند ، عندما خرج الجنود الأتراك عليه سنة (244هـ / 859م) وطالبوا بأرزاقهم وضربوه بالنشاب⁵⁷⁰

وبعد مقتل المتوكل مرت مدة أطلق عليها المؤرخون فترة التسع سنوات (247-256هـ / 863-870م) كان للقادة الأتراك دور بارز في إدارة الجيش والدولة ، وعندما ولي المنتصر وبعده المستعين ساءت الأحوال كثيرا ، وانشطر الجيش العباسي إلى جبهتين واحدة مع المستعين وأخرى مع المعتز ، وعندما ضيق المستعين على الجنود في أرزاقهم انتفضوا عليه وخرجوا من طوعه، وكذلك الحال مع الخليفة المعتز عندما تأخر عن دفع رواتبهم أربعة أشهر متتالية ولم يتمكن من إقناعهم فقتلوه . وفي خلافة المهدي خرج الجنود الأتراك أيضا محتجين على عدم دفع رواتبهم⁵⁷¹

ومن خلال ما تقدم نلاحظ أن الجنود الأتراك وقادتهم كانوا يعتبرون الوضع المادي ميزانا مهما في علاقتهم بالخليفة سلما وخصومة ، وكانت رواتب الجنود من أهم الأمور التي يجب على الخليفة أن يهتم بتأمينها وتوفيرها ، ليضمن بقاءه في السلطة أمام جشع الأتراك وتكالبهم ، خصوصا في فترات الأزمات التي كانت تمر بالدولة ، وهذا السبب كان وراء مواصلة تسلط القادة الأتراك على الخليفة وشؤون الدولة.

⁵⁷⁰ المسعودي ، مروج الذهب ، 115/4.

⁵⁷¹ ابن الأثير ، الكامل ، 7/ 97. ابن كثير ، البداية والنهاية ، 16/1.

عندما تكون الجيش العباسي في بداية عهد السفاح ، كان يعطي للجنود رواتب مرتفعة ، وذلك لحاجة الدولة للعساكر وتشجيعا للانخراط في الجيش ، وكذلك بسبب وفرة الأموال في ذلك الوقت ، وفي عهد المنصور تراجعت الرواتب بسبب استقرار الوضع في الدولة وعدم الحاجة للحروب ، والاهتمام بالعمران والبناء ، وفي عهد الامين والمأمون والحرب التي قامت بينهما ، عادت الرواتب بالارتفاع . وهكذا كانت رواتب الجند غير مستقرة تتبع الحالة العامة للبلاد⁵⁷²

ومنذ عهد المأمون وما بعده زاد عدد الجنود الأعاجم في الجيش لأنهم أقل أجرا، وبسبب كثرة استقدامهم إلى الدولة تم تقليل الرواتب، وزادت مشكلاتهم وضوضاؤهم ، ولم تكن خدماتهم أحيانا بقدر أذيتهم ، وأصبحت فيما بعد رواتبهم أهم عائق أمام الخلفاء وخاصة الجنود الأتراك ، ودافعا لتسلطهم في النصف الثاني من القرن الثالث ، والثلث الأول من القرن الرابع الهجري ، حيث زاد تحكمهم بالدولة ، ومطالبتهم بالأموال، فصاروا عبئا ثقيلا على الدولة ، وكانت الدولة تؤمن هذه الأموال من الضرائب المفروضة على الشعب ، وتولد كره شديد ضد الجنود الأتراك⁵⁷³.

لم يكتف الخلفاء بدفع الرواتب النقدية للجنود الأتراك ، بل كان هناك رواتب عينية ، وهي ما يسمى ب(الصلات العينية) فأعطى الخليفة الواثق لإيتاخ التركي أرضا على نهر القاطول ، وكذلك بغا الصغير كانت له إقطاعات ، ووُصِف التركي له ضياع في أصبهان والجبل⁵⁷⁴ وكانت لباجر التركي أراض في سواد الكوفة ، وأعطى المقتدر قائده مؤنس الخادم الضياع ، لكن هذا الحال لم يعجب الجنود الأتراك بسبب انقطاع أرزاقهم النقدية ، فكانت هذه الإقطاعات الأراضي يقابلها شح في رواتب الجند وأعطيتهم⁵⁷⁵

⁵⁷² صبحي الصالح ، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، (بيروت: دار العلم للملايين ، 1987م)، 497.

⁵⁷³ عبد الرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الإسلام ، (مصر: دار المعارف ، 1961م)، 291.

⁵⁷⁴ ابن الأثير ، الكامل ، 23/7. الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، (دار صادر، 1965م)، 43.

⁵⁷⁵ سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب والتمدد الإسلامي ، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر، 1938م)، 333.

لم يقتصر الجيش العباسي على العنصر التركي ، بل ضم عناصر أخرى كانوا من المرتزقة⁵⁷⁶، كل ما يريدونه هو المال فقط ، فيقومون بافتعال الفتن والمشكلات في الجيش إذا تأخرت أرزاقهم ، ويميلون إلى من يدفع لهم من القادة أكثر ، وكان جيش المستعين يضم المغاربة والفراغنة إلى جانب الأتراك ، وكان في هذا محاولة من الخلفاء للتخلص من ضغط الجنود الأتراك وثقلهم ، وهذا ما فعله الخليفة المعتز ، وكان هذا سبب قتله على أيديهم⁵⁷⁷



⁵⁷⁶ المرتزقة ، وهم المتطوعون الذين ينظمون الى الجيش كلما اقتضت الضرورة لذلك ، وفي اوقات الحروب والازمات ، ويأخذون رواتبهم اثناء خدمتهم فقط ، وتعطي عوائلهم رواتب نقدية او عينية . حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي، 3/289.

⁵⁷⁷ حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي، 3/289 .

1.5. دور الأتراك في الحياة السياسية في الدولة العباسية

تميز العصر العباسي الثاني الذي بدأ منذ عهد المتوكل سنة (233-248 هـ / 848-862م) بطابع الضعف والتخاذل بسبب تزايد النفوذ التركي ، وتسلطهم بأمور الدولة ، وتحكمهم بالخلفاء، وتنصيبهم وعزلهم ، وقتل من يشاؤون منهم ، وسمل أعينهم ، بحيث أصبح الخلفاء مكتوفي الأيدي ، بلا قرار أو سلطة أو تحكم في أمور الخلافة ، وتميزت الدولة بتدخل النساء في شؤونها ، وتنصيب الوزراء وعزلهم من قبل القادة الأتراك.⁵⁷⁸

ولى المتوكل أبناءه الثلاثة (المنتصر والمعتز والمؤيد) العهد من بعده ، وقُتل المتوكل نتيجة تقديم ابنه المعتز على المنتصر ، باتفاق المنتصر مع الأتراك مستغلين حقد المنتصر على والده بسبب تهميشه ، وانتقاده المستمر أمام رجالات الدولة ، ولم يستطع القادة الأتراك اغتيال المتوكل في دمشق دون اتفاقهم مع ابنه المنتصر، وعمل المنتصر على استبعاد أخويه المعتز والمؤيد من الحكم بتدبير من الأتراك ، خوفا منهم من الانتقام والمطالبة بدم أبيهم المتوكل⁵⁷⁹.

وهذا ما دفعهم إلى اختيار أحمد بن المعتصم (المستعين) لولاية العهد ، لكي يبتعدوا عن أبناء المتوكل والمشكلات التي تنجم عن ذلك ، ولما تولى المستعين الحكم سنة (248-252 هـ / 863-866م) وكانت الدولة ضعيفة ازداد تسلط الأتراك على الدولة ، وزاد نفوذ بغا الصغير وأوتامش وباغر ، وسرعان ما انقلب الأتراك عليه بسبب كثرة الإشاعات بأن المستعين يريد القضاء على الأتراك فسبقوه قبل أن يسبقهم ، وبعدها اندلعت الحروب الأهلية في عصره . وكذلك في عهد المعتز يقال إن المعتز كان لا يلد له نوم ولا يخلع سلاحه في الليل ولا في النهار خوفا من الأتراك وعلى رأسهم بغا الصغير.⁵⁸⁰

ولهذا لجأ المعتز إلى تقريب المغاربة والفراغة محاولة منه لاستبعاد نفوذ القادة الأتراك . لكنهم عاجلوه أيضا وتخلصوا منه ، بعد أن تذرعو بحجة رواتبهم فخرجوا عليه ، ومثلوا به وقتلوه.

⁵⁷⁸ إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، 252/3.

⁵⁷⁹ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 257/9.

⁵⁸⁰ المسعودي ، مروج الذهب ، 2 / 428.

ولما ولي المهتدي الخلافة سنة (255-256هـ / 869-870م) كان ورعا متدينا لا يعتبر من رجال السياسة الأقوياء ، فوقع تحت سيطرة موسى بن بغا فصار ألعوبة بيده ، وسرعان ما حُلِع وعذب ومات وكان يتشبه بعمر بن عبد العزيز ويرى المظالم. استخدم المهتدي برغم ضعفه الظاهر الدهاء والمكر في معاملة الأتراك ، وكان يسير على طريقين، الأول هو استرضاء رجال الدين والشعب وإحاطة نفسه بهم والثاني هو تفرقة صفوف الجيش وزرع الفتنة بين الأتراك⁵⁸¹ .

وعندما جاء الخليفة المعتمد سنة (256-279هـ / 870-893م) كانت توليته بمساعدة الأتراك حيث كان مسجوناً ، فأخرجه من الجوسق ونصبوه على العرش. قسم المعتمد دولته بين ابنه ابن جعفر الذي سماه المفوض وأعطاه البلاد الغربية وضم إليه موسى بن بغا ، فتولى حكمها بالنيابة عنه . وأعطى أخاه أبا أحمد طلحة البلاد الشرقية وسماه الموفق ، بعد ولايته لابنه المفوض ، ولذلك أصبحت الدولة في عهد المعتمد أكثر ضعفاً وخرجت السلطة من يده فعليا إلى يد أخيه الموفق.

وبعد وفاة الموفق سنة (278هـ / 892م) والمعتمد سنة (279هـ / 893م) استلم ابن الموفق أبو العباس أحمد ولقب بالمعتضد سنة (279-289هـ / 893-902م) ، وكان يطلق عليه السفاح الثاني لأنه تمتع بشخصية قوية ، وأصبحت الدولة في عهده تتمتع بالقوة ورجعت هيبتها ، وأعاد إصلاح الحالة المالية للدولة ، وأصلح نظام الري ونظام الضرائب.⁵⁸²

كان موت المعتمد والمعتضد طبيعياً بخلاف حال الخلفاء السابقين الذين قتلهم القادة الأتراك ، بعدها انتقلت السلطة إلى ابن المعتضد المكتفي بالله سنة (289-295هـ / 902-908م) كان المكتفي شديد التبذير والبذخ وفي نفس الوقت كان عادلاً بين الناس ويجلس بينهم للمظالم ، وأعاد كثيراً من الحقوق إلى أصحابها ، وبسبب الانتهاكات التي حدثت في عهد أبيه⁵⁸³

⁵⁸¹ ابن الأثير، الكامل، 7/83-84. المسعودي ، مروج الذهب، 4/120.

⁵⁸² الدوري، دراسات في العصور المتأخرة، 188 . حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي، 3/253.

⁵⁸³ حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي، 3/254.

جاء بعد المكتفي أخوه أبو الفضل جعفر بن المعتضد، ولقب بالمقتدر سنة (295-320هـ / 908-932م) وكالعادة قام الأتراك باختياره ، وكانت ميزاته التي يفضلها الأتراك صغر سنه ، فقد كان في الثالثة عشرة من عمره ، ليكون طوع أوامرهم ويحقق رغباتهم ، فالخليفة الذي يختارونه يظل لديه شعور بأنهم أصحاب فضل عليه في جلوسه على كرسي الخلافة ، فيصبح الأتراك أصحاب القيادة في الدولة وإدارة مرافقها بدون منازع أو مانع من أحد وبحسب ماتقتضيه مصالحهم الشخصية ، غير مبالين لمصلحة الدولة. تتميز عهد المقتدر بتسلط الأتراك كالمعتاد ، وبرزت شخصية تركية وهي مؤنس الخادم ، وكان متحكماً بالخليفة إلى حد كبير ، وكان المقتدر شخصية ضعيفة ، ودخل النساء في إدارة الدولة وكان رأيهن يُعمل به في سياسة الدولة ، لاسيما أم المقتدر التي كانت تسمى (السيدة) فكان الأمر والنهي بيدها⁵⁸⁴ .

⁵⁸⁴ ابن الاثير، الكامل، 201/7 .

1.1.5. هيمنة الأتراك على الوزارة والحجابه في الدولة

عمل الأتراك على الوصول إلى منصب الوزارة في خطوة جديدة من نوعها في عهد المنتصر ، ظنا منهم أنها تقود إلى مزيد من السيطرة على زمام الأمور ، وإحكام سيطرتهم على الخليفة ومن حوله ، وكانوا على جهل تام بهذا المنصب ، وبمدى خطورته وصعوبة إدارته ، كان القائد التركي أوتامش أول من بادر الى تولي هذا المنصب حيث عزل الوزير أحمد ابن الخصيب واستولى هو على المنصب ، وكان منصب الوزارة بالنسبة لأوتامش وسيلة لسرقة أموال الدولة وحيازتها لنفسه. ولكثرة ما استحوذ عليه من أموال أثار حسد من حوله من القادة الأتراك ، فتآمروا عليه وقتلوه وأخذوا أمواله، وكان نتيجة الاستحواذ على هذا المنصب من الأتراك ، أن ضعفت الوزارة ، وأصبحت بلا نفع ، وكان الوزير الذي يعتلي هذا المنصب يظل مكتوف اليدين لقصر بقائه في المنصب أولا ، وغير قادر على إحداث تغير في آلية عمل الوزارة ويهدد بالعزل والإقصاء إذا حاول ضبط الاموال ، أو منع الاتراك من التدخل في الوزارة⁵⁸⁵ لم يكن منصب الوزارة وحده الذي وقع تحت سيطرة الأتراك بل وقعت الحجابه أيضا تحت سيطرتهم ، لتضييق الخناق على الخليفة والتحكم به:

اعتلى إيتاخ منصب الحجابه للخليفة الواثق وبعدها للمتوكل⁵⁸⁶ وتمسك به وصيف في عهود عدة خلفاء منهم الواثق والمتوكل والمنتصر ، واعتلاه بغا التركي وموسى بن بغا للخليفة المستعين⁵⁸⁷ .

لم يخرج الأتراك خارج عاصمة الخلافة سامراء خوفا من ضياع نفوذهم ، وحفاظا على مكتسباتهم ، وراحوا يتنافسون فيما بينهم للوصول إلى مكانة أفضل من مكانة الخليفة ، وكانوا يرسلون من ينوب عنهم في الولايات ، وكان هذا سبب ضعف الخلافة ، وتحويلها من مركزية إلى لا مركزية ، واستغل كثير من عمال هذه الولايات الوضع وأعلنوا استقلال ولاياتهم⁵⁸⁸ .

⁵⁸⁵ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 2/294. الحيدري ، الإدارة العباسية ، 49.

⁵⁸⁶ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، 1/416.

⁵⁸⁷ يعقوبي ، تاريخ يعقوبي، 2/492.

⁵⁸⁸ الكندي ، الولاة وكتاب القضاة ، 212.

استعمل القادة الأتراك سياسة قاسية مع أصحاب الدواوين لاجبارهم على دفع الأموال ، وكانت لهذه الممارسات آثار سلبية راح ضحيتها العديد من الشخصيات المخلصة للدولة من أصحاب الدواوين ، ويروي الطبري أنه لما أراد المتوكل بناء الجعفرية سنة (245هـ / 859م) اقترح عليه نجاح بن سلمة التركي ان يترك له الامر بأخذ اموالا من اصحاب الدواوين يبني بها مدينته الجديدة ويزيد عن حاجته فأعجبت الفكرة المتوكل ودخلت نفسه وعرض عليه اسم عشرين رجلا .⁵⁸⁹ وعندما تدخل عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل نجا أصحاب الدواوين ، وكان ابن خاقان يكره القادة الأتراك بسبب تسلطهم في الدولة، وقد اشتهر عبيد الله بالتعفف والأخلاق ، ونال منصب الوزارة في عهد المتوكل والمعتمد ، واستبعده المستعين من بغداد وأرسله الى برقة وعاد الى بغداد بعد خمس سنوات⁵⁹⁰ .

كان لآل خاقان مكانة خاصة عند الخلفاء العباسيين ، وحظوا باهتمام وتقريب من الخلفاء ، فتولى من هذه الأسرة أربعة وزراء خلال سبعين سنة ، وكان أحمد بن خاقان وزيرا للمعتصم ، واتخذ المتوكل الفتح أخا ومقربا له ووزيرا ، وعينه المتوكل على ولاية مصر وإفريقية بدلا منه ، ومن كثرة تعلق المتوكل به وحبه له طلب من الشاعر البحتري أن يذكره في شعره تكريما له وحتى لا يفارقه حتى في الشعر . شيد الفتح بن خاقان قصرا من أكبر قصور سامراء وأطلق عليه (الجوسق الخاقاني) حيث سمي باسمه ، ثم قُتل الفتح في المؤامرة التي دبرت للمتوكل وقادها القادة الأتراك سنة (247هـ / 861م)⁵⁹¹ .

أنبت بذور التفكك والاضطراب قد أنحاء الدولة العباسية ، وكان لابد من حلول تنقذ الدولة من الانهيار ، وتردع الولايات المستقلة ، وتُرجع الدولة إلى سلطان المركزية ، وجاء تسلم المعتمد للخلافة مبشرا جيدا بنهوض الخلافة من جديد ، والخروج من محنتها مع اعتلاء المعتمد وأخيه الموفق الخلافة ، والحق أن الفضل يعود إلى الموفق في استعادة هيبة الخلافة ، والحد من النفوذ التركي ، بسبب شخصيته القوية ونفوذه في الجيش ، واستعادت الخلافة هيبتها عندما تسلم قيادة الجيش رجل عباسي⁵⁹² .

⁵⁸⁹ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 215/9.

⁵⁹⁰ خير الدين الزركلي، الأعلام، (بيروت: دار العلم للملايين ، د.ت)، 198/4.

⁵⁹¹ الطبري، تاريخ الرسل، 252 / 9.

⁵⁹² الحيدري، الادارة العباسية ، 66.

ازداد وضع الخليفة العباسي سوءاً في أوائل القرن الرابع الهجري ، بسبب عودة نفوذ القادة الأتراك ، وأصبحت الدول المستقلة أكثر خطراً على وحدة البلاد، وتزايد خطر علي بن بويه في فارس وكانت الري واصبهان وبلاد الجبل في يد أخيه الحسن بن بويه ، أما الموصل وديار بكر وديار ربيعة فكانت بيد الحمدانيين ، ومصر والشام بيد محمد بن طغج الإخشيدي ، وخراسان لنصر بن احمد الساماني ، وانتهى الأمر بمقتل المقتدر سنة (320هـ/ 932م) .

لم يكن الخليفة العباسي في هذه الفترة (نهاية العصر العباسي الثاني) يتمتع بنفوذ أو سلطة ، ماعدا ذكر اسمه في الخطبة ، ونقش اسمه على السكة ، وكان هذا لصالح القادة الأتراك ، من أجل بقاء ولاء الشعب للخليفة وأن يبقى واجهة أمام الجمهور ، ويظل الحكم في حقيقة الأمر للأتراك . وجاءت الأسرة البويهية وهم من الشيعة الفرس ، عندما دخل معز الدولة بغداد سنة (334هـ/ 945م) واستمر تسلط الأتراك . وبعدها جاء الحكم السلجوقي الذي بعث له الخليفة العباسي القائم بأمر الله لتخليص الدولة من البويهيين ، وبقي الخلفاء تحت سيطرة السلاجقة حتى سقوط بغداد سنة (656هـ/ 1258م)⁵⁹³ .

نلاحظ مما سبق أن تدهور الدولة العباسية وضعفها كان بسبب عوامل كثيرة ساهمت في هذا الضعف منها : مجيء خلفاء ضعاف الى الدولة ، واعتماد الدولة العباسية في سياستها على القادة الأتراك بشكل مطلق ، وعدم وجود توازن في قوى الجيش ورجال الدولة ، وافتقار الجيش إلى قادة عرب أقوياء، وتعاضم نفوذ النساء وتدخلهم في سياسة الدولة ، وسحبهم للأموال من خزينة الدولة ، مثلما فعلت أم المستعين وأم المعتز ، وبرغم كل العوامل حاول العديد من الخلفاء إيقاف النفوذ التركي ومنهم المتوكل والمعتز والمهتدي، لكن الظروف كانت أقوى منهم ولم يستطيعوا تحقيق ما عزموا عليه ، ومنها حرب المعتز مع المستعين ، ولجوء المعتز للأتراك لمساعدته ، وقد حاول المعتز تقريب المغاربة لضرب الأتراك ، لكن قوة الأتراك كانت أكبر ، وكذلك محاولة المهتدي للوقوف في وجههم بعدة طرق ، واستمالة الشعب الى جانبه ، لكنه كان أمام قوة أكبر منه ، وتخلي الشعب عنه فنالوا منه .

⁵⁹³ ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي، 254/3 .

2.5. دور الأتراك في الحياة الاجتماعية في الدولة العباسية

كان نسيج سكان البلاد في العصر العباسي منذ نشوء الدولة يتكون من العرب (المصريين واليمنيين) والفرس من الخراسانيين، الذين كان لهم دور كبير في تأسيس الدولة العباسية، واسند اليهم الخلفاء العباسيون الكثير من المهام واعتمدوا عليهم وأقصوا العرب عن الدولة، وكانت نتيجة هذه السياسة أن نشبت حرب في البيت العباسي بين الأمين والمأمون، وفي الأصل كانت هي حرب بين العرب والفرس على السلطة، وفي أيام الخليفة المعتصم ظهر الأتراك واستكثر المعتصم منهم، وكذلك من المغاربة، وكان المسلمون ينقسمون إلى سنة وشيعة، وفي المجتمع طوائف من أهل الذمة ومنهم النصارى واليهود وكان العساكر الأتراك يميلون إلى المذهب السني، وكان الشعب يتمتع بحياة فيها قدر كبير من التعايش السلمي⁵⁹⁴

أما فئات المجتمع في العصر العباسي الثاني في الفترة من سنة (232-320هـ / 846-932م) فكانت تتكون من أربع فئات رئيسية (العرب، الأتراك، المغاربة، الفرس)، وعمد المعتصم على تقريبهم وإسناد الكثير من المناصب لهم، وإبعاد العرب عن المهام الرئيسية، وإسقاطهم من ديوان الجند. وكان نتيجة ظهور الأتراك في مسرح السياسة أن توجهت الأحقاد إليهم، وهدأت الحرب بين العرب والفرس، لأن الأتراك أصبحوا محور السياسة العباسية⁵⁹⁵ وبحسب ماورد في كتاب ابن حنبل عن صفات الأقباط فإن ما يقدمه كل قوم لغيرهم هو تابع لأخلاقهم ولما يقدمونه للحضارة من فضل ومعركة، ويستطرد ابن حنبل عن قوم الأتراك وصفاتهم، فيقول إنهم أولاد ملك عظيم وسلالة عريقة وإنهم بعيدون عن التعصب الديني، ولهم قدر عال من الشجاعة والصبر في الجهاد، وفي أشكاهم صفات الأسود، ويصفهم بأنهم عريضي الوجوه فطس الأنوف، ومن صفاتهم أنهم لا يستمتعون بالشيء إلا إذا كان اغتصاباً أو استلاباً، وهذه صفات السباع الضارية⁵⁹⁶.

⁵⁹⁴ إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، 324/2.

⁵⁹⁵ إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، 324/2.

⁵⁹⁶ الوزير أبو العلاء بن حنبل، تفضيل الأتراك على سائر الأجناس، (خزانة محمد نزار الدباغ، د. ت)، 23-42.

وذكرت صفات من يتم فتح عمورية على أيديهم حيث قيل " شعورهم شعور النساء ، وثيابهم ثياب الرهبان " ، وكانت هذه صفات الأتراك وصدق القول ، وتم فتح عمورية على أيديهم في عهد المعتصم سنة (223هـ / 738م)⁵⁹⁷

ونتيجة استقدام المعتصم للجنود الأتراك تأثرت الحياة الاجتماعية في بغداد عاصمة الدولة العباسية ، وحدث هذا التغير بسبب أن هؤلاء كانوا شعبا بدويا لا يتمتع بمظاهر الحضارة ، وأهم ما يميزه الشجاعة في الحرب، ولم يكن يملك قواعد الثقافة والحضارة التي تقام عليها الدول المتحضرة ، ولا علم لأبنائه بالإدارة والسياسة⁵⁹⁸ لكن ما يتمتعون به من صفات عسكرية جعلهم يتقلدون المناصب في الجيش والدولة وقيل إنهم أكثر شجاعة من الخوارج ، لان صفات الخارجي العسكرية غير كاملة ، وصفات الجندي التركي كاملة ، وكانوا لا يحترفون الصناعة ولا التجارة ولا الطب على عكس أهل بغداد ، بل يحبون الغزو والحرب وركوب الخيل⁵⁹⁹

بدأت الدولة العباسية تغير صبغتها منذ عهد المعتصم ، ويطغى عليها الطابع التركي بعد أن كانت ذات أثر فارسي فيها رجال مثل أبي سلمة الخلال ، وأبي مسلم الخراساني ، والبرامكة ، وبني سهل ؛ فأصبح فيها أمثال أشناس والأفشين وإيتاخ وبغا الكبير وبغا الصغير ، وهم من حكم الجيش والدولة⁶⁰⁰.

في عصر النفوذ التركي كانت تسمى هذه الفترة بفترة القلق السياسي ، ولكن من الناحية الحضارية كانت فترة ازدهار وتقدم ، فقد اضمحلت العصبية القومية والدينية، وأصبح الشعب العباسي مرتبطا برابط الدين فقط ، وكان المجتمع يتكون من طبقتين فقيرة كادحة ، وأخرى مترفة مسيطرة على الدولة ،

⁵⁹⁷ الجاحظ ، رسائل الجاحظ مناقب الترك ، 1/16.

⁵⁹⁸ الدوري ، العصر العباسي الأول ، 135.

⁵⁹⁹ ميتز ، الحضارة الإسلامية ، 1/231.

⁶⁰⁰ أمين ، ظهر الإسلام ، 6.

كما برز في هذا العصر العلماء والشعراء والأدباء والمفكرون، أمثال الجاحظ وابن ماسويه والطبري وأبو تمام والبحري وابن حنبل والبخاري والترمذي⁶⁰¹.

ولقد كثر الترك في أيام المعتصم حتى ضاقت بغداد بهم ، فكانوا يركبون الخيل ويصدمون الأطفال والنساء والرجال والضعفاء ، لازدحام الخيل في شوارع بغداد ، فذهب أهل بغداد إلى المعتصم وقالوا له : "إما أن تخرج من بغداد فإن الناس قد تأذوا بعسكرك ، أو نحاربك ، فقال: كيف تحاربوني ؟ قالوا: نحاربك بسهام السحر . قال: وما سهام السحر ؟ قالوا: ندعو عليك . فقال المعتصم: لا طاقة لي بذلك" . وخرج من بغداد ونزل سامراء وسكنها ، وعاش بها من بعده كثير من الخلفاء وحكموا إلى أن خربت⁶⁰². ولما بلغ عدد جنود المعتصم سبعين الفا ، ووصلت ايديهم الى حرم الناس ، وفسدوا في بغداد قرر الخروج من بغداد وبناء عاصمة جديدة له ولجنده خوفا على جنوده من أهل بغداد فابتاع ديراكان لنصارى ، وخرج من بغداد سنة (220هـ / 835م) وسكن القاطول ، ووتقدم شيئا فشيئا حتى وصل سامراء ، وبدأ بالبناء سنة (221هـ / 836م) بنى المعتصم أول دار له ، وأمر عسكره بالبناء ، فبنى الناس بالقرب من داره حتى تصاعد البنيان وصارت من أجمل بلاد العالم ، وظلت من أجمل بلاد الدنيا منذ أن بناها المعتصم إلى نهاية عهد المنتصر⁶⁰³.

بنى المعتصم عاصمته الجديدة على نظم عمرانية وحضرارية ، فلم تكن مدينة للعسكر فقط ، واهتم باختيار سكان لعاصمته الجديدة ، وقسم المدينة الى مقاطعات منفردة ، فأعطى للأتراك أحياء منفردة بحيث منع اختلاطهم بالأجناس الأخرى ، واشترى لهم الجواري من التركيات للحفاظ على نسلهم ، وخصص للزوجات رواتب من بيت المال⁶⁰⁴

وكانت الجواري التركيات من أوائل الجواري اللواتي دخلن البيوت العربية منذ العهد الأموي ، فكانت أم الخليفة يزيد بن الوليد جارية تركية ، وفيما بعد في البيت العباسي تم الاستكثار منهن ، فكانت أم

⁶⁰¹ شاعر مصطفى ، دولة بني العباس ، 410/2.

⁶⁰² الحموي ، معجم البلدان ، 173/3.

⁶⁰³ الحموي ، معجم البلدان ، 175/3.

⁶⁰⁴ يعقوبي ، البلدان ، 66.

المعتصم والمكتفي والمقتدر جواري تركيات، وكانت السرايا التركيات شديداً الجمال يتميزن بجلاء العيون وصفاء البشرة ، مما دفع لإعجاب العرب واستحسانهم لهن ، وكن يلدن أولادا حسان الوجوه ، وكان فيهن أخلاق وسماحة، فأضافت هذه الجواري إلى الحاضرة العباسية الكثير من الفن والجمال في الأزياء والزينة ، وتركن بصماتهن في الملبس والمأكل وقواعد الإتيكيت⁶⁰⁵

ويقول الجاحظ إن الأتراك صاروا في الدولة العباسية مادة الاسلام وعونا للخلفاء وشعارا دون الآثار⁶⁰⁶ . وبعد أن تمكن الأتراك من السلطة في الدولة والإدارة والجيش ، وأصبحت كلها تحت أيديهم بدؤوا يتطلعون إلى الرقي بالعيش في حياة اجتماعية تناسب وضعهم الجديد ، بعد أن امتلكوا الكثير من الأموال والإقطاعات والجواري والعبيد ، وسكنوا السرايات الضخمة ، وأبدلوا من حياتهم وملابسهم وطريقة كلامهم وطعامهم ، وأصبحوا يعيشون حياة التمدن وابتعدوا عن حياة البداوة ، وكان لحياة العاصمة الجديدة في سامراء وبعدها المتوكلية أثر في تغير طباعهم⁶⁰⁷ ويقول المسعودي عن وصف الحياة الاجتماعية للترك في عهد المعتصم ألبس المعتصم الأفشين تاجا مرصع بالذهب وبالجواهر ، وإكليلا من الجواهر وألبس وشاحين ، وعمل المعتصم على زواج الحسن بن الأفشين بأترجة بنت أشناس من اجل اصلاح العلاقة بينهم ، وزُفّت إليه في زفاف ضخم لم يشهد مثله ، وكان هذا تكريم المعتصم للقادة الأتراك⁶⁰⁸ .

لم تكن سامراء مركز عاصمة للأتراك وحدهم ، ولم يكن الأتراك وحدهم العناصر غير العرب في الدولة العباسية والجيش بل كان هناك وحدات سكنية في سامراء خاصة بالفراغنة والأشروسية ومناطق خراسان ومناطق للمغاربة ، وأخرى فيها العرب ، وكل هذه العناصر كانت على عدم وفاق مع الأتراك بسبب تفردهم بالسلطة والنفوذ، قصارت هذه العناصر تشوه صورة الأتراك في المجتمع واخترع بعضهم أحاديث مكذوبة على لسان رسول الله تحذر من الأتراك وسوء أثرهم على الاسلام منها من يقول ان الأتراك اول

⁶⁰⁵ أيوب ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، 250. الدوري، العصر العباسي الاول ، 135.

⁶⁰⁶ الجاحظ ، مناقب الترك ، 1/ 292.

⁶⁰⁷ نادية حسني صقر ، مطلع العصر العباسي الثاني ، (السعودية : دار الشروق ، 1983م)، 154.

⁶⁰⁸ المسعودي ، مروج الذهب ، 4/ 59.

الاقوام التي تحارب امتي وادراج اوصافهم على انهم قوم عراض الوجهه صغار الاعين فطس الانوف⁶⁰⁹ . ولم يكن مصطلح الأتراك في تلك الحقبة يدل على تمايز عنصري ، حيث نلاحظ أن بعض المدن التي استوطنها الأتراك في خراسان بدأت تتحدث التركية بمرور الوقت ، وصار أغلب سكانها من الأتراك⁶¹⁰

وكان لتفضيل الأتراك على العرب أثر سيئ على الدولة العباسية وعلى المجتمع العربي ، حيث اندفع قادة عرب إلى عمل ثورات ضد الدولة لاستعادة نفوذهم وسلطتهم ، منهم القائد عجيف بن عنبسة الذي اتفق مع العباس بن المأمون للتخلص من المعتصم وجنوده الأتراك⁶¹¹ .

تشير المصادر التاريخية إلى أن المعتصم أحاط نفسه بالترك حتى من قبل أن يستلم الخلافة ، وهذا كان أيام إقامته في مصر فكان يرتبهم في وحدات عسكريه منظمة ، وبعد تسلمه منصب الخلافة بدأ يجمع أفراد الأتراك بشتى الطرق والوسائل وكان يتمتع بحرية كبيرة في هذا الشأن .

ومن خلال هؤلاء الأتراك دخل كثير من العادات والتقاليد التركية إلى البلاط العباسي ، ومن أهم هذه العادات ما يخص اللباس وتقاليد المراسيم ، والشارات التي كانت حديثة الدخول إلى البلاط العباسي⁶¹² . وكان الأتراك الذي استقدمهم المعتصم أكثرهم من الأيغور ، وكانوا مولعين بالأنشطة الفنية ، وقد عُثر على عدد من الصور المائية المنقوشة على الجص في سامراء ، وهي من أهم اللوحات التي صورت لنا الفن الأويغوري ، وكان هذا تأثيرا جديدا في الحضارة العباسية من قبل الأتراك⁶¹³ .

كما نقل الأتراك تقاليد عديدة إلى البلاط العباسي ومنها استخدام الكأس والمنديل شعارا للملك ، وهنا لابد أن نذكر أن إدخال التقاليد التركية على البلاط العباسي اقتصر على جلسات الشرب والمنادمة أي (الجلسات الخاصة) ، أما في المناسبات العامة والأعياد فكان شعار البلاط العباسي هو (البردة

⁶⁰⁹ الحموي ، معجم البلدان ، 23/2 .

⁶¹⁰ بدر عبد الرحمن ، الدولة العباسية ، 93 .

⁶¹¹ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 2 / 437 . إبراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، 66/2 .

⁶¹² عمارة ، البلاط العباسي ، 429 .

⁶¹³ خليفة ، فن التصوير عند الأتراك ، 80 .

والقضيبي والسيف) وبذلك تميزوا عن الخلفاء الأمويين بهذه الشارات وباتخاذهم الزي الرسمي⁶¹⁴. كذلك أدخل الأتراك إلى البلاط العباسي لباس القفطان أو ما يدعى القباء ، حيث إن القفطان هو زي الأعاجم⁶¹⁵. واستمر الخلفاء العباسيون في استخدامه حتى القرن الرابع الهجري ، فكان الخليفة يجلس في المناسبات الرسمية وعليه القباء .

وشارك الفنانون الأويغور في عمل الرسوم الجدارية في سامراء ، ومن خلال هذه الرسوم نكتشف التأثير التركي على البلاط العباسي ، ولم تقتصر التأثيرات على الرسوم واللوحات بل شملت لباس الخلفاء ولباس الحرس التركي المتمثل بالنطاق المتدلي منه شريط إلى الأسفل ، وكذلك استخدام الخلفاء العباسيين لرموز تركية تدل على القوة والسلطة متمثلة في الكأس والمنديل ، وصوّرت على قلادات ولوحات صغيرة عليها صور لخلفاء عباسيين ، وهذا يدلنا على قيمة التصوير وأهميته في العصر العباسي كذلك لا بد أن نذكر أنه لم يقتصر الأمر على الفنانين الأتراك ، فقد كان للفنانين الفرس دور في نقل جزء من الحضارة الساسانية إلى البلاط العباسي⁶¹⁶.

أراد المتوكل تغيير عاصمة الخلافة العباسية من سامراء إلى دمشق للتخلص من ضغط الأتراك ونفوذهم وأراد استرجاع قوة العنصر العربي في محيط الخلافة ، ومحو الصبغة التركية التي لبست الدولة العباسية وكانت سائده في سامراء ، ولهذا حاول إحياء عيد النوروز الفارسي سنة (245هـ/ 859م)⁶¹⁷

أصبحت مدينة سامراء والمتوكلية في زمن المتوكل مملوءة بالرقيق والجواري ، مما شجع الأهالي على اقتناء الجواري والعبيد ، فكان للمتوكل أربعة آلاف جارية ، وعدد كبير من الغلمان يحمون القصر بالتناوب⁶¹⁸

كان الرقيق عنصرا مهما من عناصر المجتمع العباسي ، وكانت سمرقند المورد الرئيسي لهؤلاء الرقيق ، حيث اعتُبرت سوقا مهما لهم حيث يتم جلبهم من بلاد ماوراء النهر ، وكانت تجارة الرقيق مهمة لتلك

⁶¹⁴ عمارة ، البلاط العباسي، 436.

⁶¹⁵ العلي ، المنسوجات والألبسة العربية ، 201.

⁶¹⁶ عمارة ، البلاط العباسي ، 442.

⁶¹⁷ صقر ، مطلع العصر العباسي الثاني ، 156.

⁶¹⁸ المسعودي ، مروج الذهب ، 122/4.

المناطق. كان البيت العباسي يعتبرون هؤلاء الرقيق منهم ، ولم ينظروا إليهم بنظرة دونية ، والدليل هو زواج كثير من الخلفاء من الجواري ، والكثير من الخلفاء كانت أمهاتهم جواري أيضا ، حتى إن الخلفاء العباسيين فضلوهم على العربيات⁶¹⁹ لعدة صفات تم ذكرها فيما سبق .

شهدت الدولة العباسية تمردات وثورات كثيرة بسبب تفضيل عنصر على آخر ، سواء كانوا عربا أو فرسا أو أتراكا أو خراسانيين ، ففي كل مرحلة من مراحل الخلافة العباسية كان يبرز عنصر معين ، وسيطر على إدارة الدولة وعلى الخليفة ويتفرد بالحكم ، مما يثير حوله البغضاء والحسد ومحاولة إزاحته ، فكان لتقريب المعتصم للأتراك أثر كبير على الساحة السياسية والاجتماعية للدولة ، وكان لقرار بناء عاصمة جديدة لهم ردود أفعال قوية من باقي عناصر المجتمع العباسي ، وعبروا عن استيائهم من الأتراك بغطاء ديني أو اجتماعي ، وهذا ما نشاهده واضحا في ثورة بابك الخرمي التي كان شعارها اجتماعيا لكنها في الحقيقة كانت ذات هدف سياسي بحت ، وكذلك حركة المازيار والأفشين ، ونستطيع إيجاد الحقيقة من قول الأفشين عندما بعث إلى المازيار ، ونلاحظ بما مدى التنافس والسخط بين العرب والفرس والمغاربة والأتراك ، فقال : " فإن خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيري ، ومعني الفرسان وأهل النجدة والبأس فإن وجهت لك لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة العرب والمغاربة والأتراك ، والعربي بمنزلة الكلب اطح له كسرة واضرب رأسه بالدبوس ، وهؤلاء الذئاب ويقصد المغاربة ، إنما هم أكلة رأس ، وأولاد الشياطين ويقصد الأتراك ، فإنما هي ساعة حتى تنفذ سهامهم ثم تحول عليهم الخيل جولة حتى يأتي آخرهم ، ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم "⁶²⁰ .

تمادى العنصر التركي في الدولة كثيرا منذ عهد المعتصم والمتوكل وما بعدهم ، وفاق نفوذهم نفوذ الخراسانيين في عهد أبي جعفر المنصور وعهد البرامكة في عهد هارون الرشيد. وبرغم قوة الخراسانيين والبرامكة ، إلا أنهم لم تكن سيطرتهم مطلقة في الدولة ولم يسيطروا على الخلفاء ، والدليل على ذلك أنه تم القضاء عليهم بسهولة ، ولم يكن عددهم يتجاوز أصابع اليد ، وكان للخلفاء العباسيين سلطة ونفوذ وكلمة هي العليا ، وسلطة الخليفة فوق سلطة من حوله ، والدليل ما فعله أبو جعفر المنصور مع أبو مسلم الخراساني⁶²¹ .

⁶¹⁹ متز ، الحضارة الإسلامية ، 1/268 .

⁶²⁰ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 9/159 . إبراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، 2/326 .

⁶²¹ أيوب ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، 102 .

لا يصح القول إن جميع الأتراك هم متسلطون وكان دخولهم للخلافة العباسية أمرا سيئا ومدمرا لها ، وأضعفوا من الدولة أكثر من نفعهم لها ، ولا يمكن التعميم بأن جميعهم جاؤوا لنفس الهدف ، ولم يخدموا الدولة العباسية ، بل على العكس كان الكثير من الأتراك غيورين وأصحاب شجاعة ودين وقاتلوا من أجل خدمة الدولة العباسية ، ونصرة الدين الإسلامي وتحقيق العدل بين الشعب ، وكان منهم أحمد بن طولون وبغا الكبير ، فكان أحمد بن طولون من أبناء المماليك الأتراك الذي أنشأ ولايته في مصر وكانت للدولة العباسية على نظام مثالي من العدل والرخاء والثقافة⁶²²

وكان أحمد بن طولون قائدا شجاعا وفيما للخلافة العباسية ، لم يساهم في المكائد التي يصنعها القادة الأتراك ، وكان على دين الإسلام وعلى مذهب أبي حنيفة النعمان ، واهتم بالفقه والحديث. كان قريبا من الناس محبا لهم وهم يحبونه ، كسب الشعب إلى جانبه من جهة ، ونال ثقة الأتراك والخليفة من جهة أخرى . وعندما خلع الخليفة المستعين ونفي إلى مدينة واسط ، حُير فيمن يرافق فأختار أحمد بن طولون⁶²³ . وعندما طلب منه قتل الخليفة المستعين بتدبير من القادة الأتراك في سامراء ، رفض وقال " والله لا يراني الله اقتل من في عنقي له بيعة "⁶²⁴ عمر أحمد بن طولون في ارض مصر ونشر فيها العدل وبني المساجد والمستشفيات والمباني الفخمة التي ماتزال موجودة حتى الان ، وشجع على جذب العلماء والفقهاء والأدباء . وكان أحمد بن طولون يرسل سنويا الأموال والهدايا والهبات الى مركز الخلافة ضرائب ورسومها ، أو تملقا أحيانا. وكانت دولته شبه مستقلة تابعة اسميا لمركز الخلافة وليس للخليفة سلطة وصلة بها سوى ذكر اسمه في دعاء يوم الجمعة على المنابر ، وكتابة اسمه على النقود ، وإرسال الجزية والأموال⁶²⁵ وبهذا نستنتج أن الأتراك لم يكونوا مدمرين للخلافة العباسية ، وبقيت الخلافة بعدهم مئات السنين ، وخدموا الدولة في كل المرافق ، باستثناء بعض من القادة حاولوا السيطرة على الخلفاء لتحقيق منافع شخصية ، ومن الطبيعي أن يكون لكل شعب أو مجموعة محاسنها ومساوئها ، وفيها الجيد وفيها السيئ

⁶²² للميليم ، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية ، 327/2.

⁶²³ المصري ، صلات بين العرب والفرس والترك ، 218.

⁶²⁴ للميليم ، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية ، 328/2.

⁶²⁵ إبراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، 295/3 . العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، 129.

ومن باب الإنصاف لا يصح التعميم على شريحة كبيرة من المجتمع العباسي كانت تخدم في الجيش وإدارة الدولة وفي مرافق أخرى من الحياة سنوات عديدة ، والحكم عليها بأنها لم تحقق أي إنجاز يذكر أو أنها كانت سببا في انهيار دولة استمر حكمها مايقارب 500 سنة أو أكثر . لقد ساهمت كل شرائح المجتمع العباسي من عرب وفرنس وترك في إقامة صرح هذه الدولة واستمرارها على النحو الذي وصلت أخبارها لنا ، حيث مرت الدولة العباسية بكل مراحلها الطبيعية التي تمر بها جميع الدول الكبرى والإمبراطوريات العظيمة ، من مرحلة التكوين إلى مرحلة القوة والنمو ، ومن ثم إلى مرحلة الركود والانحدار والضعف حتى سقوطها على يد جماعة أخرى تكون دولة جديدة .



3.5. رأي علماء الدين في تسلط الأتراك على الخلفاء العباسيين وتأثير ذلك على الحياة العامة

كان الفقهاء وعلماء الدين يعتبرون منصب الخلافة هو المنصب التشريعي للدولة ، وأن الخليفة هو خليفة رسول الله (ص) لذلك كان الخليفة يتمتع بالنصرة من الفقهاء ومن الشعب ، ويحيطون الخليفة بالحماية ويبعدون عنه الفتن والمؤامرات ، ولأن الفقهاء وعلماء دين كان موقفهم من عملية الاغتيالات التي كانت تقع للخلفاء موقف معارض ورفض، ومعارضة ما يحدث بعدها من القلاقل والفتن والاضطرابات ، ووقف علماء الدين مع الخليفة المهتدي عندما أراد القادة الأتراك خلعه وقتله ، وخرج الشعب بتحريض من علماء الدين دفاعا عن خليفتهم ، وقالوا " يامعشر المسلمين ، ادعوا لخليفتهم المضاهي لعمر ابن عبد العزيز أن ينصره الله على عدوه " ⁶²⁶

وكانت هذه الحادثة تدل على رفض الشعب ومن قبلهم علماء الدين لمبدأ قتل الخلفاء ، وعندما حاول المهتدي التشبث بشرعية الخلافة ، وإرجاع السلطة الى العرب ، وإبعاد الأتراك من الدولة وتحديد نفوذهم في الجيش ، كانت ردة فعلهم قوية حينما شعروا بتهديد المهتدي عليهم ، وبادروا إلى خلعه. ⁶²⁷ كان المهتدي يتحلى بصفات كريمة تميزه ، وكما يروي ابن الطقطقي من أحسن الخلفاء سيرة وسلوك ودينا ، ومن أكثر الخلفاء عبادة ، وكان يجلس للحكم بين الناس ⁶²⁸ .

وخلال الفترة (247- 334هـ / 862-946م) تعاظم نفوذ الأتراك كثيرا ، وزادت تدخلاتهم السياسية والإدارية في الدولة ، ولم يمتلك الخليفة من السلطات غير الاسم فقط ، وكان الخليفة ألعوبة بأيديهم ، ولذلك تمسك الخلفاء بالشرعية وحاولوا الوقوف في وجه نفوذ القادة الأتراك ، وإعادة هيبة الخلافة ⁶²⁹ .

⁶²⁶ ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية ، 242.

⁶²⁷ زينب خلف علي حراشنة ، موقف فقهاء العراق في السلسلة العباسية(198-334هـ/813-945م)، (القاهرة :جامعة ال

البيت ،قسم التاريخ ،أطروحة دكتوراه ،2003م)، 152.

⁶²⁸ ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، 242.

⁶²⁹ حراشنة ، موقف فقهاء العراق في السلطة العباسية ، 153.

عمل المتوكل على اتباع سياسة مختلفة عند تولية السلطة ، فقرب الفقهاء منه ورفع المحنة واطهر السنة واغدق على رجال الدين الاموال لكي يسندوه ، ومن اشهرهم احمد بن حنبل ، وشجع العلماء والشعب هذه السياسة⁶³⁰ ولكن سرعان ما اتفق الأتراك مع ابنه المنتصر على قتله ، وتولى المنتصر الخلافة ولم يحكم طويلا،وقد حاول خلفاء هذه الفترة التمسك بالشرعية.



⁶³⁰ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 347 . المسعودي ، مروج الذهب ، 84/4.

1.3.5. الفساد الإداري وتردي الحالة الاجتماعية والاقتصادية وموقف علماء الدين منه

تردت حالة الدولة إداريا وماليا واقتصاديا خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ، برغم مجيء خلفاء حاولوا النهوض بالدولة مثل عهد المعتضد ، وكان موقف الفقهاء منكرا للوضع الاقتصادي المتردي وكانوا يرفضون عطايا الخلفاء لهم ، ويرفضون سياسة الخلفاء في إطلاق يد القادة الأتراك بالدولة ومواردها وكانوا يعتبرون أن كل فرد من الشعب له حق بهذه الأموال المعتصبة ، ومنهم أبو حنيفة وأحمد بن حنبل ويرون من باب أولى أن يتم صرف هذه الأموال التي يستحوذ عليها القادة الأتراك على بناء المساجد ومساعدة الفقراء وتجهيز الجيوش⁶³¹

كان تأثير الفقهاء على المجتمع العباسي قويا من خلال الخطب والفتاوي ، وكانت علاقة الخلفاء جيدة برجال الدين ، ويرجع هؤلاء إليهم عند الحاجة إلى إصدار الفتاوي النافعة في أمور الدولة ، ومن القضايا التي احتاج المعتصم فيها إلى فتوى قضية الأفشين⁶³² ولقد جمع لهذه المحاكمة القاضي والفقيه أحمد بن أبي داؤد⁶³³ ونائبه إسحاق بن إبراهيم⁶³⁴ ووزيره محمد بن عبد الملك الزيات⁶³⁵ الذي استجوب الأفشين في القضايا المنسوبة له ، وهي خروج الأفشين عن طاعة المعتصم ، وكان ينوي محاربة المسلمين ، وأنه ضرب إمام جامع ومؤذن لأتباعه بنيا مسجدا ، وتهم أخرى ذكرت سابقا ، وأمر المعتصم بحبسه وصلبه على باب في سامراء ، ثم أحرق⁶³⁶ .

⁶³¹ سلطان بن خالد حثلين ، الفقهاء والخلفاء ، (الأردن : دار عمان للنشر ، 2000م) ، 168-169.

⁶³² الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 263/9.

⁶³³ تولى القضاء في أيام المعتصم والواثق وبعض أيام المتوكل ، وكان يمتحن الناس بخلق القرآن . ابن كثير ، البداية والنهاية ، 319/10.

⁶³⁴ وهو ابن أخ طاهر بن الحسين وصاحب الشرطة في بغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل . الطبري ، تاريخ الرسل ، 310/9.

⁶³⁵ وهو شاعر ووزير لثلاث خلفاء المعتصم والواثق والمتوكل قتلة المتوكل سنة 233هـ . ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، 94/5.

⁶³⁶ ابن الأثير ، الكامل ، 62/6 . يعقوبي ، تاريخ يعقوبي ، 477/2.

ساهم الفقهاء وعلماء الدين في الدولة العباسية في إرشاد الناس ودعم مؤسسة الخلافة وسلطة الخليفة عن طريق الخطب الدينية التي كانت تلقى كل يوم جمعة أو في الأعياد الرسمية والمناسبات الدينية، وكان يتم من خلالها توعية الناس وحثهم على دعم الخليفة باعتباره سلطة دينية ودنيوية ، واحتاج المتوكل إلى دعم رجال الدين أثناء منع القول بخلق القرآن وإعادة الاعتبار لأهل السنة ، وجمع الفقهاء وطلب منهم إيضاح الأحاديث النبوية التي تدعم موقفه وترد على المعتزلة⁶³⁷ وكانت خطوة موقفه لإنهاء هذا الجدل وغلق بابيه .

وكان الخليفة يعقد المجالس الخاصة من أجل مناقشة أحوال البلاد مع الفقهاء ، وكيفية صد الهجمات التي تتعرض لها البلاد من الحركات المتمردة بين الحين والآخر ، منها الفارسية والتركية التي كانت تستهدف الإسلام والعروبة أولاً، والدولة والخليفة في نفس الوقت، كذلك كان الخلفاء يعقدون المجالس الخاصة مع الفقهاء وعلماء الدين من أجل تولية ولي للعهد ، والحصول على الشرعية الدينية له ، وكان هذا يتم بحضور القادة الأتراك وموافقتهم في أغلب الأحيان⁶³⁸

عمل الكثير من الخلفاء العباسيين على تقريب رجال الدين لهم ليكونوا مستشارين لهم في قضايا الدولة الإسلامية ، ومن هذا ماعمله الخليفة المأمون في مسألة خلق القرآن ، والخليفة المعتصم الذي حاول تقريب أحمد بن حنبل له، وهذا مافعله الواثق. وبرغم ما فعله المتوكل من تقريب الفقهاء وإعطائهم منزلة قريبة وعامة الناس معهم ، إلا أنه لم يتمكن من الحد من سيطرة القادة الأتراك والقضاء عليهم ، وكذلك برغم كل الدعم الذي أخذه من رجال الدين والشعب ، فقد تأمروا عليه وقتلوه عندما أحسوا أنه يشكل خطراً عليهم ، واستمروا في سياستهم ضد الخلفاء وبقاء من يرون أنه يساعدهم على تحقيق أهدافهم وخلع من يقف بوجههم ، وفي نفس الوقت عرف الخلفاء أن تقريب الفقهاء لهم يدعم نفوذهم ضد الأتراك ، وهذا ما قام به الخليفة المهتدي في كسب دعم الشعب عن طريق الفقهاء للتخلص من القادة الأتراك⁶³⁹

⁶³⁷ ابن الجوزي ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، (تحقيق عبد القادر الغامدي ، 2016م)، 250.

⁶³⁸ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 478/1 .

⁶³⁹ حراشنة، موقف فقهاء العراق في السلطة العباسية، 179 .

وقد اهتم الخلفاء العباسيون بالبعد الديني كثيرا في سياسة الدولة ، وكان كل خليفة يستلم السلطة يعد الشعب بإقامة العدل والمساواة ، لكن وجود قوى خارجية مثل القوى التركية حال دون تحقيق أهدافهم ، وكثرة المشكلات والتمردات ، كان له دور في عدم تحقيق ماكان في نيتهم .

كان موقف رجال الدين مختلفا فيما بينهم ، حيث وقف قسم من علماء الدين إلى جانب الخلفاء ودعموهم ، والقسم الآخر كان ضد سياسة الخلفاء وضد سياسة تقريبيهم للأتراك ، والقسم الثالث فضل أن يكون محايدا وبعيد عن السياسة ⁶⁴⁰.

وفي عهد الخليفة المعتصم ، كان المذهب السني هو المذهب المسيطر في العاصمة العباسية في سامراء وكان الأتراك حاضرين ومسيطرين على السلطة هناك فأصبحوا على المذهب السني وما زالوا على هذا المذهب إلى هذا اليوم ، وأيد هذا التمدد اضطهاد الخلفاء العباسيين للشيعية ، فاعتنق الأتراك المذهب السني ⁶⁴¹.

وكان للفقهاء دور في اختيار الخلفاء وإعطاء الشرعية لهم ، أو إعطائها لولاة العهد ، وكان تأييدهم مهما لكي يكون للخليفة قوة ودعم من الشعب ، وبالتالي يضمن ولاء العامة وتأييدهم ، ولكي يقول الخليفة إنه وصل إلى منصب الخلافة باختيار السلطة الدينية المتمثلة بالفقهاء ، ومن السلطة الدنيوية المتمثلة بالشعب ومن خلال كل ما ذكر يتبين لنا مدى أهمية السلطة الدينية في إضفاء الدعم لسلطة الخلافة ⁶⁴² كان لتصرف القادة الأتراك مع الخلفاء من قتل وخلع وسمل أعين ، له آثار سيئة على موقف رجال الدين منهم ، خصوصا عندما كانوا يجلبون الشهود المزيفين على أن الخلفاء لم يعذبوا ولم يسجنوا وأن موتهم كان طبيعيا ، وكان الأتراك يدعون أن القضاة يشهدون على ذلك ، مما زاد الوضع سوءا ضدهم ⁶⁴³.

⁶⁴⁰ حراخشة ، موقف فقهاء العراق في السلطة العباسية ، 177.

⁶⁴¹ زيدان ، تاريخ التمدن ، 193/4.

⁶⁴² حراخشة ، موقف فقهاء العراق في السلطة العباسية ، 171-173.

⁶⁴³ اللميلم ، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية ، 97/2.

الخاتمة

سعى البحث إلى تسليط الضوء على الموالى وتحديد الأتراك منهم في الدولة العباسية ، وعلى بيان أوضاعهم السياسية والاجتماعية في الدولة العربية الإسلامية منذ العصر الجاهلي (ما قبل الإسلام) وإلى نهاية العصر العباسي الثاني سنة (320هـ / 932م) باعتبارهم عنصرا أجنبيا دخل الإسلام حديثا ، ووجدت أنه لم يُنظر لهم بعين العنصرية قط ، ولا أنهم أناس غرباء عن الدولة ، بل على العكس تماما فقد اعتمد عليهم الخلفاء وأوكلوا لهم المناصب الإدارية والمواقع الحساسة في الجيش والدولة ، ونالوا مكانة مميزة بين الشعب وحظوا بامتيازات حُرِّم منها العرب أنفسهم ، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن المجتمع الإسلامي كان محكوما بالإسلام وتعاليمه من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه يشير إلى أن الخلفاء كانوا يعتمدون في اختيارهم للقادة على أسس عسكرية وعلى توفر عناصر القوة والمهارة والذكاء والشجاعة بغض النظر عن الجنسية والعرق ، وهذا طبعا يُحسب إلى جانب الخلفاء وليس ضدهم ، لأن الهدف كان من وراء هذا هو النهوض بالدولة العباسية وتقويتها ، وهكذا أعطى الخلفاء المناصب إلى من يستحقها ، وإلى من يستطيع تحمل مسؤوليات النهوض بالدولة .

ومن الأمور التي استنتجت من هذه الدراسة أن وجود الموالى في الدولة العباسية لم يقتصر على الأتراك وحدهم ، وإن كان الأتراك يمثلون الطبقة الكبرى منها منذ عهد أبي جعفر المنصور أي منذ بداية تكوين الدولة ، وازداد وجودهم شيئا فشيئا إلى عهد المعتصم الذي استكثر منهم ، وزاد في استخدامهم من بلادهم الأصلية في أشروسنة وبلاد ما وراء النهر .

وكان سبب تواجدهم بكثرة في عهد المعتصم يعود إلى أن المعتصم كان قائدا مقداما ورجل دولة وعسكريا من الطراز الأول ، فكان سبب اختياره لهم ما يتميز به الأتراك من شجاعة وقوة بدنية لا توجد في الأجناس الأخرى ، وكان المعتصم يتميز بالصفات الجسمانية نفسها ، فالأتراك أخواله فلذلك أدخلهم إلى الجيش العباسي واستخدمهم في الحروب التي خاضها ضد المتمردين على الدولة العباسية ، وحماية حدودها من الهجمات الخارجية التي كانت قد بدأت بوادرها منذ عهد هارون الرشيد ، ولأن هذه الهجمات كان شرسة فقد بدّل المعتصم القوة العربية والفارسية في الجيش بالأتراك

لفقدان الثقة بهم من جهة ، ولعلمه الجيد أن الأتراك وحدهم القادرين على القضاء على هذه التمردات والأطماع من جهة أخرى ، للأسباب التي سبق ذكرها .

وهنا لابد من التنبيه على معلومة مهمة لم يتطرق إليها المؤرخون والكتاب ، وهي أن المعتصم لم يكن لديه خيار آخر بعدما فقد الثقة بالعرب والفرس ، وكان لابد من إيجاد عنصر بديل يكون قويا ، ويستطيع أن يسحق النفوذ الفارسي الذي ظل متواجدا في عهد المعتصم والوائق ومن جاء بعدهم لكن بشكل بسيط وأراد المعتصم من هذا العنصر البديل (الأتراك) حماية الدولة الإسلامية العباسية وجعلها في مأمن من الطامعين .وبالفعل تحقق له ماأراد .

كذلك وصلت من خلال القراءة والبحث إلى حقيقة تجلت لي واضحة ، برغم محاولة بعض المؤرخين تشويهها ، وهي أن نفوذ الأتراك لم يكن في جهة الخطر على كيان الدولة العباسية أو في سبيل إضعافها والدليل على ذلك أن الأتراك في عهد المعتصم وهو عهد الذروة لم يكونوا مسيطرين على شيء من أملاك الدولة أو الجيش أو البلاط العباسي ، وبرغم كل الخدمات التي قدمها القادة الأتراك للدولة العباسية في عهد المعتصم إلا أن المعتصم قتل (الأفشين) وهو أحد أكبر القادة الأتراك وكان من المقربين إليه ، وحاكمه بعد توجيه تهم مشكوك فيها ، ولم يتردد المعتصم في إنفاذ حكمه فيه ، ولو كان للقادة الأتراك سلطة ونفوذ متغلغل لما تمكن المعتصم من قتله بسهولة .

وكذلك الحال في عهد الخليفة الواثق ، وحتى في عهد المتوكل الذي يعتبر عهد ضعف للخلفاء العباسيين ، إلا أن المتوكل قضى على إيتاخ التركي بيسر ، وهو من أحد أكبر القادة البارزين .

ولكن هذه الحقيقة لاتخفي أن المتوكل قُتل على أيدي القادة الأتراك بعد مؤامرة دبرت ضده وتم اغتياله ومن بعد مقتل المتوكل بدأ الأتراك بالتسلط على الخلفاء ، وبدؤوا يعينون من يرضونه خليفة ويقتلون من يقف عقبة أمامهم ، وهذا ليس بسبب قوة الأتراك ولكن بسبب مجيء خلفاء ضعفاء أتاحوا الفرصة للترك بالتدخل من أجل الحصول على امتيازات مالية وإدارية في الدولة. ومنذ عهد المتوكل بدؤوا يدخلون الحياة الإدارية بعدما كان وجودهم مقتصرًا على الجيش وحده .

وبقى نفوذهم متغلغلا في الجيش والدولة مدة تسع سنوات من تاريخ الدولة العباسية ، إلى أن جاء القائد أحمد بن الموفق في فترة خلافة المعتمد ، فحد من نفوذهم وتراجعوا إلى حدودهم السابقة ، ومما يلاحظ من هذا أن تسلط الأتراك على الدولة لفترة معينة كان نتيجة لغياب القادة العرب في الجيش أو في البلاط ومجيء خلفاء ضعفاء .

لم يكن الأتراك هم المذنبين الوحيدين فيما آلت إليه الدولة العباسية ، حيث تضافرت عدة عوامل سببت ضعف الدولة وانقسامها ، وقد ساهم الأتراك في جزء من هذه العوامل ولكن لا يمكن الحكم بهذا بإطلاق على جميع القادة الأتراك حيث برز منهم عدد من القادة يشار إليهم بالبنان ، قدموا للحضارة العربية الإسلامية إرثا لا يستهان به وماتزال معالمه شاخصة إلى يومنا هذا .

ومن باب الذكر لا الحصر القائد التركي أحمد بن طولون وبغا الكبير ، قدما خدمات جليلة للدولة العباسية ، وأسس ابن طولون أكبر دولة مستقلة في مصر تابعة للدولة العباسية ، وقامت الدولة الطولونية على أسس ثقافية وحضارية عظيمة ، وقدم ابن طولون خدمات اجتماعية وعمرانية كبيرة للشعب المصري وبنى المساجد والمستشفيات ، ولم يكن قاسيا مستبدا مع شعبه ، فأحبه الشعب والتف حوله ودعمه .

شارك الجنود الأتراك والقادة في دعم الجيش العباسي والدولة ، وشاركوا في حمايتها من أعدائها في كثير من المعارك ، وفي قمع التمردات الداخلية والخارجية التي تكالبت على الدولة العباسية ، وكان أكثر هذه التمردات ذا جذور إيرانية فارسية ، وكان للقادة الأتراك الأفشين وإيتاخ وبغا الكبير وبغا الصغير وأشناس دور رئيس في صد هذه الهجمات .

تم قتل العديد من الخلفاء على يد القادة الأتراك ، منهم المتوكل والمنتصر والمعتز والمهتدي ، وفي الوقت نفسه تم تصفية بعض القادة على يد الخلفاء مثل الأفشين وإيتاخ ، وكلفت هذه الصراعات كلا الطرفين خسائر كثيرة .

ومن خلاصة هذه الدراسة ظهرت أهمية الدول المستقلة التي تولدت نتيجة ضعف الدولة العباسية ؛ مثل الدولة الطولونية في مصر ، والطاهرية في خراسان والصفارية ، وكان لهذه الدول دور حضاري كبير حيث إنها وسعت رقعت الدولة العباسية وقدمت هذه الدول المستقلة تنوعا حضاريا وثقافيا كبيرا للدولة العباسية

كان من استنتاجات الدراسة أن موقف رجال الدين كان محايدا تقريبا ، برغم إصرار الخلفاء على تقريب علماء الدين منهم من أجل إضفاء الشرعية على حكمهم ، ولم نلاحظ من خلال المصادر وقوف رجال الدين موقفا حاسما تجاه أي من الحروقات التي تحدث في الدولة سوى من خلال بعض الخطب في المساجد ، وكان من المفترض أن يكون الاعتراض واضحا وظاهرا بشكل أقوى ، وهذا يرجع إلى خوف

رجال الدين وأنهم فضلوا الابتعاد عن السياسة ، وهذا ما نرجحه خصوصا بعد تعذيب العديد من علماء الدين كأحمد بن حنبل وغيره على يد الخليفة المتوكل في أثناء قضية خلق القرآن والمعتزلة . وقد عرف رجال الدين بقوة الأتراك ونفوذهم ، خصوصا بعد مقتل الخليفة المتوكل ، ولم يغب عنهم ضعف الخلفاء وأدركوا أن كفة الأتراك راجحة ففضلوا عدم الصدام معهم.



GENİŞLETİLMİŞ ÖZET

Türklerin Abbâsî Devleti içerisindeki askeri, siyasi ve sosyal etkileri İslam tarihinde önem arz eden konuların başında yer almaktadır. Bunun başlıca nedeni ise idari uygulamalarda siyasi yönden alışılmışın dışına çıkılmasıdır. Arap unsurunun hâkim olduğu Emevi Devleti bir “İrk Devleti” (Arap Devleti) kurmuş, devletin yönetimine Arap siyaseti egemen olmuştur. Bu süreç Beni Ümeyye Devletinin sona ermesine kadar sürmüş ve bu yıkılışla birlikte tek bir ırka güvenme ve bel bağlama fikri de sona ermiştir. Türkler, Abbâsî Devletinin Arap olan veya olmayan Müslüman diğer bütün milletlere kapılarını açmasıyla birlikte Türkler de siyaset sahnesine girme imkanı bulmuş ve bu durumu değerlendirmişlerdir.

Türk nüfuzunun Abbâsî Devletine olan etkisinin sınırlarını belirlemek amacıyla bu araştırma konusunu belirledim? Nasıl ve ne zaman başladığını, bu nüfuzu kolaylaştıran ve hızlandıran etkenlerin neler olduğunu ortaya çıkartmağı amaçladım. Özellikle Türk nüfuzunun devlete dâhil olma süreci olan (132 – 320 H / 750 – 932 M) zaman dilimini ele alarak bu süreç içerisinde Araplar ile Türklerin yakınlaşmasına neden olan bağları ortaya çıkartmak, o dönem için Türk tarihçilerinin yazdıklarını öğrenmek, Türklerin Abbâsî Devleti için gerçekleştirdikleri kazanımları, Türklerin siyasi, sosyal ve askeri hayata olan etkilerini gün ışığına çıkartmayı hedefledim.

Olayları sıralamada tarih programını izleyerek kaynakların ana sayılabilecek birçok eserin yanı sıra Arap kaynaklı olmayan tarihi kaynakları da inceleyerek bu eserler arasında bir kıyaslama yoluna koyuldum ve kimi zamanda bir birine bağlı olan olayları anlatım programına uygun olarak inceledim ve araştırma konumla ilgili olanları toplayarak gelişim sırasına uygun olarak bunlardan faydalanmaya çalıştım.

Bu çalışmamın en önemli yönü ve amacı ise İslam coğrafyasına yaşamakta olan toplumların ortak geleceklerini belirlemektir. Tarihimizde süre gelen olaylar bu coğrafyada tek bir unsurunun diğer unsurlar hesabına kalkınamayacağını göstermiştir. Bu kalkınma ve gelişme ancak Arap olan ve olmayan İslami ırkların birlikte olmalarıyla gerçekleşebilir. Ancak var olan ayrılıkların yüz yıldan beri devam ettiğini ne yazık ki günümüzde de devam etmektedir.

Bu çalışmamın diğer bir amacı ise, Türklerin Abbâsî Devletine girişleri dönemlerdeki durumlarını incelemek, halifeler ile kurdukları diplomatik ilişkileri belirlemek, Türklerin Abbâsî Devletinin savunmasına olan katkıları ve birden çok alanda gerçekleştirdikleri iş ve hizmetleri gün ışığına çıkartmaktır.

Abbâsî Devri, Abbâsî davasının başlangıcından itibaren Bağdat'ın (656 H / 1258 M) yılında Moğolların istilası ile düşmesi arasında geçen süre İslam tarihi ve medeniyeti açısından önem arzettiğinden dolayı İslam tarihi ile ilgilenen araştırmacılar tarafından farklı yönleri ile araştırma konusu yapılmıştır. Tarihi olayların iç içe girmesi ve çeşitliliğinden ötürü bu araştırmamda (132 – 320 H / 750 – 932 M) yılları arasında geçen zaman dilimini inceleme konusu yaptım. Bu dönem özellikle Türklerden oluşan kavimlerin (Mevalilerin) Abbâsî safına geçtiği dönemler olması itibarıyla birçok Arap tarihçi bu zaman dilimine Birinci ve İkinci Abbâsî Devri diye adlandırmıştır. Yine Türklerin hakimiyet devirlerine göre Arap tarihçilerine göre Abbâsî Devletinin Dört veya fazla devirlerden geçtiği kabul edilmektedir. Bu devirler çeşitli adlarla adlandırılmış olmakla birlikte her bir devir kendine özgü özelliklerle anıldı, kimi zaman halifelerin güç ve kuvvetiyle, kimi zamanda ise dış güçlerin devleti ele geçirmesi üzerine adlandırılmıştır. İleriki bölümlerde bu konuya geniş yer vereceğim, ancak bu çalışmamda Türklerin Abbâsî Devletinde ve ordusunda olan etkinlikleri, Abbâsî sarayına girişlerinin şekli, neden Abbâsî Halifelerinin Türklerden medet umduğunu, Türklerin Abbâsî Devletine olan katkıları, iç ve dış saldırılardan devleti nasıl koruduklarını ve Abbâsî Devletini bu saldırılara nasıl karşı koyduğu üzerine yoğunlukla ele alınmış ve diğer yandan Türklerin Devleti nasıl ele geçirdiğini, askeri, siyasi ve sosyal yönlerden nasıl karar sahibi oldukları da bu çalışmam içerisinde etraflıca araştırılmıştır.

Araştırmam zamanı ve olayların gelişimine bağlı olarak beş ana bölümde ele alınmıştır. Birinci bölümde; Türklerin kökleri, nereden geldikleri, ana yurtlarını ve özelliklerini kapsamaktadır. Türkler, tabiatları gereği olarak diğer kavimlere nazaran başka kabiliyetlere haiz olmuşlardır, hatta bütün Arap tarihçiler; Türklerin savaş meydanlarında sertlik ve güç sahibi oldukları, Orta Asya'da yetiştikleri bozkırların verdiği özelliklerden ötürü de sadece saldırı, savaş, av ve okçulukla ön kazanmış bir kavim oldukları üzerinde hem fikirlerdir. Türklerin sahip oldukları bütün bu sıfatlar kendileri için bir handikap teşkil etmemekle birlikte aksine daha sonraları haklarında olumlu düşüncelerin ortaya çıkmasına neden olmuştur. Abbâsî siyasetinin çalkantılı dönemlerinde bazı halifelerin kendi siyasi menfaatleri için savaş meydanlarında Türkleri kullanmaktan kaçınmamışlardır. Türklerin siyaset sahnesine girmeleri zayıflıklarından kaynaklanmamış aksine her zaman büyüklerine, amirlerine ve kendilerine güvenen kimselere olan bağlılık ve itaatleri neden olmuştur.

Türklerin İslam'a girmeleri ile birlikte davranış ve hayat tarzları bir hayli değişerek yeni inandıkları din sayesinde daha bir terbiyeli ve uysal olmuş, ırkçılık fikrinden uzaklaşmışlardır. Aslında Türklerin İslamiyet içerisinde varlıkları Peygamber Efendimiz (S.A.) zamanına kadar dayanmaktadır, birçok hadis-i şerif Türklerden bahsetmekte, Peygamberimiz bizzat Hendek Savaşında ve Ramazan aylarındaki ibadetlerinde Türk çadırını kullanmıştır. Peygamber Efendimiz (S.A.) yarı ömründen fazlasını ticaretle iştigal etmekle geçirdiğinden bu süreç içinde Türklerle direkt teması olduğundan onları yakından tanımakta idi. Türklerin varlıkları Râşid Halifeleri ve Emevi dönemlerinde az da olsa görülmektedir. Türkler Arap olmayan diğer kavimler gibi ilk başlarda İslam'a ve Müslümanlara korku ile yaklaşmış hatta bunları birçoğu Emevi Fetihleri zamanlarında İslam akımları dışında kalmıştır.

İkinci bölümde ise, Abbâsî davasının başlangıcı ve ne şekilde oluştuğu, Mevali olarak kabul edilen Türklerin bu davaya Horasanlı Farsların himayesi altında dolaylı veya dolaysız olan rolleri ile ilk defa Ebu Cafer El-Mansur döneminde devlete giriş şekilleri incelenmiştir. Abbâsî davasının ortaya çıkması ile birlikte birçok Türk şahsiyeti de kendini göstermeye başladı, bu şahsiyetler Abbâsî devriminin başlangıcından itibaren devlete katkıda bulundu, bunların başında Tarhan b. el-Cemmal ve Abbâsî davasını üstlenmiş olan ve aynı zamanda Yezid b. Muaviye'nin Irak valiliği sırasında Emevi Devletine hizmet etmiş olan Muhammed b. Sul, aynı şekilde Ebü Müslim-i Horasânî'ye en yakın olan ve güvendiği bir kişi olan İshak et-Türki isimi de öne çıkmıştır. Abbâsî Devleti aslında Horasanlıların omuzlarında tesis edilmiştir. Abbâsîler ilk kuruluşlarında dini kendi siyasi amaçlarına alet etmiş olduklarıdır, kendi siyasi davalarını din kisvesi altında yaymış, Fars ve Türklerden oluşan Mevalileri askeri hedeflerini gerçekleştirmek amacıyla kullanmışlar ve bunda da başarılı olmuşlardır. Abbâsî Devletin kurulması ve altın çağı olarak da adlandırılan Birinci Çağın başlaması (132 – 232 H. / 750 – 847 M.) ile birlikte Fars nüfuzunun devlete sızması başlamıştır. Birçok Abbâsî halifesi kendi hükümdarlığını güçlendirmek amacıyla devlet idaresi için Farslardan medet ummuş ise de ancak daha sonraları Farsların gerçek niyetleri anlaşılmış ve halifelerin de bunların tamah ve isteklerin bıkması olacak ki istekleri hiç bitmeyen Arap ve Fars olmayan yabancı kavimleri aramaya başlamışlardır. İşte tam bu sırada devlete ve halifeye destek olabilecek yeni unsur olarak Türklerin olabileceği düşüncesi ağırlık kazanmaya başlamıştır. Beklenildiği gibi Türkler başından beri devlette önemli rolleri üstlenmiş

ve halifelerin arzularını yerine getirmiştir. Abbâsî tarihinin derinliklerine indiğimizde ise Farslar ile Türklerin Arap toplumuna karşı olan bakış açısı ve ilişkilerinde birçok farklılığın olduğu görülmektedir, bunun başında Farsların aksine Türklerde ırkçılık ve ayrımcılık meyilleri olmayıp ter temiz fikirlere sahip insanlar olarak ortaya çıkmıştır.

Kaynakların hiçbirinde Birinci Abbâsî Halifesi olan Ebü'l-Abbas-es-Seffah devrinde Türklerin adı geçmemektedir, ancak bütün tarihçilerin, Türklerin Halife Mu'tasım devrinde Kafkasya'dan getirilerek kendilerine devlette ve orduda makamların verildiği üzerinde anlaşmıştır. Ancak yapmış olduğum araştırmada Türklerin devlete Abbâsî Devletine girmeleri ve devlete yakın olmalarına dair olgular Halife El-Mansur devrine kadar uzanmaktadır. el-Mansur devrinde adından çok söz edilen Türklerden birisi Hammad-et Türki isimli şahıstır, Mansur bu kişiye son derece güvenmiş, devlet sırlarına vakıf olmasını sağlamış ve kendisine sarayda önemli makamları vererek yanına yaklaştırmıştır. Tabi ki o dönemde meydana gelen olaylar Hammad'ın Halifeye yaklaşmasına ve güvenini kazanmasına vesile olmuş kendi gölgesiymiş gibi yaklaştırmıştır, bu yaklaşım daha sonra gelen diğer halifelere de örnek olmuş ve her birisi bir Türkü kendi gölgesiymiş gibi görmeye başlamıştır.

Burada şunu belirtmekte yarar görmekteyim o da Hammad El-Türki'nin devlete girmesi önceden hazırlanmış bir plan gereği olmayıp tamamen tesadüf eseri olduğudur, bunun kanıtı da sarayda bulunan Türklerin sayısı sınırlı olmakla birlikte bunlar büyük kısmı orduda hizmet vermekteydi. Halife el-Mansur'un Türklere karşı olan güveninin en büyük kanıtı olarak da veliaht olan el-Mehdi'ye vasiyetinde üç önemli hususa dikkat etmesini istemiştir bunlar; mal, mevali ve Dar-el Salam şehridir. Yine o dönemlerde kendini gösteren başka bir Türk de (Zübeyr Et-Türki) olmuştur, bu şahıs Ebu Müslim el-Horasaninin öldürülmesinden sonra meydana gelen ayaklanmaların bastırılmasında önemli bir rol üstlenmiştir. Yine Halife El-Mansur devrinde adı öne çıkan Türk komutanlardan birisi de Mübarek-et Türki'dir. Bu komutan Halifeler Mansur, Mehdi ve Hadi dönemlerinde en ünlü ve kuvvetli Türk komutanlardan birisi olmuş ve Halife El-Mehdi tarafından Hazar bölgesi valiliğine atanmıştır.

Abbâsî ordusunda çok sayıda Türk asker ve komutanın bulunduğu bilinmektedir, o dönemlerde İslam orduları yarım yüzyıl boyunca bir çok Türk şehir ve bölgelerini ele geçirmiştir. Halife el-Mansur ise Türklerin beden ve savaş kudretini

yekinen bilmekte idi ve bundan dolayı da Mevalilerden oluşan birliklere Türkleri de katmıştır.

Bu durumlar Halife Mehdi döneminde de pek değişmedi, zira Hilafet Makamını Babası Mansur'dan sonra (158 – 169 H. / 775 – 785 M.) devralmasıyla birlikte aynı şekilde babasının yolunu izleyerek Türkleri Arap ve Farslardan daha fazla yanına yaklaştırarak kendilerine devlette büyük görevler verdi. Halife Mehdi devrinde adından söz ettiren başka bir Türk komutan ise Şakir-et Türki olmuştur, bunun yanında Mübarek-et Türki'de yine adından söz ettirmiş ve El-Mehdi ordusunda ünlü komutanlardan birisi olmuştur. Türkler genellikle halifeye olan itaatkârlıkları, vefaları, bağlılıkları ve yiğitlikleri sayesinde halifelerin güvenini kazanmış ve yakınlık görmüşlerdir, hatta Halife El-Mehdinin baş korumasının bir Türk olması Türklere ne kadar güvenildiğinin bir kanıtıdır.

Güvenilir kaynaklardan edindiğimiz bilgilere göre burada adı geçen Türk şahsiyetleri incelemekle Türklerin o dönemdeki durumu hakkında kesin bir yargıya varmak mümkün değildir zira Türklerin varlıkları sadece bu iki veya üç şahsiyetle sınırlı olmasa gerek, hâlbuki tarih tarafından unutulmuş veya sehven de olsa adları anılmayan veya yeteri kadar üne sahip olmayan başka Türklerin de o dönemlerde varlıkları kesindir.

Halife Harün er-Reşid iktidara geldiğinde de (170 – 193 H / 786 – 809 M.) Saray içerisinde Türklere bir hayli güvenmiş ve birçoğuna önemli görevler vermiştir. Bunların başında Halife er-Reşide en yakın olan Türkler Farac-et Türki ve Mesrur et-Türki olmuş hatta posta, haberler ve haritaların idaresini Mesrur et-Türki'ye vermiştir. Bunun yanında yakın korumalığa Sabit-et-Türki'yi getirmiş ve başka bir Türk olan Farac er-Rahçi'ye önemli devlet görevleri vermiştir.

Halife Me'mun, kardeşi olan el-Emin ile üç yıl süren anlaşmazlıktan sonra tahta geçtiğinde Abbâsî Devletinin geçirdiği bunca olaylardan sonra Arap ve Farslara olan güveni sarsılmıştır. Me'mun (Mayraf) ta olduğu sürede kendisine bağlı, yanında duracak, iktidarda gözü olmayan ve başka bir şeylere itibar etmeyen yeni bir kuvvet kurmayı planladı, aslında Me'mun Horasanda bulunduğu sıralarda Türkleri yakından tanıma fırsatı bulmuş ve Türklerin çok yüksek askeri kabiliyete sahip olduklarını orada görmüştür. Asıl olanı da Abbâsî Halifelerinin Türklere bel bağlamalarının gerçek nedeni ise uzunca yıllar süren Arap kabile savaşlarının halen devam etmesi idi. Halife Me'mun kardeşi Mu'tasım'a Türk gençlerinin orduya alınması emrini vermekle

kalmayıp Türkleri yanına çekmek için yüksek meblağları ödediği de bir gerçektir, bazı hallerde bölge emirleri Türk askerlerini Me'mun'a hediye olarak Bağdat'a gönderirlerdi, bunların içerisinde Ahmed b. Tolun'un babası olan Tolun da bulunmaktaydı, bu zat kısa bir süre içerisinde Halife Me'mun'un güvenini kazanmış ve halifenin özel mülklerinin bekçiliği ile görevlendirilmiştir. Me'mun devri sadece Tolun ile sınırlı kalmayıp bun yanında birçok Türk komutan da kendini göstermiştir, bunlardan birisi de Afşin'in babası olan ve Aşrusna Emiri olan Kavus idi, Me'mun bu komutanların oğullarını da ihmal etmemiş yakınına alarak onlara önemli askeri ve idari görevler vermiştir. Me'mun devrinde ortaya çıkan ve daha sonra gelen Mu'tasım ve ileriki devirlerde de siyaset sahnesinde önemli rolleri üstlenmiş olan en parlak Türkler ise Afşin, Eşnas ve Boğa el-Kebir'dir.

Me'mun istediği gibi Türklerin orduya katılmalarını tam olarak sağlayamamış ve bu düşüncesinin gerçekleşmesine ulaşmamış fakat sadece belirli sayıdaki Türklere yetinmiştir ancak kendisinden sonra gelen kardeşi Mu'tasım bu fikri tamamlayarak uygulama safhasına koymuştur.

Üçüncü bölümde ise, Halife Mu'tasım'ın yeni inşa ettiği Başkent Samerra'ya Türk askerleri ile birlikte intikali ve Türklerin bu dönemde Abbâsî Devleti içindeki rolleri detaylı bir şekilde anlatılmış ve buna ilave olarak Mu'tasım'ın Türkler için Samarra'yi ne şekilde inşa ederek teslim ettiği, Türk unsurlarının gerek ordu gerekse devlet içerisindeki önemini ortaya çıkması ve Mu'tasım'ın muhalifleri ile olan savaşlarında Türklerin katkıları da ele alınmıştır. Abbâsî Devletinde en bariz olay ise Mu'tasım'ın (218 – 227 H. / 833 – 842 M.) tahta çıkması olmuştur. Mu'tasım gelir gelmez Türkleri etrafına toplamış ve kendisine büyük destek sağlamıştır, Afşin, Eşnas ve Boğa el-Kebir gibi komutanlar sayesinde Abbâsî ordusu büyük zaferleri kazanmış ve bundan sonra Türkler ordu içerisinde ilk saflarda yer almıştır. Mu'tasım'ın bu siyasetinin arkasında yatan asıl amaç ise İranlıları uzaklaştırmak ve Me'mun devrinde devlet içerisinde elde etmiş oldukları iktidarı ellerinden almak ve nüfuzlarını azaltmaktır, işte Mu'tasım devrinde Türklerin siyaset sahnesinde aktif bir şekilde görünmeye başladıkları döneme girilmiştir.

Türklerin iktidara girmelerini sağlayan ve onları kullanan ilk halife Mu'tasım'ın olduğu söylenebilir, bunun da bir tesadüf eseri olmayıp bir çok nedene dayanmaktadır. Mu'tasım'ın Türklere bel bağlamasının nedenlerinin başında Farslarla arasının açık olması idi. Aynı zamanda da Arapların savaşmak için yeterli bir unsur

olmadıklarını biliyordu ve aradığını Türklerde buldu, ancak Mu'tasım'ın bu siyaseti, geri plana atılmaları, yerlerine Türklerin getirilmesi Arapların hoşuna gitmeyip Mu'tasım'a karşı kin besleyip düşmanlıkla karşısına geçmişlerdir. Diğer nedenlere gelince, Abbâsî Devleti gerek Me'mun devrinde gerekse Mu'tasım'ın ilk günlerinde olsun birçok iç ayaklanmalarla çalkalanmış olması idi, bu ayaklanma ve ayrılıkçı hareketlerin en önemlisi Babek el-Hurremi, Zut hareketi ile Bizans'la olan dış problemlerdi. Bu hususlar Mu'tasım'ın Türkler ile Mağriblilere yanaşması ve devlet problemlerini bunlar kanalıyla ortadan kaldırmaya çalışmasına neden olmuştur.

Burada bir hususa işaret etmekte yarar vardır; o da Mu'tasım'ın annesinin Türk asıllı olmasıdır, Mu'tasım'ın Türkleri tercih etmesi, kendine yakın olarak hissetmesi ve onları kendine asker yapmasının nedenlerinden birisi de budur. Türklerin vasıtasıyla birçok Türk örf ve adetleri Abbâsî sarayına da girmiş oldu bunların başında elbise tarzları, merasim törenleri gibi, Mu'tasım kendi güvenliği, şahsi korunması ve ordusunun güçlendirilmesi hususlarında Türklere son derece güvenmiştir, hiç şüphe yoktur ki Mu'tasım'ın vücut yapısı, şahsi tabiatları ve kan bağının bulunması kendini Türklere yakın olarak görmekte idi ve onları dayıları gibi görür aynı fikirleri paylaşırdı. Aslında hiçbir halife Mu'tasım kadar Türklerin savaş ve at biniciliğine olan ilgileri kadar ilgi duymamıştır. Mu'tasım çocukluğundan beri Türklerle hep birlikte olmuş onlarda kendisine yakınlık ve koruma sağlamıştır, buda demektir ki Türkler Mu'tasım için yabancı veya yeni bir unsur olmayıp onlara yakın birisiydi. Mu'tasım dayıları olan Türklere özel bir ihtimam göstermiş ve o derece ki nesillerine muhafaza için Arap ve diğer kavimlerle karışmalarını yasaklamıştır. Türk kanının saf kalması diğer kavimlerle karışmaması ve kendi benliklerine muhafaza etmelerine özen göstermiştir.

Türk askerlerinin Mu'tasım ordusunda yer alan diğer askerlerden çok farklı meziyetlere sahip idi, güçleri gün geçtikçe artmakta ve devletin mukadderatı ellerine geçmiştir. Böylece Mu'tasım'ın umduğundan daha fazla nüfuz ve iktidara sahip olan komutanlar ortaya çıkmış oldu. Bu komutanların başında Babek-el Hurremi ile savaşıp ve onu mağlup ettiren Afşin gelmektedir, bunun yanında yine Mu'tasım'ın gözünü dolduran ve yüksek mertebelere ulaşan Aytağ ve Aşnas gibi komutanlar da o devirde kendinden söz ettirmiştir.

Türk nüfuzunun devlette, orduda ve sarayda artması Arapların nefretini arttırmış ve iç ayaklanmalar başlamıştır, bununla beraber Mu'tasım da iktidarının zayıflamaya başladığını görmeye başladı zira kendini ve devletini Türklere rehin

etmişti, Türklerin her ne kadar önemli roller üstlendikleri ve savaşlarda elde ettikleri başarılarla rağmen Mu'tasım özellikle komutanlardan ve yaptıklarından hoşnut değildi, Türklerle çok fazla bulaştığını, kendisini ve devletini çok tehlikeye attığını hissetmeye başladı ve pişman oldu, ancak iş işten geçmişti. Birden fazla kaynakta Mu'tasım'ın Türkleri askere almaktan pişmanlık duyduğu yazılmış olsa dahi, gerçek odur ki Mu'tasım'ın elde ettiği zaferler ordusunda bulunan Türk askerleri sayesinde kazanılmış olduğu da bir gerçektir. Mu'tasım devri her ne kadar kısa sürse de, bu kısa süre içerisinde başka bir halifenin kazanmadığı kadar Abbâsî Devletine büyük askeri kazançlar sağlamıştır. Bütün bu siyasi ve askeri kazançların elde edilmesi ve düşmanlarının yenilmesi Türk askerleri sayesinde olmuştur, ancak Türklerin varlığı Arap toplumunca reddedilmiş ki buda durumu daha da kötüye götürmüştür.

Kuşkusuz herhangi bir devlet askeri kararını kendi evladı ve toplumu dışında kimselere emanet ederse o devlet karışıklığa maruz kalır, Türklerin devletin bütün kurumlarını ele geçirmesi ile birlikte devlette alınan kararlara da karışmaya başlamış ve piramittin tepesinde bulunan halifeyi de hedef almaya başlamıştır, işte buda Mu'tasım sonrası problemler olarak ortaya çıkmıştır.

Mu'tasım'ın Türk askerlerinin Araplardan uzaklaştırma kararının almasının nedeni birçok durumla karşı karşıya kalmasından kaynaklanmıştır. Bunların başında Arapların Türkleri kabul etmemesi gelir zira o devirde Bağdat Türk askerleri ile dolup taşı, devlet kurumlarında önemli mevkilere getirilmeleri, aynı kıyafetleri giymeleri ve her türlü hürriyetlere sahip olmaları neticesinde Bağdat'ın orta yerinde at üzerinde dolaşmaları, çocuk, kadın ve yaşlılara çarpmaları gibi davranışları yüzünden halk ile bir çok problemlere neden olmasına yol açmış ve Mu'tasım'a gelen şikayetlerin artması üzerine Türklerden bıkmış ve onlar için başka bir şehir inşa etmeyi düşünmüştür.

Diğer bir yandan ise Mu'tasım Bağdat'ı hiç sevmemiş ve burada yaşamayı içine sindirmemiştir, kaldı ki Bağdat ahalisi ile Türk askerleri arasında olan medeniyet farklılıkları da bir etken olmuştur, zira Bağdat o dönemlerde bir ilim, kültür ve medeniyet şehri olmuş ancak Mu'tasım'ın ruhuna ve meyillerine ters düşmüş olduğundandır ki burayı terk etmesine neden olmuştur.

Türk askerleri Arap dilini bilmiyor ve konuşamıyorlar, at üstünde sokaklarda gezdiklerinde ahaliyi rahatsız ediyor ve aralarında kavgalar çıkıyordu, bu kavgalarda birçok Türk askeri ve Bağdatlı öldürüldü, durumlar daha da kötüye gidince Mu'tasım Bağdat'ı terk etmeye karar verdi, belki de Mu'tasım bu kararında toplum yapısı

içerisine yabancı bir unsurun girmesiyle bozulmakta olan sosyal barışa muhafaza etmeyi düşünmüştür, bu durumda gayet normal bir durum olup yerli ahalinin yabancı bir topluluğa alışması zaman alan bir olgudur.

Diğer yandan ise dışarıdan gelip tek düşündüğü şeyin askerlik, güç ve savaş olan hareketli bir topluluğun sakin bir ortamla uyuşması mümkün değildir, bundan dolayı da Bağdat'ın havası onlara boğucu geldi yaş tarzlarına uymadı ve bundan dolayı da Bağdat ahalisiyle uyuşma sağlayamadılar. Mu'tasım'ın başka bir şehir planı ise kendine özgü yeni bir merkez ihdas etmek, herangi bir isyan halinde Bağdat'ı ele geçirerek isyanı bastırmaktır, Samerra konumu bunun için çok uygun bir yer olarak görüldü, diyebiliriz ki Samerra şehri komplo ve siyasi tasfiyelerden uzat bir olup Mu'tasım için yeni bir evrak tertip etmek için fırsat olarak görülmüştür.

Bazı tarihçilerin anlattığına göre hilafet merkezinin Bağdat'tan Samerra'ya taşınması fikri sadece halifeye ait olmayıp Türk komutanların da bu işte bir payı vardı. Halife halkından uzak olup askerlerinin emrine girmiştir. Bu düşünceyi kimi tarihçi ileri sürüp kimleri ise reddetmiştir, gerçek ise kişiliği ve orduyu yönetmesi bakımından son söz halifenindir, Mu'tasım her ne kadar Bağdat'tan uzak kalmış ise de ordusu ve Türk askerini üzerinde olan egemenliğini kaybetmemiş ve güçlü kişiliği ile her zaman onlara hâkim olabilmıştır.

Mu'tasım her ne kadar Araplar ile Türkler arasında meydana gelen problemlerden kurtulmak maksadıyla hilafet merkezini Samerra'ya nakletmiş olsa da Araplar, Türkler ve Farslar arasındaki kavgalara engel olamamıştır, Araplar ve Farslar Me'mun'nun oğlu olan Abbas'ı istemişler, Türklerse buna karşı koymuşlardır. Bunların başında da Afşin gelmektedir. Mu'tasım her ne kadar Türk komutanların nüfuzuna rağmen hükümdarlığının sonuna kadar ordusuna hâkim olmuş ve devlet işleri kendi egemenliğinde yürütmüştür, devlete karşı meydana gelen bütün ayaklanmaları bastırabilmiştir hatta Afşin komutanın devlet için bir tehlike olduğunu algılaması ile her ne kadar adil bir yargılama yapılmamış olsa da onu yok etmeyi becermiştir.

Türk nüfuzu Mu'tasım'ı izleyen devirlerde de devam etmiştir, Halife Vâsık devlet idaresinde Türklerle itimat ederek bütün iç ve dış ayaklanmaların bastırılmasında Türkler onun sağ kolu olmuştur, Vasif, Boğa ve Aşnas gibi komutanlar Vâsık'a en yakını olmuşlar, vefalı birer asker, sadakat ve itaat ile hizmet eden kimseler olmuştur, buna karşılıklı nüfuz ve iktidar elde etmişlerdir, Halife Vâsık, Birinci

Abbâsî Döneminin son halifesi olup hükümranlığı (232 H / 847 M.) senesinde sona ermiştir.

Dördüncü bölümde de, Türk nüfuzu, egemenlikleri ve devlet içerisindeki rolleri el-Mütevekkil devrinden başlayarak (320 H / 932 M) Yılında el-Muktedir devrinin sona ermesine kadar olan süre ele alınmıştır. Tarihçilerin bir kısmı Abbâsî Devletini dört ana döneme ayırmıştır bunlar; Güç ve parlama, Türk nüfuzu, Buveyhi ve Selçuklu dönemleridir. Bu bölümde Birinci Abbâsî döneminin tersi olan Türk komutanların egemenliği olduğu İkinci Abbâsî dönemini (233 – 333 H. / 847 – 944 M.) incelemeye alacağız. Abbâsî Devleti kuruluşundan ve birinci dönemin başlangıcından itibaren güç ve iktidarın sadece halifelerin elinde olduğu bilinmektedir, bu dönemin halifeleri özgün kişilikleri, siyasi dehaları ve diğer milletlerle yürüttükleri dengeli dış siyasetleri ile ün kazanmışlardır. Ancak ikinci Abbâsî dönemde olayların gelişimine bağlı olarak devlet hayatının da rengi siyasi, sosyal ve kültürel bakımlarından değişmeye başladı. Bu dönemde daha önceden merkezi hükümet siyasetine bağlı olan devlet âdemi merkezîyetçi bir hal almaya başladı, bunun neticesinde halifenin sultanlığını kabul eden ancak kendi siyasetinde bağımsız bir çok devletçikler ortaya çıkmaya başladı, halifeler ise komutan veya asker olup sonradan İslam toplumuna dâhil olan kimselerin vesayeti altına girmiş olduklarından önceki halifelerde olan heybet ve gücü kaybetmiş oldular. Bu iki dönem arasında meydana gelen farklılığın nedeni ise Abbâsî Devletinin siyasi, sosyal ve ekonomik durumunun değişmesidir. Bu dönemde yirmiye yakın halife hüküm sürmüş olup bu çalışmamızda bunlardan sadece (Mütevekkil, Muntasır, Mustain, Mü'tezz, Muhtedi, Mu'temid, Mu'tezid, Muktefi ve Muktedir) halifeleri ele almaya çalışacağız.

Halife Mütevekkil (232 – 247 H / 847 – 861 M) Türklerin baskısı ve tercihi ile tahta çıktı, halifenin tahta çıkmasıyla Türk nüfuzu bir hayli arttı ve idarenin başına geçtiler, orduya hakim oldular, tamda bu sırada iç karışıklıklar baş gösterdi ve Mütevekkil durumun farkına vararak Türklerin direkt olarak yönetime karışmalarının ne kadar tehlikeli olacağını anladı. Türklerin yardımı ile Mütevekkilin tahta getirilmesi ile Türkler kendilerini Abbâsî Devletinin vazgeçilmez bir unsuru olup devletin kendilerine muhtaç durumda olduğunu görmeye başladı, bundan dolayı da hegemonyalarını arttırmaya başladılar, aslın daha önceden de Mu'tasım bunun farkına varmış ve gerçek niyetlerinin halifeye ve hilafet merkezine etkilerini anlamış ve kanun

tanımaz tecavüzlerini görmüştü, Mütevekkil ise kademeli bir şekilde bu nüfuzu azaltmak ve onları bu işlerden uzaklaştırmayı kafasına koymuştur, Mütevekkilin tasfiye etmeye başladığı ilk Türk komutan İtah olmuş onu işinden el çektirerek hapse attırmış ve (235 H./ 850 M.) Senesinde hapiste ölmüştür. Mütevekkilin Türk unsurunun tasfiyesi maksadıyla üç oğlunu veliaht olarak ilan etmiş ülkeyi aralarında paylaşmıştır, Muntasır isimli oğluna Batı, Mu'tezz'e Doğu illeri ve Muayyed'e Humus, Şam ve Filistin İlleri valiliğini vermiştir.

Türkler ise, Mütevekkilin kendilerine karşı olan tutumundan ve genel idari emirlerinden gerçek niyetinin ne olduğunu anlamış ve halifeye olan kinleri artmıştır. Türklerin idareden tamamen uzaklaştırılmaları üzerine halifeyi ortadan kaldırmak için komplolar kurmaya başladılar, Türkler Boğa el-Kebir'in halifeye yakınlığının kendileri için bir tehlike olarak addedip halife ile arasının açılması maksadıyla planlar kurmuş ve bunda da başarılı olmuşlardır.

Mütevekkil hilafeti süresince Türkler tarafından planlanmış iki adet suikasta maruz kaldı, Birincisi (243 H. / 857 M.) senesinde Şam'ı ziyaret ettiği esnada gerçekleşmiş ancak Boğa el-Kebir ile Feth b. Hakan tarafından önlenmiştir. İkinci suikast girişimi ise oğlu Muntasır ile Türklerin işbirliği yaptığı girişim olmuş ve bu girişim sonucunda Mütevekkil ile Feth b. Hakan öldürülmüştür. Mütevekkilin ölümü ile birlikte Mütevekkil dönemi sona ermiş ve son güçlü halife devri de kapanmış oldu zira kendisinden sonra gelen halifelerin tamamı zayıf şahsiyetli, Türk komutanların elinde bir oyuncak olan halifeler tahta çıkarıldı, bu durumlarda halk arasında bıkkınlığa ve nefrete neden oldu. Mütevekkilin vefatından sonra başlayan süreç Türk komutanlara karşı yoğun çarpışmalar ve ayaklanmalar süreci haline gelmiştir.

Türk nüfuzu Mütevekkilin öldürülmesinden sonra da devam etmiş ve bu ölüm sonrası gelen dönemin Türk dönemi olarak adlandırılmasının mümkün olduğu bir döneme girilmiştir. Türklerin iktidarı ele geçirmesinden sonra Abbâsî Halifeleri bütün gücü elinden alınmış saray içerisinde birer esir olarak yaşamaya başlamıştır, bu durum neticesinde devletin altyapısı bozulmuş ve Abbâsî Devleti askerlerin vesayeti altına girmiştir, Türkler zamanla devlet işlerini ele almış, birçok önemli makamları ele geçirerek zayıf, kişiliksiz hatta küçük yaşta olan halifelerin iş başına gelmesini sağlamışlardır.

Türklerin Abbâsî Devletine nüfuzları bir el parmaklarını geçmeyecek sayıda kişilerle sınırlı olmuş ahali ve birliklerden oluşan asker arasına yayılmış olan Türk

ırkının tamamını kapsamamıştır. Türkler başka milletlerde olduğu gibi içlerinde iyi niyetli olan ve olmayan kimselerdir, bunda dolayı da belli bir hükmü veya fikri bütün Türklere mal etmek haksızlık olur, bunla birlikte başka bir hususu da dile getirmek gerekmektedir o da; Türkleri getiren ve askere alan Abbâsî halifeleri olmuş ve onlardan yani Türklerden itaat, hizmet ve emirleri yerine getirmeyi görmüştür. Türkler devletin çelik zırhı olmuş Fars, Arap ve Rum isyancı veya tahta göz dikenlere karşı koyan kimseler olduklarındandır ki sayılarını her geçen gün daha da artırmışlardır.

Halife Muntasır ile başlayıp Muhtedi dönemi sonuna kadar (247 -256 H. / 861 – 870 M.) yıllı arası geçen dokuz yıllık süre karışıklık ve başıbozukluk dönemi olarak adlandırılabilir, bu süre zarfında Muntasır, Müste'in Mu'tez ve Muhtedi isimli dört halife gelmiş, bu sürenin tamamında Türk unsuru bütün olaylara hâkim durumda olmuştur. Ancak bu demek değildir ki bütün bu halifeler Türklerin emrine girmiş ve onlara teslim olmuşlardır. Tarih kaynaklarında yer aldığı üzere Halife Muntasır halife olduğunda Türk komutanların gücünü zayıflatmak maksadıyla Rumlarla savaşmak bahanesiyle Vasif isimli Türk komutanı dört yıl süreyle cephede tutmuştur. Muntasır çoğu kerelerde tehditler savurarak babasının katilinin Türkler olduğu ve onlardan babasının intikamını alacağını söylemiştir. Ancak Türkler kendisinden önce davranmışlardır, bu demektir ki bu halifeler söylenildiği gibi tam manasıyla zayıf halifeler olmayıp ancak Türk nüfuzunun yükselmesi ve kendilerine başka bir rakip bulunmaması durumu bu hale getirmiştir.

Halife Mustain (247 -252 H. / 862 – 866 M.) hilafte geldiğinde Türk komutanlar ile değişik bir siyaset takip etti, bu siyasetin amacı ise kendi aralarında bir fitne ve rekabet ortamı yaratarak kendi kendilerini yok etme yolunu izledi, Otamış'ın öldürülmesinden sonra Vasif ve Boğa'yı kendisine yakınlaştırmıştır. Halife Müstain ise Bağır et-Türki'yi önemli bir askeri göreve atamış, bu atama Vasif ve Boğa eş-Şarabi'yi kızdırmış ve halifenin cezalandırılmasına karar vermişlerdir, bu olaylar ve Türklerin her olaya müdahalesi yüzünden, kendilerinden kurtulmak isteyen halifenin gayet rahatsız olması üzerine Samerra'yi terk edip Bağdat'a dönmüştür.

Abbâsî Devletini (252 – 255 H. / 866 – 869 M.) yılları arasında hükmeden Halife Mu'tezz aynı şekilde Türklerle arası hiç iyi geçmedi ve en kötü hale geldi, bu dönemde devlette emniyet ve istikrar kalmadı, fitne her tarafı sardı ve hilafet merkezi gün geçtikçe zayıflamaya başladı, Türklerin Abbâsî Devletine olan hizmetleri aynı şekilde devam etmiş ve iç karışıklıkları önlemek için Mu'tezz onlardan yardım almış

olmasına rağmen Boğa es-Sağir isimli Türk komutanı yok ederek Türk nüfuzunu azaltmak maksadıyla yerlerine Mağriblileri getirmiş ancak her seferinden olduğu gibi Türkler ondan önce davranmışlardır.

(255 – 256 H. / 869 – 870 M.) yılları arasında tahta oturan Muhtedi döneminde de Türkler iktidarı ele geçirmiş, Musa b. Boğa, Baybek ve Salih b. Vasif isimli kişiler devletin önemli mevkilerini ellerine almış ve halifeyi kendilerine esir etmişlerdir, halife her ne kadar Abbâsî Devletini eski gücüne geri getirmeye ve Türk hegemonyasına son vermeye uğraşsa bile bunda başarılı olmayıp kendi kılıcı ile savaşmaya kalkışması bile faydalı olmayarak kendi hayatıyla bunun bedelini ödemiştir. Halife dindar ve adil birisi olarak halk arasında adaleti hâkim kılma ve zulmün sona ermesi için uğraşa bile buna gücü yetmemiştir, bütün amacının ise bu durumlara bir çözüm olarak hilafet merkezini Bağdat'a nakletmeye niyetlenmişti. Muhtedi'nin vefatından sonrasında ise iktidar kavgası, komutanlar arasında baş gösteren kıskançlık ve çekememezlik sonucunda birçok Türk komutanın tasfiye edilmesinden sonra Türk nüfuzu kademeli olarak azalmaya başladı, bunun sonucu olarak da devletin varlığı zayıfladı, Arap veya Türk olan birçok kudretli devlet adamının kaybedilmesi, yerlerine Vasif, İtağ veya Aşnas gibi başka dirayetli kimselerin getirilmemesi devleti zafiyette uğratmış ve Türk nüfuzu giderek eski gücünü kaybetmiş ta ki Selçuklu Türkleri siyaset sahnesine yeniden kendini göstermeye başlamıştır.

Türkler Halife Mu'temid (256 – 279 H. / 870 – 892 M.) tahta çıkardığında halifenin kayda değer herhangi bir özelliği mevcut değildi. Türkler onu bu durumunu bilerek seçtiler. Zira Mu'temid zayıf kişiliği, oyun ve eğlence düşkünü, liderlik vasıflarından uzak birisi olarak bilinirdi, ancak olaylar Türklerin istediği gibi gelişmedi, Mu'temid yönetimdeki aczini hissettiği anda yiğitlik ve azimle tanınan ve Türklerin de korktuğu ve çekindiği kardeşi Muvaffak'ı yanına çağırdı, Muvaffak'ın sert kişiliği ve azmi neticesinde Türk komutanlar arasında tedirginliğe yol açarak halifeleri istismar etmek ve dil uzatmaktan vazgeçmeye başladır ve nüfuzları giderek gerilemeye başladı. özellikle de hilafet başkentinin (279 H./892 M.) Senesinde Samerra'dan Bağdat'a taşınmasından sonra bu gerileme daha da arttı ve aynı sıralarda diğer bir taraftan da Mutemedin zaafını fırsat bilen Ahmed b. Tolun Abbâsî Devleti ile çarpışmaya başladı.

Güç ve Kuvvet sahibi olan, yiğit ve akli selim düşünce ve davranış sahibi olan Mu'tazid'in hilafet döneminde (279 – 289 H / 892 – 902 M.) ise daha önce gelen halifelerin aksine Abbâsî Devletini güçlendirmeye ve kalkındırmaya çalışarak eski nüfuz ve heybetini geri getirmeye çalıştı, kendi döneminde her ne kadar isyan ve karışıklıklar olsa bile çok tutarlı iç ve dış siyaset izledi. Halife Mu'tazid'in Türklere karşı en önemli başarısından birisi ise Türk komutan (Begtemer b. Taştemer) i zincirlere vurarak hapse atması, mal ve mülklerine el koyması olmuştur, Türklerde kendisinden korktukları için herhangi bir tepki vermeye cesaret edememiştir.

Vefatından sonra ise hilafet oğlu Muktefi'ye (289 – 295 H. / 902 – 908 M.) geçtiğinde iç isyanlar artmış olsa da Muktefi buna karşı koyabilmiş ve hilafet heybetine muhafaza etmiştir, Muktefi dönemi güç ve kuvvet dönemi olup Türk nüfuzu sınırlı kalmıştır, hükmü altı yıl sürdükten sonra vefatı ile birlikte Abbâsî Devleti yeniden Türklerin hegemonyası altına girmiş ve tahta Muktedir gibi zayıf birisinin çıkmasıyla da Türklerin eski güçlerini geri kazanma fırsatını yaratmış ve önceden olduğu gibi zayıf olan halifeleri iş başına getirmeye başlamışlardır.

Türkler yaşı henüz on üçü geçmeyen bir çocuğu hilafet kürsüsüne oturtturarak devleti kendi arzularına uygun hale getirmeye çalıştılar, bu çocuk Mu'tazid'in oğlu Ebu El-Fadıl Cafer idi, ona (Muktedir) lakabı taktılar, komutanı olan Münis'in emriyle hareket eden, hiçbir nüfuz veya egemenliği olmayıp vezir ve memurları bie atama yeteneği olmamıştır. Muktedir (27 Şevval 320 H / 4 Kasım 932 M.) günü bir taht kavgası sonucunda Münis'in adamları tarafından öldürüldü.

Türklerin askeri, siyasi, sosyal ve dini konularda olan etkileri hakkındaki araştırma ise detaylı bir şekilde beşinci bölümde incelenmiştir. Abbâsî Devletinin ilk kuruluşu güçlü temellere ve sağlam ilkelere dayalı bir devlet olarak ortaya çıkmıştır, bu devletin şiarı ise (Kılıç ve Kalem Devleti) idi, bu iki kelime bu devletin güçlülüğünün bir ifadesi idi. Mu'tasın devrinde Türklerin gelmesi ve devletin askeri müessesine dâhil edilmeleri ordunun gücünü bir hayli artırmıştır. Türk askerlerinin Abbâsî ordusundaki önemli rolünün inkar edilmesi mümkün değildir, Türkler Mu'tasım'ın vurucu eli olmakla kalmayıp Türk unsurunun olmaması halinde kazanılması imkansız olan birçok savaşı zaferle kazanılmıştır. Türk askerlerinin içerisinde Abbâsî ordusuna güç katan yiğit komutanlar ortaya çıkmıştır, bu komutanlardan birisi ve daha sonra Mu'tasım'a en yakın birisi olarak kendinden söz

ettiren Afşin olmuştur, Afşin'in yanı sıra ve yiğitlik bakımından Afşin'i aratmayan başka bir komutanda Aşnas'dır, yine Türk askerlerinin katılımı ile Acif b. Anbese komutasındaki Türk birliği (El-Zat) Hareketini püskürtmüş, Babek el-Hurrammi hareketini bastıran komutanda Afşin b. Haydar b. Kavus olmuştur. Mu'tasım büyük bir ordunun başında Rum kenti Amuriya'nın fethi sırasında komutan Aşnas et-Türki'yi baş komutan olarak görevlendirmiş, sağ kanata İtağ'ı, sol kanata Cafer b. Dinar'ı, orta kısma ise Acif b. Anbese'yi komutan olarak görevlendirmiştir. Halife Vasık döneminde Türk nüfuzu artarak devam etmiş komutan Aşnas'a (Sultan) Lakabı vererek bütün askeri ve idari haklarını tanıyarak kendisine Cezire, Şam ve Mısır valiliğini, komutan İtağ'a ise Horasan ve Sind valiliğini vermiştir. Bu mutlak salahiyyetlerin verilmesi sonucunda Türklerin gerek ordu gerekse devlete olan egemenlikleri daha da artmıştır, Mütevekkil'in öldürülmesini izleyen döneme ki buna tarihçiler Dokuz Yıllık Dönem olarak adlandırılan (247 – 256 H / 862 – 870 M.) yıllarında ise Türk komutanlar ordu ve devlet içerisinde büyük ve önemli rolleri olmuştur.

Siyaset sahnesinde de Türkler önemli roller üstlenmiş olup özellikle Mütevekkil'in hilafeti devralmasından sonra varlıkları sadece ordu içerisinde kalmayıp devlet idaresini de ele geçirmeye çalışmışlardır. Türkler, Muntasır döneminde ise ileri bir adım daha atarak kendilerine daha fazla bir güç kazandırtacağı ve halifeyi daha fazla egemenlikleri altına alacakları düşüncesiyle vezirlik makamına varmak istediler ancak bu makam hakkında bilgili olmadıklarından ve bu makamı yönetmenin ne kadar zor ve tehlikeli bir görev olduğunu hesaba katmadılar, Bu görevi üstlenmek isteyen ilk kişi komutan Otamış olup vezir olan Ahmed b. Al-hatib'i azlederek bu makamı ele geçirmiş ancak neticede vezirlik makamı zaafa uğramış ve fonksiyonunu yitirmiştir. Türklerin eline geçen makam sadece vezirlik makamı ile kalmayıp komutan İtağ Halife Vasık'ın daha sonrada Mütevekkil'in baş korumacılığı makamına getirildi, Türk komutanlar daha çok tahsilat yapmak amacıyla divan sahiplerini zorlamaya başladılar ve bu olumsuz uygulamalar sonucunda devletine sadık birçok önemli şahsiyetler canından oldu. İkinci Abbâsî Dönemi sonlarında halifelerin herhangi bir sultanı bulunmamakta idi sadece hutbelerde adları söylenir ve sikkelere adları basılırdı, bu durumda Türklerin işine yarıyor ve halifenin sadece bir vitrin olarak halkın karşısında duracak ancak gerçek hüküm Türklerin elinde kalacaktır.

Yukarıda sıraladığımız olaylardan anlaşılıyor ki, Abbâsî Devletinin zaafı, gerilemesi ve yok olmaya yüz tutmasının birden çok nedenini olduğudur; bunların başında zayıf ve kişiliksiz halifelerin işbaşına gelmesi, devlet siyasetinin mutlak bir şekilde Türklerin eline geçmesi, ordu güçleri ile devlet erkânı arasında bulunan dengesiz ilişkiler, ordunun güçlü arap komutanlardan yoksun olması, Kadınların siyasete el atması ve Mustain ve Mu'tez'in annesinin yaptığı gibi hazine mallarına el konulması gibi nedenleri sıralayabiliriz.

Türklerin sosyal yönlerden olan etkilerine gelince, Mu'tasım'ın getirdiği Uygur Türkleri sanata meraklı kimselerdir, kendi sanatlarını beraberlerinde getirerek ülkenin sanat hayatına yeni renkler katmıştır, Samerra duvarlarında sulu boya ile nakşedilmiş çok sayıda resimler bulunmuştur, bunlarda Uygur sanatını bize anlatan eserler olmuştur, bu akım Abbâsî medeniyetine olumlu katkılar sağlamıştır, bunun yanında da Türkler Abbâsî Sarayına yeni orf ve adetler katmıştır, mesela bardak ve mendilin kullanılması gibi ki buda güç ve saltanatın sembolü olmuştur. Uygurlu sanatçıların Samerra duvarlarına çizdikleri tablolardan Türklerin Abbâsî Sarayına olan etkisini ortaya koymaktadır. Bu etkileşimler sadece duvar tabloları ile kalmayıp halife ve askerlerin elbise tarzlarına kadar uzanmıştır.

Diğer bir yandan da Türk cariyelerinin Abbâsî toplumuna etkisi büyük olmuştur, Mu'tasım, Müktefi ve Muktedir'n anneleri Türk cariyelerindendir, Türk kızları çok güzel olup iri gözlü ve saf tenli olduklarından Arapların beğenisini kazanmakta idi, doğurdukları evlatlar güzel ve yakışıklı olmakla birlikte iyi ahlak ve zeki çocuklar olurdu, işte bu cariyelerde Abbâsî medeniyetine sanat, giyim kuşamda güzellik, süs ve yeme içme etiketlerini ilave etmişlerdir.

Abbâsî Halifeleri devlet siyasetinde din eksenine önem vermiş ve tahta çıkan her halife halka adalet ve eşitliğin sağlanacağı sözünü verirdi, ancak Türkler gibi halifelerin iradesi dışında bulunan dış güçler buna engel olurdu, iç isyanla ve karışıklıkların ise halifelerin gerçek hedeflerine ulaşmasına her zaman engel olmuştur. Din adamlarının durumu ise farklılık gösterir idi, kimi din âlimleri halifenin yanında olup ona destek olurdu, kimi ise halifenin siyasetine ve Türkleri yakınlaştırmasına karşı çıkardı, üçüncü bir grup din adamı ise siyasetten uzak tarafsız olmayı tercih etmiştir.

Abbâsî Devlet idaresi üçüncü hicri / dokuzuncu miladi yüzyılı içerisinde idari, mali ve ekonomik yönlerden bozulmaya yüz tuttu, her ne kadar Mu'tazid gibi halifeler

tekrar kalkınmayı sağlamak için uğraşsalar bile başarılı olamadılar. Din adamları da bu devletin bu durumun farkında olduklarından ki halifelerin verdikleri hibeleri kabul etmemeye başladılar ve Türklerin devlet ve hazinesine olan mutlak hâkimiyetini kabul etmeyerek bu malların halkın elinden gasp edildiği düşüncesindeydiler. Bu malların Türk komutanların eline geçmektense mescit yapımına, yoksullara yardım edilmesine ve orduya harcanmasına taraftar olan din adamlarının başında Hanife ve Ahmed b. Hanbel gelmekte idi.

Halifelerin seçilmesinde ve onlara ya da veliahlara şeri yetki verilmesinde din adamlarının büyük rolü vardı, halifenin halkın desteğini kazanmak için din adamlarının teyidi gerekliydi, zira halife din adamlarından oluşan âlimler grubunun tavsiyesiyle seçilmesi halife için bir övünç kaynağı olurdu, buradan anlaşılıyor ki din sultanının devlet ve hilafet sultanını desteklemede ne kadar önemli olduğu görülmektedir. Araştırmamın sonuç kısmında ise bu araştırma ile ilgili olan şahsi görüşüm, elde etmiş olduğun sonuçları özeti yer almaktadır.

SONUÇ

Bu çalışmada; Abbasi Devletine girmiş olan Mevalilerden yani yeni İslam'a katılmış yabancı bir unsur itibar edilerek özellikle Türkler ele alınmış olup bunların Cahili döneminden (İslam Öncesi) başlayıp İkinci Abbasi Döneminin sona erdiği (320 H / 932 M) siyasi ve sosyal durumlarının araştırılması ve gün ışığına çıkartılmasına özen göstermiş bulunmaktayım. Yapmış olduğum araştırmalarda bu yabancı unsur olan Türklerle hiçte ayrılıkçı bir gözle bakılmamış veya Devlete yabancı kişiler olarak bakılmamış, aksine Halifeler bunlara güvenmiş, Devlet ve Orduda önemli ve hassas mevkiler verilmiş, halk arasında üstün tutulmuş ve Arapların bile elde edemediği çeşitli imtiyazlara sahip olmuşlar. Bunun anlamı da o zamanki İslam düşüncesi ve toplum yapısı sadece ve sadece İslami kurallara mahkum olduklarını göstermekle kalmayıp diğer bir yönden de Halifelerin komutanlarını seçmede askeri liyakati önemsemiş olduğu ırk ve soyuna bakılmaksızın, güç, yetenek, zekâ ve yiğitlik esas alınırdı, bu gibi seçimlerde Halifelerin aleyhine değil de lehlerine yazılırdı zira bundan amaç Abbasi Devletinin kalkınması ve kuvvetlendirilmesi esas alınırdı, bundan dolayıdır ki Halifeler önemli görevleri üstleneceği görevi hakketmiş, devleti kalkındırma sorumluluğunu üstlenebilecek kimselere verirlerdi.

Bu çalışmalarımın sonucunda elde ettiğim başka bir hususta Abbasi Devletinde yerleşmiş olan mevaliler sadece Türklerden ibaret olmadığı ancak Türkler Ebi Cafer el-Mansur döneminden yani Devletin kuruluşunun başladığı günlerden itibaren Türkler toplumun geniş bir kesimini temsil etmekte iken Mu'tasım'ın döneminde ise bir hayli artmaya başlamış ve ana vatanlarından getirilmeye başlanmıştır.

Mu'tasım döneminde Türk nüfusunun artmasının ana nedeni ise Mu'tasım'ın kendisinin de yiğit bir komutan, devlet adamı ve Birinci sınıf bir asker olmasından kaynaklanmaktadır. Türkleri seçme sebebi de Türklerin yiğit olmaları ve vücut olarak yapılarının metin olup başka kavimlerde bulunmayan özelliklere sahip olmasıdır zira, Mu'tasım'ın kendiside aynı bu özelliklere sahip birisiydi, aynı zamanda annesinin de bir Türk kadını olması nedeniyle Türkler onun dayısı sayılırdı ve bundan dolayı da Türkleri Abbasi ordusuna katmış ve Abbasi Devletine başkaldıran isyancılarla olan savaşlarında kullanmış, Harun El-Reşid döneminde baş gösteren dış saldırılardan devlet sınırlarının himayesini Türkler vasıtasıyla sağlamıştır. Bu dış saldırıların kuvveti ve vahşeti karşısında Mu'tasım Arap ve Fars olan birliklerine olan güvensizliği

ve bu tur saldırılara ancak Türklerin karşı koyabileceğini çok iyi bildiğindendir ki bunların yerine Türkleri yerleştirmiştir.

Burada daha önceden herhangi bir tarihçi veya tarih araştırmacısının değinmediği bir hususu da vurgulamak isterim, Mu'tasım Arap ve Farisilere olan güvenin kaybedilmesinden sonra başka bir seçeneğinin kalmadığı ancak bunların yerine daha da kuvvetli bir unsuru yerleştirmesinin ve devlete sızmış olan Farisi unsurunu bir an önce ortadan kaldırılmasının gerekli olduğu düşüncesiyle bu yola başvurmuştur. Aslında Mu'tasım Türkleri yerleştirme seçeneğiyle hem Abbasi Devletinin güvenliğini sağlamak hem de iç karışıklardan korumayı amaçlamış ve fiilen bu amacını elde etmiştir.

Okuduğum kitaplardan ve yaptığım araştırmalardan açık ve seçik bir gerçeğe varmış bulunmaktayım, bu gerçeği her ne kadar bazı tarihçiler göz ardı etmişse de o dur ki Türklerin Abbasi Devletine nüfuzu hiç bir zaman devlete bir tehlike veya zayıflatma amacı taşımamış olmasıdır, bunun en belirgin kanıtı da Devletin bir zirve dönemi olan Mu'tasım döneminde Türklerin devlet emlaki veya ordusu veya Abbasi sarayında herhangi bir şeye sahip olmayışlarıdır. Türk komutanların Mu'tasım döneminde Abbasi Devletine sunmuş oldukları bunca hizmetlere rağmen Mu'tasım kendisine en yakın olan Türk Komutan olan Afşin'i aslı olmayan suçlamalarla yargılaması sonrasında hiç tereddüt etmeden onu öldürmesi olmuştur, şayet Türk komutanların yönetimde oldukça nüfuzları olmuş olsaydı Mu'tasım bunu bu kadar bir kolaylıkla öldüremezdi.

Bu durumlar Halife Al-Vasik döneminde de aynı şekilde devam etti ve hatta en zayıf halife olan El-Mütevekkil döneminde de sürdü ancak Mütevekkilde ünlü bir Türk komutan olan Peyser'i öldürttü.

Burada saklanması mümkün olmayan bir gerçekte odur ki, Mütevekkil aleyhine düzenlenen bir komplo sonucunda Mütevekkil Türk Komutanların eliyle öldürülmüş ve bundan sonra da Türklerin sultanı Halifelerin üzerinde bile olmaya başlamıştır, istedikleri adamı halife olarak atadılar, karşılarında duranları ise öldürmeye başladılar, bu da Türklerin kuvvet ve güçlerinden kaynaklanmadığı ancak daha sonra gelen halifelerin zayıflığından olsa gerek Türklere devleti ele geçirme, mali ve idari imtiyazlar sahip olmalarına fırsat verme imkanı doğmuştur, Türklerin varlıkları daha önceleri sadece ordu ile sınırlıyken Mütevekkil döneminde idareye bir karışmaya başlamıştır.

Türklerin ordu ve devlete nüfuzu Dokuz Yıl devam etmiş ancak Halife El-Mütemed döneminde Ahmed B. El-Muaffak isimli komutan gelerek Türklerin nüfuzuna son vermiş ve eski sınırlarına çekilmek zorunda kalmışlardır. Türklerin belli bir süre devleti ele geçirmelerinin başlıca nedenleri ise gerek ordu gerekse saray içerisinde Arap asıllı komutanların olmayışı ve zayıf halifelerin devletin başına gelmesidir.

Abbasi Devletinin başına gelen musibetlerin yegane suçlusunun Türkler olmadığı ortadadır, devletin güçsüz kalması ve bölünmesine neden olan bir çok faktörün etki etmesinden kaynaklanmıştır, bu faktörlerden sadece birisi Türklerdir, buna rağmen bu hükmü bütün Türk komutanlara vermek kesinlikle haksızlıktır zira, bu komutanların bir çoğunun yaptıkları hayırla anılmakta ve Arap - İslam medeniyetine vermiş oldukları yer doldurulamayacak olan katkıların izleri günümüzde bile görülmektedir.

Bu katkılara örnek vermek gerekirse, Türk komutanlardan Ahmed b.Tolun ve Büyük Baha Abbasi Devletine inanılmaz hizmetler sunmuş ve b. Tolun Mısırda Abbasi Devletine bağlı büyük bir bağımsız devleti kurmuştur, bu devlet muazzam kültür ve medeniyet esaslarına göre kurulmuş b. Tolun da Mısır halkına yüce sosyal ve imar hizmetleri sunmuş, cami, medrese ve hastaneler inşa ettirmiş, halkla yakın ilişkiler kurarak kimseye zulüm etmemiş v halkta onu sevmiş ve etrafını sarmış desteklemiştir.

Türk komutanlar ve askerleri Abbasi Devletine ve ordusuna büyük destek vermiş ve katkılarda bulunmuştur, birçok savaşta devleti himaye ederek düşmanlarına karşı koymuş, Devletin maruz kaldığı birçoğunun kökü İran ve Farisilerden iç ve dış ayaklanmaları bastırmıştır. Türk komutanlardan Afşin, Aytaç, Büyük Baha, Küçük Baha ve Eşnas gibilerinin bu ayaklanmaları bastırmada büyük rol üstlenmiştir. Türklerin bunca katkılarının yanı sıra Mütevekkil, Muntasır, Mu'taz ve Mühteda isimli Halifeler Türklerin eliyle öldürülmüş aynı zamanda da Afşin ve Aytaç gibi birçok komutanda Halifelerin eliyle öldürülmüştür, bu gibi çekişmeler her iki tarafa da büyük zayıflıklar vermiştir.

Bu çalışmadan anlaşılıyor ki Abbasi Devletinin zayıflaması sonucunda doğan bağımsız devletlerin ne kadar önemli bir yer tuttuğu örneğin Mısırda kurulan Tolon Devleti, Horasandaki Tahiriye Devleti ve Safariya gibi Devletlerin medeniyete olan katkıları aşîkârdır, bu devletler sayesinde Abbasi Devleti genişlemiş ve aynı zamanda

bu bağımsız devletlerin etkisiyle Abbasi Devleti içerisinde medeniyet ve kültür çeşitliliğiyle zenginleştirilmiştir.

Bu çalışmam sonucunda anladım ki, Halifelerin her ne kadar hükümlerine daha da sağlamlık kazandırmak için din adamlarını yakınlaştırmaya ısrar etmiş olmalarına rağmen bu din adamları tarafsız kalmayı tercih etmiştir. İncelediğim kaynakların hiçbirinde bu din adamlarının devlete karşı süre gelen isyanlar karşısında sadece camilerdeki hutbe sırasında değinmekten başkaca herhangi bir sert duruşlarının olmadığını sonucuna vardım. Halbuki bu türden olayların karşısında din adamlarının daha belirgin ve daha da etkili bir tutum izlemeleri gerekirdi, bunun nedeni de bu adamların korkmaları ve siyasetten uzak kalmayı tercih etmelerinden kaynaklanmıştır, özellikle de Ahmed b. Hanbel gibi alimlerin Halife Mütevekkil tarafından işkence edilmesi olayı etkili olmuştur. Din adamları Türklerin kuvvet ve nüfuzlarını yakından bildikleri özellikle de Mütevekkilin Türklerin eliyle öldürülmesinden sonra halifelerin ne kadar zayıf olduğu ve Türklerle karşı karşıya gelmenin nelere mal olacağını bildiklerinden ki Türklere karşı koymanın bir faydasının olmayacağını anlamışlardır.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن أعثم الكوفي ، أبو محمد أحمد ابن أعثم ، كتاب الفتوح . بيروت: 1991م .
- ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن الجزري ، الكامل في التاريخ . بيروت : دار الكتب العلمية ، 1987م.
- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . بيروت: 1995م .
- ابن الجوزي ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق عبد القادر الغامدي . د.م : 2016م .
- ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية . بيروت : دار صادر ، 1963م.
- ابن الفقيه ، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن إسحاق ، كتاب البلدان . ليدن: طبعة دي غول ، 1967م.
- ابن بطريق ، أمنيوس ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . طبعة بيروت: 1909م .
- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة . بيروت: 1992م .
- ابن حسول ، الوزير أبو العلاء ، تفضيل الأتراك على سائر الأجناد . خزانة محمد نزار الدباغ ، د.ت .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر . بيروت: 1961م .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة . القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، 2004م.
- ابن خلكان ، أبي العباس شمس الدين ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان . بيروت : دار صادر ، 1978م.
- ابن طيفور ، أبو الفضل بن طيفور أحمد ، كتاب بغداد . القاهرة: 1949م .
- ابن عمران ، محمد بن علي ، الأبناء في تاريخ الخلفاء . القاهرة: 1999م.
- ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء ، البداية والنهاية . د.م : 1988م .
- ابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم . بيروت : الكتب العلمية ، 2003م.
- أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي ، ديوان ابو تمام الطائي . مصر: 1976م .

- أحمد أمين ، ظهر الإسلام . القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1962م.
- أحمد عبد الباقي ، سامراء عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين . بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ، 1989م.
- الأصفهاني ، أبو فرج ، الأغاني . بيروت: د.ت .
- الأندلسي ، ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد ، العقد الفريد . بيروت: 1983م.
- أيوب، ابراهيم ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري . بيروت: الشركة العالمية للكتاب ، 1989م.
- بدر عبد الرحمن محمد ، الدولة العباسية دراسة في سياستها الداخلية . القاهرة : دار العالم العربي، 2012م.
- البكري الأندلسي ، عبدالله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم . بيروت: عالم الكتب ، د.ت.
- البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ، فتوح البلدان . بيروت: 1987م.
- البلاوي ، عبدالله محمد بن محمد ، سيرة أحمد بن طولون . القاهرة: المكتبة الثقافية ، د.ت .
- بن حوقل ، أبو قاسم محمد ، صورة الأرض . بيروت: 1996م .
- البيطار ، أمينة ، تاريخ العصر العباسي . سوريا: منشورات جامعة دمشق ، 1997م.
- تونسلي ، هدى محمد ، الإطار الجغرافي لمناطق الثغور والعواصم في العصر العباسي الأول . مصر: مجلة مركز بحوث الشرق الاوسط ، ع: 29، 2011م.
- الثعالبي ، عبد العزيز ، سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية (132هـ/750م). بيروت : دار الغرب الاسلامي ، 1995م.
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، رسائل الجاحظ مناقب الترك . القاهرة: مكتبة الخانجي ، 1964م.
- الجهشاري ، أبو عبدالله محمد ، كتاب الوزراء والكتاب . القاهرة: 1938م.
- حتلين ، سلطان بن خالد ، الفقهاء والخلفاء . الأردن: دار عمان للنشر ، 2000م.

حجو ، مسامح يوسف ، ولاية العهد في العصر العباسي الثاني . فلسطين: جامعة فلسطين، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، رسالة ماجستير ، 2012م.

حراشنة ، زينب خلف علي ، موقف فقهاء العراق في السلطة العباسية (198-334/813-945). القاهرة: جامعة آل البيت ، كلية الآداب والعلوم ، قسم التاريخ ، أطروحة دكتوراه ، 2003م.

حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي . بيروت: دار الجيل ، 1996م.

حسن أحمد محمود - أحمد إبراهيم شريف ، العالم الاسلامي في العصر العباسي . القاهرة: 1966م.
حمادة ، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول . بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1985م .

الحيدري ، صلاح عبد الهادي ، الإدارة العباسية في فترة التسع سنوات (247-256/861-863). العراق: جامعة البصرة، مجلة كلية الآداب ، ع:19، 1981م.

الخضري بك ، محمد ، تاريخ الأمم الإسلامية للدولة العباسية . بيروت : دار القلم ، 1986م.
الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي ، تاريخ بغداد. بيروت: دار الغرب الاسلامي . 2001م.
خليفة ، ربيع حامد ، فن التصوير عند الأتراك الأويغور وأثره على التصوير الإسلامي . القاهرة: 1996م.
الدوري ، عبد العزيز ، العصر العباسي الأول . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2006م.

الدوري، عبد العزيز ، تاريخ العراق الاقتصادي . بيروت: دار صادر، 1965م .
الدوري، عبد العزيز ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2007م.

الدينوري ، أبو محمد عبدالله بن مسلم ، المعارف . بيروت : دار الكتب العلمية، 1987م .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد ، تاريخ الإسلام ووفيات الإعلام . بيروت: 2003م.

الزركلي ، خير الدين ، الأعلام . بيروت: دار العلم للملايين ، د.ت .

- زيدان، جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، تحقيق حسين مؤنس . مصر: مؤسسة دار الهلال، 1958 م.
- سالم ، السيد عبد العزيز ، العصر العباسي الأول . الاسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، 1993م.
- السامرائي ، سحاب خليفة ، حسين علوان إبراهيم ، العوامل الجغرافية وأثرها في اختيار موقع مدينة سامراء العباسية . العراق: جامعة تكريت ، كلية التربية، مجلة سرا من رأى، 2008م.
- سلطان ، فاروق فتحي ، التاريخ الإسلامي في العصر العباسي (132-334هـ). بيروت: مطبعة بيروت ، 2006 م .
- السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، تاريخ الخلفاء . قطر: 2013م .
- شاكر مصطفى، دولة بني العباس . الكويت : وكالة المطبوعات ، 1973م.
- شلي، أحمد، التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، 1960م.
- الصالح ، صبحي، النظم الاسلامية نشأتها وتطورها . بيروت: دار العلم للملايين ، 1987م.
- صقر ، نادية حسني ، مطلع العصر العباسي الثاني . السعودية: دار الشروق ، 1983م.
- الصلابي ، علي محمد محمد ، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط . الرياض: مؤسسة أم القرى للنشر ، 2005م.
- الصلبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد ، كتاب لطائف المعارف . لندن : دي جونج ، د.ت.
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك . بيروت : دار المعارف ، 1967م.
- طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الدولة العباسية . بيروت : دارالنفائس، 2009م.
- العاني، خطاب صكار ، جغرافية العراق ارضا وسكانا وموارد اقتصادية . بغداد: مطبعة العاني، 1990.
- العبادي ، أحمد مختار ، في التاريخ العباسي والفاطمي . بيروت: دار النهضة العربية ، 1972م.
- عبد الحفيظ ، محمد ، الجيش في العصر العباسي الأول (132-232) . عمان: 2000م.

عبد الرحمن ، محمد نصر . الدوسري ، محمد صقر ، تاريخ الدولة العباسية في العصر العباسي الأول .
السعودية : دار النشر جامعة الملك فيصل ، 2016م .

العلي ، صالح أحمد ، المنسوجات واللبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى . بيروت : شركة المطبوعات
للتوزيع والنشر ، 2003م .

علي ، سيد أمير ، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي . القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر ،
1938م .

عمارة ، أسماء ، البلاط العباسي (132-749/334-945م) . جامعة تونس: كلية العلوم الإسلامية ،
قسم التاريخ ، أطروحة دكتورا ، 2010م .

العميد ، طاهر مظفر ، الأثر العسكري في اختطاط المدن الإسلامية . بغداد: جامعة بغداد ، مجلة كلية
الاداب ، ع:29 ، د.ت .

عون ، عبد الروؤف ، الفن الحربي في صدر الإسلام . مصر: دار المعارف ، 1961م .

غرايبة ، عبد الكريم ، العرب والاتراك . سوريا : مطبعة جامعة دمشق ، 1961م .

فخري ، أحمد ، دراسات في تاريخ الشرق القديم . القاهرة : مكتبة الأنجلو - المصرية ، 1963م .

فوزي ، فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية (98-132 / 716-749) دراسة تحليلية لواجهات الثورة
العباسية . بيروت: دار الإرشاد ، 1970م .

فوزي ، فاروق عمر ، الخلافة العباسية عصر السقوط والانحيار . عمان: دار الشروق ، 2009م .

فوزي ، فاروق عمر ، الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار . عمان: دار الشروق ، 2009م .

فوزي ، فاروق عمر ، تاريخ النظم الإسلامية . عمان: دار الشروق ، 2010م .

القرآن الكريم ، سورة الحجرات ، 13:49

كتابجي ، زكريا ، الترك في مؤلفات الجاحظ ومكانتهم في التاريخ الإسلامي . بيروت: دار الثقافة ،
1972م .

- كحالة ، عمر رضا ، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام . بيروت : مؤسسة الرسالة ، د.ت .
- الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف ، الولاة والقضاة . بيروت: 1908م .
- الميليم ، عبد العزيز محمد، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية . بيروت: مؤسسة الرسالة ، 1991م.
- متز ، آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري . بيروت: دارالكتاب العربي ، 1967م.
- محمود شاكر ، الدولة العباسية . بيروت : المكتب الاسلامي ، 2000.
- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ، التنبيه والإشراف . بغداد : المكتبة العصرية ، 1938م.
- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر . بيروت: 2005م.
- المصري ، حسين مجيب ، صلات بين العرب والفرس والترك . القاهرة : الدار الثقافية للنشر، 2001م.
- المغلوث ، سامي بن عبدالله بن أحمد، أطلس تاريخ الدولة العباسية . الرياض: مكتبة العبيكان ، 2012م
- المقرئزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، شذوذ العقود في ذكر النقود ، تحقيق محمد بحر العلوم ، العراق: النجف، 1967م .
- مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري ، عبد الجبار المطليبي . بيروت: دار الطليعة للطباعة ، 1971م.
- نبيلة حسن محمد ، تاريخ الدولة العباسية . مصر: دار المعارف الجامعية ، 1993م.
- النرشخي ، أبو بكر محمد بن جعفر ، تاريخ بخارى . مصر: دار المعارف، 1965م .
- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب . القاهرة: 1985م.
- الهاشمي ، عبد المنعم ، الخلافة العباسية . بيروت : دار ابن الحزم، 2003م.
- الهامي ، محمد ، العباسيون الأقوياء رحلة العباسيين منذ بداية الثورة حتى نهاية عصرهم الذهبي . القاهرة: مؤسسة اقرأ ، 2013م.
- الهامي ، محمد ، العباسيون الضعفاء . القاهرة : مؤسسة اقرأ ، 2013م .

- الواقدي ، محمد بن عمر ، فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان . مصر: مطبعة المحروسة ، 1891م .
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبدالله ، معجم البلدان . بيروت : دار صادر، د.ت .
- اليقوي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ، تاريخ اليقوي ، تحقيق عبد الأمير مهنا . بيروت : شركة
الاعلمي للمطبوعات ، 2010م .
- اليقوي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ، البلدان . بيروت : الأعلمي للمطبوعات ، د.ت
- اليوزبكي،توفيق سلطان، نفوذ الأتراك السياسي في الخلافة العباسية.العراق:مجلة الرافدين،
1998.ع:31،ص 237-251.

KAYNAKÇA

Ağır, Mesut Abdullah - Mehmet Emin Şen, *Abbasi Dönemi önemle Türk Komutanlarından Boğa es-Sağır*, Turkish Studies, 7/3, 2012.

Aktan, Ali, *Mutemid- Alellah, Ahmed b. Cafer* , DiA, İstanbul, 2006.

Aycan, irfan, "*Müslüman Arapların Türklerle İlk Münasebetleri*" Türkler Ans,ed,H.Celal Güzel-Salim Koca-KemalÇiçek,Ankara, 2000.

Bernard, Lewis, *Tarih Araplar*, çev.H.Dursun Yıldız,İstanbul,2003.

Boz, Ali, *Abbasiler Döneminde Türkler ve Afşin, Haydar b. Kavuş in Hayatı*, Erciyes Ün. Sosyal Bil . 2010, Basılmamış Yüksek lisans Tezi.

Bozkurt, Nahide, *Oluşum Aşamasında Abbasi ihtilali*, Ankara 2016.

Demirci, Mustafa, *Siyah Öfke* , Konya, 2005.

Fatih Güzel ,*Kafesteki Halifeler*, Akademisyen Kitabevi A.Ş., Ankara 2020.

Günaltay, Şemseddin, "*AbbasoğullarıİmparatorluğununYükselişinde Türklerin Rolü* " ,Belleten ,sayı. 23-24, 1942.

Hodgson, Marshall, *İslam Serüveni*,ter.Heyet,İstanbul,1993.

Hüseyin, Halil Şakir, *Cuhudü l-Abbasi el-Mühtedi fi l-Tesaddi li Saytarati –Türk h.255-256*, mecelle Adabi l-Mustansırıyye, 1987, sayı. 15.

İzzi, Muhammed Feyyaz, el – *Hilaf beyne l- Ceyş ve d- Devle fi Zilli l-Abbasi hilale Fetra h. 247- 334/ 861- 945*, Ürdün Yermük Ün. Basılmamış Yüksek Lisans Tezi 2001.

Journal of Turkish studies / Türklük Bilgisi Arastirmaları, 1978: 85-96, (*Turk in Early Muslim service*)12/9/2020شوهد بتاريخ.

Kafesoğlu, İbrahim, *Türk Milli Kültürü*, İstanbul 1983.

Kırkpınar, Mahmut, *Mütevekil-Alellah,Cafer b.Muhammed*, DiA İstanbul ,2006.

Kök, Bahaddin, *Samerra nın Kuruluşu*, Atatürk ün. İlahiyat Fak. Dergisi, XIX Erzurum2003.

Olga Pinto, Feth b. *Hakan*, çev Hakkı Dursun Yıldız – Neire Milani, İstanbul ün. Edebiyat Fak, Dergisi, sayı. 27, İstanbul, 1973.

Pamukçu, Ekrem, *Bağdat ta ilk Türkler*, Ankara, 1994.

Sakallı, Talat, "*Hadislerde Türk Mefhumu ve Rivayetlerdeki Çağrıştırdığı Zihniyetin Analizi* ",Uluslararası Türk Dünyasının İslamiyete Katkıları Sempozyumu I,Isparta,2007,ss.277-242.

Şen, Mehmet Emin, *Abbasilerin ikinci Dönemin de Siyasi ve Kültürel Alanda Türkler*, Selçuk ünv. Sosyal Bilimler Ens. Basılmamış Doktora Tezi, 2008.

Toğan, Zeki Velidi, *Umumi Türk Tarihine Giriş*, İstanbul 1981.

Yıldız, Hakkı Dursun, *İslamiyet ve Türkler*, İstanbul, 2002

Yılmaz, Nevi, *Abbasi ihtilalinde Türkler*, sakarya ünv. Sos. Bil. Ens. 2007, Basılmamış, Yüksek Lisans Tezi.

